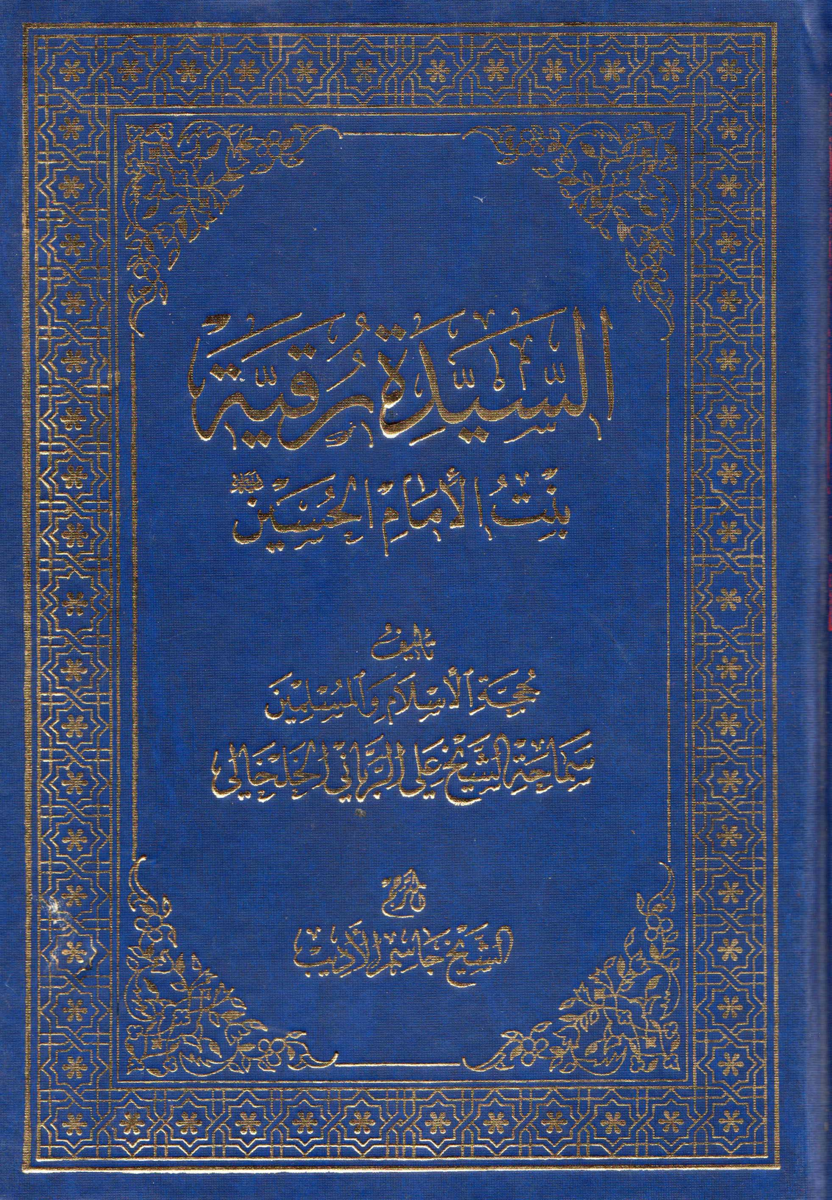

السيدة رقية
بنت الإمام الحسين
تأليف
حجة الإسلام والمسلمين
سماحة الشيخ علي الرباني الخلخالي
ترجمة
الشيخ جاسم الأديب


بسم الله الرحمن الرحيم

ربّاني خلخالي ، علي ، ١٣٢٥ -
السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام / تأليف علي الربّاني الخلخالي ؛ مترجم جاسم الأديب -
[قم] : مكتب الحسين عليه السلام ؛ ربّاني خلخالي ، ١٤٢٤ق = ٢٠٠٤م = ١٣٨٢ .
٢٨٥ ص . ISBN 964 _ 91933 _ 8 _ 3
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا .
عنوان اصلى : ستاره درخشان شام : حضرت رقيه دختر امام حسين عليهما السلام .
عربى
كتابنامه به صورت زيرنويس .
١. رقيه عليها السلام بنت حسين عليه السلام ، - ٦١ق - سرگذشتنامه . ٢. شعر مذهبى عربى - مجموعه‌ها .
الف . اديب ، جاسم ، مترجم . ب . عنوان .
٢٥٠٤٣ ر ٧ ر / ٢ / ٥٢ BP ٢٩٧ / ٩٧٩
١٣٨٢
كتابخانه ملى ايران ٣٣٧٩٤ - ٨٢م

هويّة الكتاب

الكتاب................ السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام
المؤلّف................ الشيخ علي ربّاني الخلخالي
المترجم................ الشيخ جاسم الأديب
الناشر................ انتشارات مكتب الحسين عليه السلام
الطبعة................ الثانية - ١٤٢٥هـ. ق
المطبعة................ اعتماد
عدد النسخ................ (٣٠٠٠) نسخة
السعر................ ٢٥٠٠ تومان

الترقيم الدولي ٣ - ٨ - ٩١٩٣٣ - ٩٦٤

قم انتشارات مكتب الحسين - تلفن (٧٧٤٠٧٣٥)





تأليف
حجة الإسلام والمسلمين
سماحة الشيخ علي الرباني الخلخالي

المترجم
الشيخ جاسم الأديب

تقريض سماحة آية الله العظمى السيّد صادق الشيرازي (دام ظلّه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الخلق أجمعين محمد المصطفى وعترته الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين

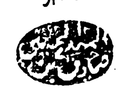
البذل من أجل أهل البيت - عليهم السلام - من أفضل مصاديق البذل في سبيل الله عزّ وجلّ، ومنها بذل المال والوقت والطاقة والعمر والقلم واللسان التي تصرف في هذا المجال

وكتاب (السيدة رقية بنت الامام الحسين عليه السلام) الذي ألفه الخطيب الجليل والكاتب الموفق الحاج الشيخ علي الرباني الخلخالي وترجمه فضيلة العلامة الشيخ حاكم الاديب - دام تأييدهما - خطوة كريمة على هذا الطريق النيّر.

أسأل الله تعالى للمؤلف والمترجم القبول وللمؤمنين الاعزاء الاستفادة والاقتداء والله ولي التوفيق

٧/ ذي الحجة الحرام/ ١٤٢٤ هـ

صادق الشيرازي



بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المترجم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير محمّد وآله الطاهرين .

أمّا بعد ، فإنّ الذي يلاحظ صفحات التاريخ يجدها قد ضمّت بين طيّاتها للعديد من الأحداث التي لا تفيد البشرية في حياتها شيئاً . فالكثير من كتب التاريخ ملئت بمخازي الحكّام الطغاة وكيف أنّهم كانوا يحيون لياليهم في اللهو والمجون وإعاثة الفساد في البلاد الإسلامية . بل إنّ بعض مقاطع التاريخ خصّصت حول سيرة المجهولين الذين لم يكن لهم أيّة خدمة للبشرية ، وإنّما لمجرّد أنّهم كانوا من حاشية السلاطين أو من مريديهم .

ومع الأسف الشديد مقابل افراط كهذا في تسليط الأضواء على بعض الشخصيات الذين لا تستفيد البشرية من معرفتهم شيئاً نجد أنّ الكثير من عظماء التاريخ قد بخسوا حقّهم وضاعت سيرتهم المعطاءة التي كانت مركز إشعاع واستفادة للناس . وفي واقع الأمر إنّ المسؤولية في ذلك تعود إلى كتّاب التاريخ الذين خضعوا لأهوائهم واستسلموا لضغوط الحكومات التي ظلّت تدعوهم إلى طمس الحقائق المفيدة التي يمكن أن تخدم الأجيال الصاعدة عبر العصور المختلفة .

ومن الذين بخسوا حقّهم وضاعت تفاصيل سيرتهم الوضّاءة هم أبناء المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام حيث تعمّد الكثير من مؤرخي التاريخ بإيعاز من سلاطين الجور في إقصاء الحقائق المهمّة من حياتهم وعملوا جاهدين من أجل تضييع كلّ ما يرتبط بهم من قريب أو بعيد . وبالفعل فقد وفّقوا في ذلك بحيث إنّ الباحث اليوم لا يجد من تاريخ بعضهم شيئاً يذكر سوى بعض المقتطفات البسيطة التي لا تتجاوز الأسطر القليلة . وهنا تتجلّى عظمة هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ حيث إنّه جمع بين طيّاته أكبر قدر يمكن تحصيله حول نجمة من نجوم أهل البيت عليهم السلام وكوكبة من أنوار قدس المعصومين عليهم السلام ألا وهي عزيزة سيّد الشهداء عليه السلام السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام التي أُيتمت على صغر سنّها وعايشت المآسي رغم نعومة أظفارها إلى أن فارقت الحياة الدنيا في خرابة الشام شهيدة مظلومة .

يبقى القول إنّ هذا الكتاب بمثابة فتح الباب للبحث والتحرّي حول سيرة هذه السيّدة الجليلة التي تحدّت الطاغية على صغر سنّها وهزّت عرشه وكيانه بمظلوميتها ، فسلام الله عليها يوم ولدت ويوم عاشت سعيدة ويوم تبعث حيّة .

الشيخ جاسم الأديب

قم المقدّسة

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم وغاصبي حقوقهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم من الجنّ والإنس أجمعين إلى يوم الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأُمّتي»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل الأُض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمّتي من الاختلاف»[3]. وقد عدّ الحاكم هذه الرواية صحيحة وصحّحها آخرون ونقلوها عنه.

وقال الشيخ الصبان في كتاب «إسعاف الراغبين» بعد ذكره لهذه الرواية: قد يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[4] أُقيم أهل بيته مقامه في الأمان لأنّهم منه وهو صلى الله عليه وآله منهم عليهم السلام[5].

ونقل الحاكم عن طريق أبي موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[6]. وعلى هذا الأساس فأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في

---

(١) انظر ملحقات إحقاق الحقّ للمرجع الكبير آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي (النجفي المتوفّى عام ١٤١١هـ) ج٢٣ ص٦١ الطبعة الأُولى، ولمزيد من التوضيح راجع كتاب (سيرتنا وسنّتنا) تأليف المرحوم العلّامة الأميني صاحب موسوعة الغدير.

(٢) بحار الأنوار ج٢٧ ص٣٠٩ ح٦.

(٣) سيرتنا وسنّتنا للعلّامة الأميني.

(٤) سورة الأنفال: ٣٣.

(٥) إسعاف الراغبين وهو هامش على نور الأبصار ص١٤١.

(٦) أمالي الطوسي ص٣٧٩.

كلّ زمان ومكان نجوم نورانية متألّقة في سماء الفضيلة ينيرون درب الهداية للسائرين .

وهذا الكتاب « كوكبة الشام المتألّقة السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين عليهما السلام » الذي نضعه بين يديك عزيزي القارئ عبارة عن تأريخ حياة هذه السيّدة الجليلة واستعراض لقصّتها التي تُبكي الحجر ، والتي شاركت في إيصال مظلومية الإمام الحسين وثورته الخالدة في عاشوراء على صغر سنّها ، فهاهو قبرها الصغير اليوم إلى جانب القصر الأخضر لمعاوية ويزيد (لعنهما الله) من أقوى الأدلّة على إدانتهما وهو شاهد آخر على مظلومية أهل البيت عليهم السلام واستبداد آل أُميّة وطاغوتيتهم الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بـ« الشجرة الملعونة في القرآن »[1] وقبل البدء نذكر هذا الحديث الشريف لتنوير قلوب محبّي أهل البيت عليهم السلام وإحراقاً لقلوب أعدائهم حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « معرفة آل محمّد براءة من النار وحبّ آل محمّد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمّد أمان من العذاب »[2].

سبب تأليف الكتاب

في حدود عام ٥٦ ـ ٥٧ شمسي الموافق عام ١٩٧٨م تقريباً مرض أحد أبنائي مرضاً شديداً ألمّ به حتّى أيقنّا بأنّه سيُعاق في المستقبل على أقلّ التقادير ، ولكن مع ذلك توسّلنا بعزيزة الحسين عليه السلام صاحبة الهمّ والغمّ السيّدة رقيّة عليها السلام بعدما راجعنا الطبيب وعملنا طبق إرشاداته ، فنذرت لله تعالى نذراً في كتابة كتاب عن هذه الماجدة الصغيرة إن قام ولدي من مرضه بسلام ، والحمد لله فببركة عنايات هذه الكوكبة الماجدة من آل محمّد صلى الله عليه وآله شُفي ولدي وكأن شيئاً لم يكن ، ومنذ ذلك الوقت شرعت في مطالعة المصادر والكتب التي تناولت ذكر السيّدة رقيّة عليها السلام فجمعت منها ما استطعت بعد جهد وعناء .

---

(١) سورة الإسراء : ٦٠.

(٢) البحار للمجلسي (المتوفّى عام ١١١١هـ) ، والمراجعات للمرحوم شرف الدين العاملي (المتوفّى عام ١٣٧٧هـ) ص٢٩ ، والغدير .

إلّا أنّ مدوناتي هذه بقيت فترة من الزمن من دون أن أُنسّقها وأُرتّبها إلى أن طبعت الجزء الأوّل من كتابي « الشخصية المتألّقة ـ اللامعة ـ قمر بني هاشم أبا الفضل العبّاس عليه السلام »[1] الذي قدّمته إلى محبّي أهل البيت عليهم السلام وحينها ذكّرتني زوجتي ـ حفظها الله وأولادها من فتن وشرور آخر الزمان ـ بنذري وقالت لي : حاول أن تعمل بنذرك ، وكان ذلك منها قبل حلول محرّم الحرام عام ١٤١٨هـ ومنذ ذلك الوقت نويت أن أبدأ بتأليف الكتاب ، إلّا أنّ التفكير بالمشاكل وصعوبات الحياة عاقني عن تحقيق نذري فتأخّرت في إنجازه ولذلك كنت مهموماً لهذا التأخير فتوسّلت إلى الله تعالى بعد صلاة الصبح وطلبت منه الاستمداد لإكمال هذا الكتاب ثمّ استخرت الله في ذلك فخرجت الآية الكريمة : ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[2] التي أخرجت من قلبي كلّ شكّ وتردّد ، ومنذ ذلك اليوم بدأت العمل بهذا الكتاب إلى أن انتهيت منه وأشكر الله سبحانه وتعالى الذي شملني بلطفه وعنايته حتّى استطعت أن أُنجزه بأقلّ وقت وهو بضاعة مزجاة من حياة السيّدة المظلومة والدرّة اليتيمة رقيّة سلام الله عليها أُقدّمه إلى جميع شيعة أهل البيت عليهم السلام ونرفع من خلاله الستار عن ظلامتها وظلامة آل الله صلوات الله عليهم ، ونكشف الحقيقة عن أعدائهم وظالميهم ولله الحمد وله الشكر .

وكلّي أمل أن يكون هذا الأثر المبارك مورداً مقبولاً عند منقذ البشرية الكبير المنتقم للدماء المراقة للشهداء في كربلاء الحجّة ابن الحسن العسكري عجّل الله فرجه الشريف .

١١ شعبان ١٤١٨هـ ـ مولد علي الأكبر عليه السلام

قم ـ حرم أهل البيت عليهم السلام

الشيخ علي الربّاني الخلخالي

---

(١) الذي تضمّن حياته الشريفة مع ٢٤٠ كرامة له عليه السلام مع الشيعة وأهل السنّة والمسيحيين والزرادشتيين .

(٢) سورة الحج : ٣١ .

الفصل الأوّل

[السيّدة رقيّة في المستندات التأريخية]

أقدم المصادر التأريخية حول السيّدة رقيّة عليها السلام :

(١)

ذكر المرحوم الحاج آية الله الميرزا هاشم الخراساني (المتوفّى عام ١٣٥٢هـ) في منتخب التواريخ : قال لي العالم الجليل الشيخ محمّد علي الشامي وهو من جملة العلماء العاملين في النجف الأشرف : أنّ جدّ أُمّي السيّد إبراهيم الدمشقي الذي ينتهي نسبه إلى السيّد المرتضى علم الهدى كان في زمانه قد تجاوز عمره التسعين ويُعدّ في عصره من الأشراف والأجلّاء وكان عنده ثلاث بنات فقط وليس له أي ذكر .

وفي واحدة من الليالي رأت ابنته الكبيرة السيّدة رقيّة عليها السلام في عالم الرؤيا وقد طلبت منها أن تخبر والدها أنّ الماء قد تسرّب إلى قبرها ولحدها ممّا تسبّب في إحداث ضرراً في بدنها الشريف وطالبتها أن تقول له بضرورة إصلاح القبر طالباً ذلك من والي الشام ، فامتثلت الفتاة لذلك إلّا أنّ السيّد خشي من أهل السنّة فلم يبدِ اعتناءً بهذا المنام .

وفي الليلة الثانية تكرّر الأمر مع ابنته الوسطى وأخبرته بذلك أيضاً إلّا أنّ السيّد بقي متردّداً وخائفاً ، وفي الليلة الثالثة جاءت السيّدة رقيّة عليها السلام لابنته الصغرى في عالم الرؤيا وجرى ما جرى سابقاً ، إلى أن رأى السيّد نفسه السيّدة رقيّة في المنام في الليلة الرابعة وهي تقول له معاتبة : لماذا لم تخبر الوالي ؟!

وفي الصباح انطلق السيّد إلى والي الشام وحدّثه بالرؤيا وما حصل معه ومع بناته ، فأمر الوالي علماء السنّة والشيعة بالغُسل وارتداء أنظف ثيابهم ثمّ قال لهم : إنّا سنعطي مفتاح القبر لكلّ واحد منكم ، وكلّ مَن فُتح القفل بيده فهو الذي ينزل إلى القبر ويُخرجِ

الجسد الطاهر ليتمّ إصلاحه[١]. وفعلاً فقد اغتسلوا كلّهم ولبسوا أنظف ثيابهم وذهبوا برفقة الوالي إلى القبر الطاهر وحينها لم يعمل المفتاح عمله إلّا بيد السيّد إبراهيم، وحينما حاولوا نبش القبر وحفره لم تعمل الفؤوس إلّا بيد السيّد إبراهيم وفعلاً فقد حفروه بعدما أخرجوا الناس من الحرم الشريف ثمّ شاهدوا جسد هذه الطاهرة طريّاً وهي مكفّنة إلّا أنّ الماء قد تجمّع في لحدها. فحمل السيّد الشريف هذه المخدّرة الطاهرة بيديه وأخرجها من اللحد وحملها على ذراعيه وخرج بها وهكذا بقيت على ذراعيه وهو يهمل عليها الدموع الجاريات على ما نزل بهذه الماجدة الصغيرة، فاستمرّ الوضع ثلاثة أيّام كان السيّد خلالها لا يترك هذه السيّدة العظيمة إلّا في أوقات الصلاة فكان يضعها على شيء طاهر ونظيف ويؤدّي صلاته ثمّ يعود ليحملها مرّة أُخرى، ومن العجائب أنّ السيّد طيلة هذه الفترة ما كان بحاجة إلى الأكل والشرب والوضوء ببركة السيّدة رقيّة عليها السلام وهي إحدى كراماتها حتّى انتهوا من إصلاح القبر، وقام السيّد ليدفنها ولكنّه طلب من الله تعالى متوسّلاً إليه بهذه السيّدة الماجدة أن يرزقه ولداً فحقّق الله له مرامه ورزقه ولداً سمّاه السيّد مصطفى.

ثمّ قام الوالي بنقل هذه الاعجوبة إلى السلطان عبدالحميد العثماني فأمر الأخير بجعل تولية مرقد السيّدة زينب عليها السلام ومرقد السيّدة رقيّة عليها السلام ومرقد السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام ومرقد السيّدة سكينة عليها السلام بيد السيّد إبراهيم ومنه انتقلت إلى ولده السيّد مصطفى ومنه إلى ولده السيّد عبّاس.

قال ناقل القصّة آية الله الحاج الميرزا هاشم الخراساني: وقد كان تأريخ هذه الحادثة الجليلة في حدود عام ١٢٨٠هـ[٢].

وقد نقل المرحوم آية الله السيّد هادي الخراساني هذه القصّة في كتابه «المعجزات

---

(١) يحتمل أنّ الوالي قام بذلك لأجل التأكّد من صحّة الرؤيا.

(٢) منتخب التواريخ ص٣٨٨ الباب ٦ طبع ونشر علمية إسلامية.

والكرامات » ثمّ قال :

لقد كنّا ذات مرّة نياماً مع جماعة وقد لدغت الحيّة أحدنا وكلّما عالجها بالأدوية والمراهم ولكن دون جدوى ، وفي نهاية الأمر جاء عندنا أحد الشباب يدعى بالسيّد عبدالأمير وقال : أين الرجل الذي لدغته الحيّة ؟ ثمّ أخذ بيده بعدما عيّنوا له الموضع فأمرّ يده على المكان فشوفي للحال والتفت السيّد إلينا وقال : أنا لا أملك دعاءً ولا دواءً غاية الأمر أنّ لنا كرامة موروثة من جدّنا الأعلى عندما كان في الشام وقد حمل السيّدة رقيّة عليها السلام على ذراعيه ثلاثة أيّام متتالية حتّى أصلحوا قبرها وأبعدوا الماء عنه ومنذ ذلك الحين أُعطيت هذه الكرامة له وهي الشفاء من لسعة الزنبور أو العقرب أو الحيّة السامّة وبقيت في نسله إلى أن وصلت إلينا .

(٢)

يُعتقد أنّ تأريخ بناء المرقد الشريف يعود في أقلّ التقادير إلى أكثر من ثلاثمائة عام ، (أي قبل أربعة قرون ونصف من تأريخنا الحاضر) .

يقول عبدالوهاب بن أحمد الشافعي المصري المشهور بالشعراني (المتوفّى عام ٩٧٣هـ) في كتاب « المنن » : وأخبرني بعض الخواص أنّ رقيّة بنت الحسين عليه السلام في المشهد القريب من جامع دار الخليفة .. وهو معروف الآن بجامع شجرة الدرّ .. والمكان الذي فيه السيّدة رقيّة عن يمينه ومكتوب على الحجر الذي ببابه : هذا البيت بقعة شرّفت بآل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وببنت الحسين الشهيد ، رقية عليها السلام[١].

(٣)

ويقول المؤرخ الخبير والناقد البصير عماد الدين الحسن بن علي بن محمّد الطبري المعاصر للخواجه نصير الدين الطوسي في الكتاب الجليل « كامل البهائي » :

إنّ نساء أهل بيت النبوّة أخفين على الأطفال شهادة آبائهم وكن يقلن لهم : أنّ

(١) معالي السبطين ج ٢ ص ١٦٢ ط الشريف الرضي ـ قم .

آبائكم قد سافروا إلى كذا وكذا وكان الحال على ذلك المنوال حتّى أمر يزيد أن يدخلن داره وكان للحسين عليه السلام بنت صغيرة لها أربع سنين قامت ليلة من منامها وقالت : أين أبي الحسين فإنّي رأيته في المنام مضطرباً شديداً ؟ فلمّا سمع النسوة ذلك بكين وبكى معهنّ سائر الأطفال وارتفع العويل فانتبه يزيد من نومه وقال : ما الخبر ؟ ففضحوا عن الواقعة وقصّوها عليه فأمر (لعنه الله) أن يذهبوا برأس أبيها فأتوا بالرأس الشريف وجعلوه في حجرها ، فقالت : ما هذا ؟ قالوا : رأس أبيك ففزعت الصبية وصاحت فمرضت وتوفّيت في أيّامها بالشام(١).

ويُعدّ هذا الكتاب (لعماد الدين الطبري) من الكتب النادرة الذي قلّ نظيره وقد كتبه سنة ٦٧٥هـ معتمداً فيه على المصادر المهمّة والكثيرة التي لا وجود لها في عصرنا الحاضر بسبب تلفها وضياعها عبر هذا الزمان الكَلِب وبعضها تمّ إحراقه من قِبل أعداء أهل البيت عليهم السلام .

يقول المرحوم المحدّث القمّي رحمه الله : كتاب « كامل البهائي » تأليف عماد الدين الطبري ذلك الشيخ العالم ، والماهر الخبير ، والمتدرّب النحرير ، والمتكلّم الجليل ، والمحدّث النبيل ، والفاضل الفهّامة فرغ من تأليفه سنة ٦٧٥هـ بعد عناء طويل استغرق (١٢) سنة انعكف فيها على تأليفه ، وهو كتاب مليئ بالفائدة ... .

وأضاف المحدّث القمّي قائلاً : ويعلم من الكتاب أنّ الكثير من نسخ الأُصول والكتب القديمة للأصحاب كانت موجودة عند المؤلّف ، ونحن نشير إلى أحد هذه الكتب التي كانت بيد المؤلّف ولم تصلنا إلّا وهو كتاب « الحاوية في مثالب معاوية » تأليف قاسم ابن محمّد بن أحمد المأموني وهو أحد علماء السنّة .

وقد نقل عماد الدين الطبري قصّة السيّدة رقيّة من هذا الكتاب(٢).

---

(١) كامل البهائي ج ٢ ص ١٧٩ .

(٢) الفوائد الرضوية ص ١١١ .

وعلى ضوء ذلك يمكن القول أنّ تأريخ قصّة السيّدة رقيّة عليها السلام يرجع إلى سبعمائة عام ونصف تقريباً.

وبغضّ النظر عن ذلك فإنّ هناك بعض مصنّفات التاريخ أشارت إلى وجود السيّدة رقيّة عليها السلام منها كتاب « اللهوف » لابن طاووس قدس سره.

(٤)

يُعدّ كتاب (اللهوف) للسيّد ابن طاووس المتوفّى عام ٦٦٤هـ المعروف بكثرة إحاطته بالنصوص الروائية والأحداث التأريخية الإسلامية الشيعية، من أقدم الكتب التي جاء فيه ذكر اسم السيّدة رقية عليها السلام، فقد ذكر السيّد رحمه الله في كتابه هذا عبارة للإمام الحسين عليه السلام حينما دعا أُخته زينب عليها السلام للصبر والتحمّل فقال: « ياأُختاه ياأُمّ كلثوم وأنتِ يازينب، وأنتِ يارقية، وأنتِ يافاطمة، وأنتِ يارباب انظرن إذا أنا قُتلت فلا تشققن عليَّ جيباً ولا تخمشن عليَّ وجهاً ولا تقلن عليَّ هجراً[١].

وهذا يعني أنّ السيّدة رقيّة عليها السلام كانت في كربلاء، وممّا يؤيّد ذلك أيضاً ما ذكره الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي (المتوفّى عام ١٢٩٤هـ) في كتابه « ينابيع المودّة » نقلاً عن مقتل أبي مخنف: فبعدما ما ذكر كيفية استشهاد أصغر أولاد الحسين عليه السلام وهو الذي لم يتجاوز الستّة أشهر قال: ثمّ نادى عليه السلام: ياأُمّ كلثوم وياسكينة ويارقيّة وياعاتكة ويازينب ياأهل بيتي عليكنّ منّي السلام[٢].

والسؤال هنا هو: أيمكن أن نجد للسيّدة رقيّة عليها السلام ذكراً في المصادر التي هي أقدم من هذه إذا رجعنا إلى التأريخ أكثر؟ هذا ما سنتناوله في البحث القادم.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف ص ١٤٠ ـ ١٤١ تحقيق الشيخ فارس تبريزيان ط أُسوة ١٤١٤.

(٢) ينابيع المودّة ص٣٤٦، وإحقاق الحقّ ج١١ ص٦٣٣ وانظر مقتل أبي مخنف ص١٣١ طبع الشريف الرضي وعبارته هذه: ثمّ نادى ياأُمّ كلثوم ويازينب وياسكينة ويارقية وياعاتكة وياصفية عليكنّ منّي السلام.

(٥)

من الواضح لدى كلّ مَن له إلمامة واطّلاع على التأريخ الإسلامي والشيعي أنّ الشيعة تعرّضوا لجميع أنواع الاستبداد والعنف والقهر من قِبل السلاطين وحكّام الجور على طول التاريخ ، فكم مرّة ومرّة كانوا عرضة لهجوم المستبدّين ووحشيتهم حتّى تعرّض أبرز رجالهم للقتل والاستشهاد ، كما وتعرّضت الآثار العلمية لعلمائهم من كتب ورسائل وموسوعات إلى عمليات إبادة وحرق ، ومنها : المجزرة الشهيرة التي قام بها محمود الغزنوي في عام ٤٢٣هـ وحرقه للكتب ، وحادثة إحراق الكتب التي قام بها طغرل في بغداد في عصر الشيخ الطوسي ، وهكذا حادثة حسَنَك الوزير .. ومجزرة « الجزّار » الحاكم العثماني في الشام وحرقه للكتب في جنوب لبنان و ... الخ .

وعلى كلّ فقد عانى الشيعة الكثير من الآلام والمآسي والاضطهاد في التأريخ ممّا أدّى إلى أمرين :

أوّلاً : عدم توفّر الفرص المناسبة لتدوين هذه الحوادث التأريخية .

ثانياً : عدم القدرة على حفظ ما تمّ تدوينه لا سيّما تلك المطالب التي لها صلة في إثبات مظلومية الشيعة ، أو عن جرم وقساوة أعدائهم من حكّام الجور . فقد أدّت الحوادث العصبية إلى ضياع أكثر هذه المدوّنات ولم يبق منها إلّا القليل القليل ، أو ما هو يتناول شفهياً بين رجال الشيعة من جيل إلى جيل فبقى شاخصاً في الذهنية الشيعية ولكن من دون سند بل هي مشهورات تأريخية .

ولهذا لا ينقضي العجب حينما نرى الوثائق التأريخية حول السيّدة زينب الكبرى عليها السلام مثلاً قليلة جدّاً مع جلالتها وعظمتها ودورها الكبير في ثورة الإمام الحسين عليه السلام ، بل يمكن القول : أنّ ما هو موجود عن هذه السيّدة الجليلة يُعدّ صفراً على الشمال إذا قيس مع دورها التأريخي المهمّ ، وعليه فكيف سيكون الحال مع غيرها كالسيّدة أُمّ كلثوم أو السيّدة رقيّة عليها السلام ؟!

ففي ظلّ هذه الأوضاع الصعبة كيف سيكون عمل المحقّقين الذين تصل بهم الطرق

إلى نقطة مغلقة فلا يحصلون على المستندات التي قد تساهم في إبراز الواقع التاريخي بما هو مطلوب ؟

وقد نحى بعض المحقّقين في مثل هذه المطالب منحىً سلبيّاً تمثّل في نفي هذه الحوادث الشهيرة تحت ذريعة « الاستحسان والذوق الشخصي » أو « مجرّد الاستبعاد » القابل للمناقشة والبحث العلمي ، أو قولهم إنّ هذه الحوادث والمطالب لم تستند إلى دليل قوي ، وهذا الطريق من أهل الطرق ـ أعني نفي الحقائق التأريخية المعروفة والشهيرة ـ بلا بذل أي جهد وعناء في الكشف عنها يمحو الحقيقة من الواقع أكثر من أن يحلّ معضلتها .

والطريق الآخر الذي سلكه البعض الآخر من المحقّقين تمثّل في تحمّلهم لعناء البحث العلمي وصبرهم في الوصول إلى الحقيقة وإثباتها بدل نفيها ، وهمّتهم في تجميع أكبر قدر يمكن تحصيله من القرائن والمؤيّدات التي تدعم الحادثة من مراجعة كتب التأريخ ، والتفسير واللغة والحديث بل ومراجعة دواوين الشعراء المعاصرين لتلك الحقبة الزمانية والدقّة في فهم النصوص ومدى دلالتها الالتزامية والمطابقية والبحث في منطوقها ومفهومها وأبعاد السياق اللفظي ومعالجة كلّ ذلك مع الواقع التأريخي آنذاك بكلّ تتبّع وإشراف ، ومن خلال ذلك يصل رويداً رويداً إلى اكتشاف الكثير من الحقائق فمثلاً :

عندما نتأمّل في موضوع إحراق الكتب الشيعية قديماً وعمليات الإبادة التي تعرّض لها رجالات الشيعة ، أو محاكم التفتيش العقائدي ـ إن صحّ التعبير ـ من قِبل سلاطين الجور ووعّاظهم نعرف الحقيقة التالية :

أوّلاً : أنّ عدم الحصول على الدليل التأريخي مع شهرة الحادثة لا يدلّ على عدمها وكما قالوا : عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود .

ثانياً : لا يمكن دائماً وأبداً إجراء المقولة : لو كان لبان فننكر المشهورات تحت هذه الذريعة وذلك لأنّ للظروف مدخلية لا يمكن البتّ بدون ملاحظتها .

ثالثاً : لا يمكن وبكلّ بساطة أن ننكر ما عندنا من بعض الأدلّة والوثائق بدافع الاستبعاد أو الاستحسان الموجّه ، ونعدها من جملة الخرافات أو الموضوعات ، لأنّه من

الممكن أن يكون الاستبعاد ناتجاً عن عدم الاطّلاع أو عن الغفلة ببعض جوانب القضيّة التي لو عرفت لتبدّل الاستبعاد إلى حالة من القبول وفقاً للتحليل العلمي ، أو في أقلّ التقادير ينقدح في أُفق الذهن تصوّر جديد .

رابعاً : علينا أن ندرك أنّ دلالة الخبر الواحد أو غير المعتبر لا يستلزم بالضرورة الكذب وما هو خلاف الحقّ ، بل المطلوب هو أن نجعل مثل هذه الأخبار بديلاً عن قراراتنا القطعية في نفي الواقعة التأريخية ، لتكون ـ الأخبار ـ مورداً للبحث والتحقيق الواسع ويمكن الموازنة بينها وبين روايات أُخرى لنعرف الصحيح ، بل يمكن أن تكون هذه الأخبار الآحاد رأس خيط للوصول إلى حقائق كبيرة أو أنّها قد تصلح في حالة تعارض الأدلّة مؤيّداً ومرجّحاً لإحدى الطوائف .

وطبيعياً فإنّ الانكار يحتاج إلى دليل كما أنّ إثبات أي شيء بحاجة إلى دليل ، نعم ما لا يحتاج إلى دليل هو قول : لا أدري بل إنّ النفي يستلزم مؤونة أكثر من الإثبات ، وعلينا أن لا ننسى أنّ الاستحسانات أو الاستبعادات والتحليلات العقلية لها مكانها الخاص بها ولا يمكن أن نلغيها تماماً ، كما لا يمكن أن نطرح الأُمور خلافاً للقواعد العقلية المسلّمة ، ولا ننسى أيضاً أنّ الكلمة الأخيرة في هذا الميدان هي : التتبّع والتحقيق والتحليل في الأدلّة والوثائق التأريخية بشكل مباشر أو غير مباشر(١) .

والبحث الذي نحن بصدده عن السيّدة رقيّة عليها السلام لا يستثنى من هذه الأُصول والقواعد ، فمضافاً لما تقدّم منّا من ذكر المصادر التأريخية القديمة الدالّة على وجود هذه الشخصية ، أيمكن أن نستدلّ بمصادر أُخرى أكثر قدماً من « اللهوف » و « كامل البهائي » على وجود هذه الشخصية الشريفة من خلال التتبّع ؟ الجواب بحمد الله هو نعم يمكن أن نجد أكثر من هذه المصادر لإثبات ذلك بالتتبّع والتحقيق .

فمن أقدم النصوص ـ على حسب تتبّعنا ـ الذي أشار إلى وجود هذه السيّدة

---

(١) أُنظر كتاب : الماء في عاشوراء .

الشريفة المظلومة المضطهدة بنت سيّد الشهداء عليه السلام في كربلاء المسمّاة بـ (رقـية) ـ إلى جانب السيّدة سكينة ـ هي القصيدة المؤلمة لسيف بن عـميرة أحـد أصـحاب الإمـام الصادق عليه السلام .

(٦)

إنّ سيف بـن عـميرة النـخعي الكـوفي هـو مـن أصـحاب الإمـامين الصـادق والكاظم عليهما السلام الأجلّاء ، وهو من رواة الشيعة المتألّقين والمشهورين فقد وثّـقه الشـيخ الطوسي في كتاب (الفهرست) وكذا النجاشي في كتاب « الرجال » ، والعلّامة الحلّي في كتاب (خلاصة الأقوال) وابن داود في الرجال أيـضاً والعـلّامة المـجلسي فـي كـتاب (الوجيزة) ، وقد عدّه ابن النديم في « الفهرست » من مشايخ الشيعة الذي يروي الفقه عن الأئمّة عليهم السلام وذكر الشيخ الطوسي في رجاله أنّ سيف ابن عميرة له كتاب رواية عن الإمام الصادق عليه السلام ، وقد ذكره المرحوم السيّد بحر العلوم في الفوائد الرجالية مع جـملة رواة الشيعة المشهورين أمثال محمّد بن أبي عمير ويونس بن عبدالرحمن اللذين رويا عنه ، وسيف بن عميرة من جملة الذين رووا زيارة عاشوراء المعروفة نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام وهي زيارة مشهورة قد راج قرائتها طوال السنين عند الشيعة[١].

على كلّ فإنّ لسيف بن عميرة قصيدة مؤلمة في رثاء سيّد الشهداء عليه السلام وهي التي مطلعها :

جلّ المصائب بمن أصبنا فاعذري ياهذه وعـن المـلامة فـاقصري

وهي قصيدة أليمة ومؤثّرة ، إلّا أنّ العلّامة السيّد محسن الأمين[٢] وتبعه الشهيد

---

(١) سياه پوشي در سوگ ائمه نور « لبس السواد في عزاء أئمّة النور » تأليف المحقّق القدير الشيخ علي أبو الحسن (منذر) ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٢) أعيان الشيعة ج٧ ص٣٢٦ ط دار التعارف بيروت عام ١٩٨٣م .

السيّد جواد شبّر ـ وهو من خطباء لبنان[١] ـ لم يذكرا إلّا هذا البيت ، وأمّا الشيخ فخر الدين الطريحي ـ الفقيه والرجالي والأديب الألمعي والعالم الشيعي اللغوي الكبير صاحب كتاب مجمع البحرين ـ ذكر كلّ القصيدة في كتابه المنتخب[٢] ـ وهو كتاب يتناول رثاء سيّد الشهداء عليه السلام بالنثر والشعر ، إذ يصرّح الشاعر في أواخر القصيدة بهويّته النسبية والولائية فيقول :

وعُبيدكم سيف فتى ابن عميرة عبدٌ لعبد عبيد حيدر قنبر

أمّا ما يخصّ بحثنا هنا هو ذكره للسيّدة رقيّة في طيّات أبياته حيث قال :

وسكينة عنها السكينة فارقت لمّا ابتديت بفرقة وتغيّر

ورقيّة رقّ الحسود لضعفها وغدا ليعذرها الذي لم يعذر

ولأُمّ كلثوم يجد جديدها لثم عقيب دموعها لم يكرّر

لم أنسها وسكينة ورقيّة يبكينه بتحسّر وتزفر

يدعون أُمّهم البتولة فاطماً دعوى الحزين الواله المتحيّر

يا أُمّنا هذا الحسين مجدلاً ملقى عفيراً مثل بدر مزهر

في تربها متعفّراً ومضخّماً جثمانه بنجيع دم أحمر[٣]

---

(١) أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام ج١ ص١٩٦ ط مؤسّسة البلاغ بيروت ١٩٨٨م .

(٢) المنتخب في جمع المراثي والخطب ج٢ ص٤٣٦ ط الأعلمي بيروت عام ١٤١٢هـ.

(٣) لبس السواد في عزاء أئمّة النور ص٣٢٠ نقلاً عن المنتخب للطريحي .

الفصل الثاني

الشام : جغرافيّاً وسكّانياً وتأريخياً

١ ـ **الجغرافية** : بلاد الشام اليوم هي سوريا البلد الذي تبلغ مساحته (٧٢٠٠٠) مايل بما يعادل (١١٥٢٠٠) كيلومتر مربّع تحدّها من الشمال تركيا ومن الشرق العراق ومن الجنوب الأردن وفلسطين المحتلة ومن الغرب لبنان وبحر مديترانة[١].

وتُعدّ سوريا اليوم من أكثر البلدان العربية جذّابية واسمها الرسمي الجمهورية العربية السورية .

٢ ـ **السكّان** : يبلغ عدد السكّان في سوريا وفق إحصائية عام ١٩٧٩م (٨٣٥٠٠٠٠) إنسان وتصنّف في الرتبة (٦٣) عالمياً من الناحية السكّانية ، إلّا أنّ المهتمّين بالشؤون السكّانية من السوريين في وزارة الإرشاد قالوا : إنّ عدد السكّان في سوريا هو (١٢٠٠٠٠٠٠) نسمة ، وهؤلاء يصنّفون إلى :

٨٨٪ من العرب و ٣ / ٦٪ من الأكراد ، و ٨ / ٢٪ من الأرامنة وبقيّتهم من الترك والآشوريين والچركس ، و ٨٨٪ منهم مسلمون ما بين السنّة والعلويين والدروز و ١٢٪ منهم نصارى ، وأمّا اللغة الدارجة في سوريا فهي العربية والكردية التي تكتب بالخطّ العربي ، والفرنسية والأرمنية أيضاً .

وتعتبر مدينة دمشق عاصمة سوريا والتي يسكن فيها (١٠٩٧٢٠٥) نسمة ، وأمّا أكثر المدن السورية مأهولة بالسكّان فهي حلب وحمص وحماة واللاذقية وأهمّ الأبنية

---

(١) مراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام ص٧ آية الله الحاج السيّد أحمد الفهري الزنجاني إمام جمعة الحرم الزينبي في الشام .

تقع في مدينة اللاذقية وطرطوس وبانياس المطلّة على بحر مديترانه[1].

٣ ـ التأريخ :

أ ـ وجه تسمية الشام بـ(الشام) :

يقال أنّه سمّي بذلك لأنّه يقع في جهة الشمال من القبلة ولذا قيل عنه شام الشمال ، كما أُطلق على اليمن اسم (اليمن) باعتباره يقع إلى يمين القبلة الثانية .

وهناك وجه آخر لهذه التسمية وهي أنّ سام بن نوح عليه السلام كانت له سلطة وحكومة في هذه البلاد وهو الذي أمر ببنائها ومن هنا جاءت تسميتها باسمه لأنّ تلفّظ بالسين في اللغة السريانية وتلفّظ بالشين في اللغة العربية والعبرانية .

وقال البعض أنّها من (الشامة) وهي مناطق في الشام كانت أراضيها خضراء وسوداء وبيضاء كأنّها خال وأوّل من بناها سام بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكان لديه خمسة أولاد لكلّ واحد منهم منطقة وهي : فلسطين ، وحمص ، والأردن ، وإيليا (يعني بيت المقدس) ودمشق .

ب ـ أولاد سام وولايات الشام :

١ ـ فلسطين : وهي أرض النبي جرجيس عليه السلام ومن بعده بعث النبي عيسى عليه السلام إليهم ، ويقع قبر النبي جرجيس عليه السلام في مدينة الموصل أو الرقّة أو فلسطين التي دفن فيها سبعين نبيّاً .

وهذه المناطق الخمسة التي تدور عبارات دعاء السمات حولها هي محطّ أنظار اليهود والنصارى والمسلمين وذلك لكونها قبلة المسلمين الأُولى ، ومدفناً لكبار الرجال وهكذا هي مقبرة الأنبياء عليهم السلام وآثار مدينتهم السالفة ، وفيها آثار العمالقة عاد ، وثمود والرسّ وأهل البيت عليهم السلام وغيرهم موزّعة في مدينة بعلبك وتل سليمان وغيرها ، ولعلّ أهمّها جميعاً هو بيت المقدس وبيت لحم والخليل وهي الآثار المقدّسة التي مضى عليها

---

(١) شام أرض الذكريات (فارسي) ص ٢٢ للعالم المعاصر والكاتب القدير مهدي پيشوائي .

ستّة آلاف عام يقصدها المسلمون والنصارى واليهود للزيارة .

وفي عام ١٣٧٠هـ اقتضت سياسة المستعمر ومن أجل كسب الأصوات أن تقسّم فلسطين إلى قسمين ، فأُعطي القسم الشمالي لليهود والقسم الجنوبي وهو القسم الأكبر من فلسطين للعرب وهي الأردن اليوم وعاصمتها عمّان من أجمل المدن الحديثة في المنطقة ، وتضمّ فلسطين اليهود أُورشليم وهو المعبد الخاصّ لليهود ، بينما تضمّ فلسطين العرب بيت المقدس وبيت لحم ومدينة الخليل وآثار أُخرى .

٢ ـ حِمص : تُنسب هذه المدينة العظيمة إلى حمص بن سام الذي بناها وتقع بين دمشق وحلب ، وفيها إحدى المناطق المقدّسة والمهمّة التي وقف فيها أمير المؤمنين علي عليه السلام وزار قبور الصالحين وأمر أصحابه بزيارتهم وقال لهم إنّ عدداً من الصالحين قد دفن فيها ويُعدّ هذا المكان مزاراً عامّاً في هذه المدينة ، وقال بعضهم : إنّ قبر قنبر مولى الإمام علي عليه السلام فيها ، ولكن الأصحّ أنّ قبره في بغداد[1] وذكر في معجم البلدان أنّ حمص مدينة مشهورة في طرفي دمشق وحلب وسُمّيت بإسم حمص بن سام بن نوح عليه السلام ، وفيها قبر خالد بن الوليد وابنه عبدالرحمن ، والعاص بن أعثم ، وبالقرب منها قصر خالد بن الوليد وقبور بعض الصحابة .

وحمص هذه غير حمص الواقعة في اشبيلية وغير حمص الواقعة في مصر وخلخال ، وقد ورد في كتاب رحلات ناصر خسرو : إنّ من الشام إلى حمص خمسين فرسخاً .

٣ ـ الأردن : وهو اسم أحد أولاد سام بن نوح عليه السلام فسمّيت المنطقة باسمه ، وكانت الطائف تابعة للأردن وقد عرفت بمائها وهوائها ومناظرها الخلّابة ، وقد كان النبي إبراهيم الخليل عليه السلام قد سكن هذه المنطقة حتّى نزل عليه وحي الرسالة فتركها وسكن في الخليل .

وأمّا الناصرة فهي القرية التي سكنها النبي عيسى عليه السلام وأتباعه الذين أُطلق عليهم

---

(١) بستان السياحة وبقاع الأمكنة .

النصارى نسبة للمنطقة ، وقد كانت الناصرة تابعة لدمشق وهي القرية التي دخلها الخضر والنبي موسى عليه السلام في سفرهما ، وقد أشار القرآن الكريم إليها ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾[١].

وهذه الآية تحكي قصّة دخول النبي موسى عليه السلام والخضر عليه السلام إلى قرية ثمّ طلبوا من أهلها الطعام فأبوا أن يطعموهما فانطلقا إلى جدار ليتيمين في المدينة مشرف على السقوط ، فعمل الخضر على بنائه وإقامته لحفظ الكنز الذي كان تحته وقد ورثاه من أبيهما .. الخ .

وهكذا فالأردن تحفل بعدّة قبور مقدّسة للعظماء مثل قبر لقمان الحكيم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وقد سمّيت سورة كاملة باسمه ، ويقع قبره في مدينة طبرية ، ناهيك عن قبور كلّ من حجر بن عدي وأُويس القرني وبلال الحبشي التي تقع في هذه المنطقة بين الأردن والشام .

٤ ـ بيت المقدس : مدينة تعرف اليوم بالقدس بنيت على يد إيليا بن سام بن نوح ، وقد ورد ذكرها في الروايات على أنّها أرض المحشر ، كما ورد أنّ فيها قبور العديد من الأنبياء والأولياء والعلماء والأوتاد وعباد الله الصلحاء ، وتُعدّ منطقة الخليل من أشهر مناطقها لوجود قبر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وابنه إسحاق ، وكذا قبر النبي زكريا عليه السلام والنبي يحيى عليه السلام .

وقد تمّ بناء بيت المقدس الكبير من الحجر قبل أكثر من ستّة آلاف عام ، وبني بطراز خاصّ وكان فيه قبّة وضريح لقبور الأنبياء ، مضافاً إلى الآثار القديمة فيه ثمّ بنيت أطراف المسجد الأُخرى ممّا أضفى جمالاً آخراً لجمال المدينة المحاطة بالطيور والخضراء ، هذا وقد تولّى بناء بيت المقدس نبي الله سليمان عليه السلام .

---

(١) سورة الكهف : ٧٧.

كما ويُعدّ المسجد الأقصى من المساجد المحترمة والمعظّمة في العالم فهو ـ كما سلف ـ قبلة المسلمين الأُولى ومسجد ليلة المعراج ومن أكبر المعابد التي يقصدها اليهود والنصارى والمسلمين الذي لم يسمع ولم ير مثله قطّ ، فإنّ الصلاة فيه تعدل ألف صلاة في غيره .

وأمّا قصّة بناء المسجد الأقصى فقد روي أنّ ذرّية إبراهيم الخليل كثرت ببركة الموقف العظيم لولده إسماعيل عليه السلام الذي استمرّ نسله وتكاثروا في فلسطين حتّى انزلق بعضهم عن طريق الهداية ومال إلى الضلال وعصى الربّ سبحانه وتعالى ، فأوحى الله للنبي داود عليه السلام الذي كان آنذاك حجّة الله في الأرض أن يقول للعصاة : إنّ الله تعالى سيبتليهم بثلاثة أنواع من البلاء ، إمّا ثلاث سنين من القحط ، أو ثلاثة أشهر من الحرب ، أو ثلاثة أيّام من الطاعون ، فلمّا أبلغهم بذلك قالوا : لا طاقة لنا بالقحط والحرب ، وأمّا الموت بالطاعون فنحن مستعدّون ، فذهب جماعة من العصاة واغتسلوا غسل التوبة ولبسوا الأكفان وخرجوا مع نسائهم وأطفالهم إلى الصحراء ينتظرون الموت ، بينما بقي القسم الآخر من العصاة في المدينة وهم يستهزؤون بهم فجاءهم الطاعون وقتلهم جميعاً ، بينما كان داود عليه السلام واقفاً على التلّ مع العصاة وقد توجّه إلى الله تعالى بالدعاء والتضرّع أن يغفر لهم حتّى استجاب الله دعائه وصلاته ورفع البلاء عنهم ببركته ثمّ خاطبه أن يبني على هذا التلّ مسجداً بمناسبة هذه الدعوة المستجابة ، « وهو مكان بيت المقدس اليوم ومكان خيمة النبي موسى عليه السلام والصلحاء من بني إسرائيل » فقبل الناس جميعاً بالتعاون لبناء هذا المسجد المقدّس ، إلّا أنّ أحد الصلحاء من بني اسرائيل قال : إنّ المكان ملكي ولا أسمح أن تبنوا عليه مسجداً دون رضاي ، فقالوا له : نعطيك ما تطلب حتّى ترضى ، فأوصلوا الخبر للنبي داود عليه السلام فقال لهم : لابدّ من رضاه ، فقال الرجل : أُريد مئة شاة ومئة بقرة ومئة جمل ، فلمّا كادوا أن يدفعوا له ذلك أبدى عدم رضاه أيضاً وقال : أُريد أن تحوطوا التل بحائط وتقيموا بما يعادله من الفضّة لكي أرضى . ومع ذلك أبدى الناس استعدادهم لارضائه ، فلمّا رأى همّتهم ونيّاتهم صادقة قال : قد رضيت بلا أن تدفعوا لي شيئاً وقد

وهبتكم حقّي والأرض لكم وأنا معكم من العاملين ، وبهذا الشكل بدأوا ببناء المسجد الأقصى ، حتّى حمل النبي داود عليه السلام مع الناس الحجارة الكبيرة بنفسه وفي أثناء البناء جاء الخطاب الالهي لداود عليه السلام : قد انتهى دورك من البناء وما تبقّى يكمله إبنك سليمان فأت بما أُمرت به ، وكان عمر داود عليه السلام آنذاك ـ أي حينما بدأ ببناء المسجد ـ ١٢٧ عاماً ، وتوفّي وعمره ١٤٠ عاماً .

ثمّ جاء سليمان عليه السلام وله من العمر ١٣ عاماً وجلس في مجلس أبيه وبدأ العمل في إكمال المسجد المقدّس إلّا أنّه إمتاز بكادر عمّالي عجيب وغريب وفريد من نوعه فقد عمل معه الجنّ والإنس سواء ، فكانوا يجلبون له الحجر الأبيض والأخضر والمعادن والأحجار الكبيرة والعريضة حتّى أكمل بناء المسجد وأكمل مدينة القدس التي قسّمها إلى اثنتي عشر قسماً على عدد أسباط بني اسرائيل .

وقد استغرق إنجاز هذا المشروع العملاق أربعين عاماً متواصلة من العمل الدؤوب ، فكان عمره عليه السلام آنذاك ٥٣ عاماً ، وفي مكان ما كانوا قد صنعوا لسليمان عليه السلام غرفة من الزجاج وكان عليه السلام قد أمر بعدم الدخول عليه إلّا مع أخذ الرخصة والإذن منه ، فوقف يوماً وهو ملكاً على عصاه في هذه الغرفة وفجأة دخل عليه أحدهم فتعجّب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له : من أنت ؟

فقال : أنا الذي لا أقبل الرشاء ولا أهاب من الملوك ، أنا ملك الموت فقبض روحه وهو على هيئته التي كان عليها .

وتُعدّ اليوم منطقة بيت المقدس والمسجد الأقصى من المناطق الجذّابة في العالم بآثارها وطبيعتها الخلّابة وأشجار الفواكه الشهيرة فيها .

٥ ـ دمشق : وهي اليوم دولة سوريا ومركزها الشام ويطلق عليها ـ أي على العاصمة ـ دمشق ، لقد بنيت هذه المنطقة العامرة على يد أحد أولاد سام بن نوح عليه السلام على رأي بعض المؤرخين ، بينما ذهب البعض الآخر أنّ نسبتها إلى غلام إبراهيم الخليل عليه السلام ، وذهب آخرون أنّها لغلام النمرود بن كنعان ، وعلى أي حال فإنّ دمشق تمتاز بهوائها

الطيّب ومائها العذب وفواكهها اللذيذة كالزيتون بأنواعه والموز ، إلّا أنّ أهلها عرفوا بالجفاء لآل الله عليهم السلام آل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما جاءوا بهم أُسارى من كربلاء . وقد بكى لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام كلّ شيء إلّا هؤلاء الجفاة ومن كان على شاكلتهم في الكوفة والبصرة .

فقد روي أنّه ما رفع حجر إلّا وخرج من تحته دم عبيط دلالة على البكاء الكوني والحزن العام في العالم . إلّا هذه المدن الثلاث فقد كانت الكوفة والبصرة تحت سلطة ابن زياد والشام تحت سلطة السكّير يزيد ولهذا فلم تظهر علامات الحزن في هذه المدن بل أُتّخذ يوم عاشوراء يوم فرح وسرور وبركة في بعضها[١].

ج ـ الشام في العهد القديم :

الشام في عصرنا الحاضر يشمل دولة سوريا ولبنان وأقسام من الأردن وفلسطين ، فكانت هذه الدول تشمل منطقة الشام قديماً وأمّا هذا التجزّأ بين هذه الدول فهو نتيجة السياسة الاستعمارية الفرنسية والبريطانية بعد الحرب العالمية الأُولى .

ففي عام ٦٣م احتلّ امبراطور الروم سوريا ومنذ ذلك التأريخ دخلت تحت السلطة الرومانية إلى عام ٣٩٥م التي انقسمت فيها الامبراطورية الرومية إلى قسمين الروم الشرقية والروم الغربية ، فكانت سوريا ضمن الروم الشرقية التي حكمها الملك (بيزانس) الذي ضعفت سلطته بالتدريج على سوريا حتّى تحرّرت من قبضته في القرن السابع على يد المسلمين[٢].

د ـ الشام في التاريخ الإسلامي :

١ ـ سفر النبي صلى الله عليه وآله إلى الشام :

تُعدّ الشام من المناطق التي يرتبط بها العرب ارتباطاً وثيقاً وقديماً وذلك قبل

---

(١) راجع كتاب حضرة زينب كبرى عليها السلام فارسي ص٢٥٧ للكاتب عماد زاده .

(٢) گيتا شناسي كشورها (فارسي) ص ١٨٥ طبع عام ١٣٦٥ش .

تحريرها من الاستعمار الروماني ، فقد كان العرب يقصدونها للتجارة ، وقد سافر إليها النبي صلى الله عليه وآله قبل بعثته برفقة عمّه في قصّة مفصّلة مفادها كالتالي :

فقد جرت العادة أن يسافر تجّار قريش إلى الشام كلّ سنة مرّة واحدة ، فعزم أبو طالب أن يشارك في رحلة قريش السنوية هذه ذات مرّة وقرّر أن يترك ابن أخيه محمّداً صلى الله عليه وآله في مكّة في حراسة جماعة من الرجال ولكنّه وجد في ساعة الرحيل من ابن أخيه العزيز ما جعله يغيّر قراره المذكور واصطحب محمّداً صلى الله عليه وآله معه وكان عمره الشريف آنذاك (١٢ ـ ١٣) عاماً ، ولمّا وصلت القافلة إلى منطقة (بُصرى) وهي إحدى نواحي الشام توقّفت عند راهب مسيحي وكانت القوافل التجارية إذا مرّت على صومعته توقّفت عنده بعض الوقت .

وعندما انتهوا عنده من الطعام كان الراهب ينظر إلى محمّد صلى الله عليه وآله ويتأمّله جيّداً بنظرات فاحصة ثمّ قال : أيّكم وليّه ؟ فقالوا : هذا وليّه وقد أشاروا إلى أبي طالب فقال الراهب لأبي طالب : إنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا هذا سيّد العالمين ، هذا رسول ربّ العالمين يبعثه رحمة للعالمين ، إحذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليقصدنّ قتله .... .

ومنذ ذلك الحين صمّم أبو طالب على الرجوع مصطحباً معه ابن أخيه العزيز على قلبه فكرّا راجعين إلى مكّة بعدما رتّب أُموره التجارية مع بقيّة أصحابه في القافلة[١].

٢ ـ السفرة الثانية :

وقد سافر النبي الأكرم إلى الشام مرّة أُخرى وذلك حينما كان عمره الشريف (٢٥) عاماً إلّا أنّه كان لا يزال في كنف عمّه أبي طالب الذي كان يفكّر في عمل لابن أخيه وكان سبب سفره إلى الشام أنّ السيّدة الجليلة خديجة بنت خويلد التي كانت امرأة تاجرة ذات

---

(١) تاريخ الإسلام تأليف المحقّق الكبير آية الله الحاج الشيخ جعفر السبحاني ص٢٧ (فارسي) ، وانظر السيرة النبوية ج١ ص١٨٢ .

شرف عظيم ومال كثير تبحث عن رجل أمين تستأجره في مالها أو تضاربه إيّاه بشيء تجعله له منه فأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وآله، بعدما امتنع صلى الله عليه وآله من أن يتقدّم هو بطلب العمل معها بسبب إبائه وعلو طبعه، وحينما حضر عندها النبي صلى الله عليه وآله قالت له : إنّي دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أُعطي رجلاً من قومك .. فوافق النبي صلى الله عليه وآله على هذا العرض وانطلق بالقافلة متوجّهاً إلى الشام للتجارة وقد رافقه غلامين لخديجة أحدهما ميسرة فوصلوا إلى الشام وباعوا ما عندهم وربحوا ربحاً كثيراً ثمّ عادوا إلى مكّة وقد اشترى النبي صلى الله عليه وآله من سوق « تهامة » متاعاً أتى به إلى مكّة أيضاً(١).

٣ ـ رسالة الإسلام في الشام :

لقد طرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه منذ اليوم الأوّل لبعثته على أنّه رسول للعالمين كما أشار القرآن الكريم لذلك إذ جاء فيه : ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾(٢) وقد عمل بجهده لاقتناص الفرص بل لصناعة الفرص ليعرّف الناس رسالته وبنوّته وأنّه مبعوث للعالم كلّه إلّا أنّ أعداء الإسلام كانوا دائماً في طريق انطلاقته وإعاقته، ولكن وبعد أن دخل النبي صلى الله عليه وآله في معاهدة الصلح التي جرت في الحديبية مع المشركين اطمأنّ من جانبهم قليلاً وأخذ يفكّر في الاتّصال بكبار ملوك الأرض ويعرّفهم نفسه ويلقي عليهم الحجّة وعلى أُممهم عبر الرسائل التي يدعوهم فيها إلى الإسلام، وبذلك يكون قد خرج من الدائرة الصغيرة التي كان يتحرّك فيها إلى مساحة عالمية كبيرة فانتخب صلى الله عليه وآله ستّة أشخاص من أبرز ما يكونوا ودفع لكلّ واحد منهم رسالة دوّن فيها نبوّته التي ألزم الله سبحانه بها العباد، ودعاهم إلى دين الله الجديد فانطلق أُولئك الأبطال لكلٍ وجهة هو

---

(١) فروغ ابديت للسبحاني ج١ ص١٥٦ ومعناه « الشمس الأبدية أو الشعاع والنور الأبدي » وانظر البحار ج١٦ ص٢٢.

(٢) سورة الأعراف : ١٥٨.

منطلق إليها : ايران ، الروم ، الحبشة ، مصر ، اليمامة ، البحرين ، والحيرة[١].

ووقتها كان قيصر ملك الروم الشرقية قد عاهد الله تعالى أنّه إذا نصره في صراعه المرير مع ايران فإنّه يقصد زيارة بيت المقدس مشياً على الأقدام من مقرّ حكومته في القسطنطينية إلى فلسطين ، وفعلاً قام بتحقيق عهده عندما نال الظفر والانتصار ، فقصد بيت المقدس . وكان الشخص المؤهّل لحمل رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قيصر الروم هو دحية الكلبي وذلك لعدّة اعتبارات توفّرت فيه منها :

أ ـ لأنّه كان قد سافر إلى عدّة مناطق من الشام سابقاً فهو عارف بها .

ب ـ كونه صاحب طلعة بهيّة ووجه جميل وسيرة حسنة تؤهّله للقاء قيصر الروم .

وقبل أن ينطلق دحية الكلبي إلى القسطنطينية عرف أنّ قيصر الروم عزم إلى بيت المقدس وكان ـ دحية ـ حينها في بُصرى[٢] وهي إحدى نواحي الشام ، فالتقى دحية مع والي بُصرى الحارث بن أبي شمر وأخبره بمهمّته ثمّ دفع إليه رسالة النبي صلى الله عليه وآله ، لأنّ الواقدي[٣] روى أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان قد أمر دحية بدفع الرسالة إلى والي بُصرى والأخير يرفعها إلى قيصر الروم .

ويحتمل أنّ النبي صلى الله عليه وآله أمره بذلك لأنّه كان يعلم أنّ قيصراً قد غادر قسطنطينية ، أو لأنّ الدحية لا يمكنه الوصول إليها وعلى كلّ حال فقد أمر الحارث أحد الرجال وهو عدي بن حاتم أن ينطلق مع دحية إلى بيت المقدس ليقدّمه إلى قيصر .

وفعلاً فقد وصل دحية بركب الامبراطور في مدينة حمص ولكن قبل اللقاء به أوعز إليه حاشية السلطان بأن يسجد أمامه معبّراً عن التعظيم والاحترام وإلّا فإنّ

---

(١) راجع البحار ج ٢٠ ص ٣٨٢ ح ٨ / المترجم .

(٢) بُصرى : مركز حوران وهي إحدى المستعمرات الرومانية وكان الحارث بن أبي شمر وغيره من ملوك الغساسنة يُنصبون من قبل قيصر وهم يمثّلون في هذه المناطق .

(٣) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٩ .

الامبراطور لا يعتني بك ولا يستقبل رسالتك ، فقال دحية بما معناه : إنّي ما قطعت كلّ هذه المسافات إلّا لأقضي على هذه التقاليد المنحرفة ، ثمّ إنّي لم أُمر بهذا بل أُمرت أن أوصل رسالة النبي محمّد ﷺ إلى قيصر يدعوه فيها إلى ترك عبادة البشر ، وأنّه لا معبود إلّا الله تعالى ولا يُسأل الناس إلّا عن عبادته ، بهذا أعتقد وبه أُمرت فكيف تطلبون منّي أن أسجد لغير الله تعالى ؟

فأخذ هذا القول الرصين موقعه من قلوب حاشية الملك ونظروا إليه بنظرة الإعجاب والإكبار ، لأنّه يدلّ على استقامته وصلابته في الاعتقاد ثمّ تقدّم إليه أحد الصلحاء من حاشية الملك قائلاً : تستطيع أن تضع كتابك على طاولة الملك هذه لأنّ رسائل الملك لا يطّلع عليها إلّا هو ، وعندما يقرأها سوف يبعث خلفك فامتثل دحية لذلك وشكره على نصيحته وتركه . وعندما جاء قيصر تناول الرسالة وقرأها وكان فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمّد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتّبع الهدى .

أمّا بعد : فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرّتين فإن تولّيت فإنّما عليك إثم (الاريسين) ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا بأنّا مسلمون . محمّد رسول الله(1).

٤ ـ نفوذ الإسلام في الشام :

في العام ١٤هـ الموافق للنصف الأوّل من القرن السابع الميلادي التحقت الشام بالبلاد الإسلامية وذلك حينما زحفت الجيوش الإسلامية ـ إبان خلافة أبي بكر ـ نحو الشام لتخوض حرباً مع هرقل « هراكليوس » امبراطور الروم الشرقية ، في الأردن وفلسطين وقد انتصر المسلمون في حروبهم هذه وهزم هرقل ورجع القهقرى إلى دمشق ،

---

(1) انظر البحار ج ٢٠ ص٣٨٦ / المترجم .

ولكن مع ذلك فقد حاصره المسلمون الذين جاءهم خبر موت أبي بكر في (٢٢ جمادى الثانية عام ١٣هـ) ذلك الوقت ، فعيّن عمر بن الخطّاب مكانه واستمرّت المواجهة حتّى سقطت دمشق في رجب من عام ١٤هـ على يد المسلمين الذين قادهم خالد بن الوليد حينها وأبو عبيدة فقد طال على صاحب دمشق الأمر ـ أي الحصار ـ فأرسل إلى أبي عبيدة فصالحه وفتح له باب الجابية وألحّ خالد على باب الشرقي لمّا بلغه أنّ أبا عبيدة عزم على أن يصالح القوم ففتحه عنوة وروي أنّ خالد بن الوليد صالحهم أيضاً فأجاز أبو عبيدة ذلك[١].

يقول المؤرخ اليعقوبي في هذا الصدد : تُعدّ مدينة دمشق من المدن الجميلة والقديمة وكانت مركزاً لجميع مدن الشام في الجاهلية والإسلام وفيها عمران وأنهار وأعظمها نهر « بردا » الذي يمكن القول عنه أنّه لا نظير له ، وقد فتحت هذه المدينة في خلافة عمر بن الخطّاب عام ١٤هـ بعد أن حاصرها أبو عبيدة بن الجرّاح عاماً كاملاً ، ثمّ صالح أهلها من طرف باب الجابية ودخلها فاتحاً بينما قاتلهم خالد بن الوليد من الباب الشرقي ودخلها بدون صلح ، وكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر وأنفذه[٢].

ومن عوامل انتصار الإسلام هو أنّ أهالي تلك المناطق رغبوا في الإسلام قبل كلّ شيء لأنّهم كانوا على علم بتقاليد العرب والمسلمين وآدابهم وأطباعهم وتواضع جيش الإسلام ، وانعدام الضرائب الثقيلة في الاسلام التي أرهقتهم بها الحكومات السابقة ، ومللهم من الآراء المختلفة بين المسيحيين حول الدين المسيحي وتعدّد المدارس الفكرية التي لا طائل منها سوى الاختلاف والضجر والملل من الحكومة الرومانية والدين

---

(١) فتوح البلدان ، لأبي الحسن البلاذري ص١٢٨ ـ ١٣٠ لقد كان خالد بن الوليد في العراق ولكن لمّا وصلت الأخبار لأبي بكر بكثرة جيوش الروم بعث خلف خالد وألزمه مهمّة فتح دمشق انظر المصدر أعلاه ص١١٧ .

(٢) البلدان لأحمد بن أبي اليعقوبي (فارسي) ص١٠٥ .

المسيحي(١).

وعلى أي حال فقد عرفت منطقة الشام على أنّها جزءاً من البلاد الإسلامية ، ومنذ عام ٤٠هـ إلى عام ١٣٢هـ ، أي ما بعد استشهاد أمير المؤمنين علي عليه السلام كانت دمشق عاصمة الدولة الأموية التي بدأ حكمها معاوية ، والتي تعرّضت طيلة هذه الفترة لثورات العبّاسيين الذين وجدوا مناصرة حقيقيّة من قبل الشيعة والايرانيين حتّى سقطت تلك الدولة الظالمة وحلّت محلّها الدولة العبّاسية التي اتّخذت من بغداد عاصمة لها ، ومنذ ذلك اليوم فقدت الشام أهميتها(٢).

وبعد سقوط دولة بني أُميّة مرّت الشام بأدوار مختلفة يحتاج شرحها إلى كتاب مستقلّ .

---

(١) التأريخ التحليلي للإسلام د . سيد جعفر شهيدي ص١٠٨ / فارسي .

(٢) الشام أرض الذكريات ص١٩ / فارسي .

الفصل الثالث

الشجرة الملعونة

قال الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً﴾(١).

ذكر المفسّرون في سبب نزول هذه الآية أنّ رسول الله ﷺ رأى في منامه قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتمّ به ، وروي أنّ جبرئيل أخبره أنّ هؤلاء هم بنو أُميّة أخبره الله سبحانه بتغلّبهم على بني هاشم وقتلهم ذريته ، فلم يستجمع النبي ﷺ بعد ذلك ضاحكاً حتّى مات(٢) فبنو أُميّة هم الشجرة الملعونة .

ومن جملة الآيات النازلة في ذمّ بني أُميّة ، هي آيات سورة القدر المباركة فإنّ المقصود من قوله تعالى « ألف شهر » هي مدّة حكم بني أُميّة لانّهم حكموا البلاد ألف شهر بعدما حُرموا من البركات الأُخروية لهذه الليلة طيلة سنين حكمهم ، فقد روى الفخر الرازي في تفسيره وابن الأثير في أُسد الغابة عن الإمام المجتبى عليه السلام أنّ رسول الله رأى بني أُميّة في منامه وهم قرود ينزون على منبره فساءه ذلك فأنزل الله تعالى قوله ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ...﴾ حيث أخبره أنا مدّة ملكهم ألف شهر ، يقول القاسم ـ الراوي ـ : عددنا

---

(١) سورة بني اسرائيل : ٦٠ وقد صرّح القمّي في تفسير ج ٢ ص ٢١ طبع النجف ١٣٨٧هـ والعياشي في تفسيره ج ٢ ص ٢٩٨ طبع علمية إسلامية وغيرهما إنّ الشجرة الملعونة هم بنو أُميّة .

(٢) مجمع البيان ج ٣ ص ٤٢٤ .

السنين فوجدنا أنّ أيّام بني أُميّة كانت ألف شهر[١].

وقال المسعودي في مروج الذهب : كانت مدّة حكم بني أُميّة إلى زمان انقراضهم ومجيء بنو العبّاس الف شهر بلا زيادة ولا نقيصة .

هل كان بنو أُميّة من قريش ؟

هناك كلام كثير في صحّة نسبة بني أُميّة إلى قريش لا سيّما البارزين منهم ، بل صرّح بعدم اتّصالهم بقريش وذلك لأنّ أُميّة وهو جدّهم الأعلى كان عبداً رومياً لعبد شمس اشتراه في إحدى سفراته وكان العرب أيّام الجاهلية يلحقون الولد بالتبنّي بسيّده فعُرف في الأوساط أنّه ابن عبد شمس وفقاً لتقاليدهم الجاهلية وقد صرّح أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدى رسائله إلى معاوية حيث خاطبه : ليس أُميّة كهاشم ولا حرب كعبدالمطّلب ولا أبو سفيان كأبي طالب ، ولا المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق »[٢] وصرّح العالم المصري محمّد عبده في شرحه لنهج البلاغة عن كلمة « صريح » وهو كلّ من كان نسبه صحيحاً و « اللصيق » كلّ مَن لم يكن نسبه صحيحاً بل لُصق بغير أصله من القبائل .

وقد عُرف أُميّة بالانحراف فقد كان يتعرّض للنساء ويعمل الفواحش والزنا ، وحينما حُكم عليه بترك مكّة عشرة سنين غادرها إلى الشام وهناك مارس الزنا مع امرأة يهودية متبّعلة من يهودي فحملت منه ـ من أُميّة ـ ثمّ أنجبت ولداً اعتبره أُميّة ولده وأطلق عليه كنية أبو عمرو وسمّاه ذكوان وهو والد أبي معيط وجدّ العقبة ، وعقبة هذا هو والد الوليد بن عقبة أخو عثمان بن عفّان من أُمّه[٣].

---

(١) تتمّة منتهى الآمال للمحدّث القمّي ص١٠٨ / فارسي .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥ ص١١٨ .

(٣) قبس من عظمة الإمام الحسين عليه السلام لآية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الگلپايگاني ص ٢٣٠ / فارسي ، نقلاً عن شرح نهج البلاغة ج٣ ص ٢٥٤ وص ٤٦٧ .

أُسرة أبي سفيان :

من بين الذين صدّوا دعوة الإسلام ووقفوا منها موقفاً سلبيّاً تمثّل في العناد واللجاج والمقاومة والحرب هو أبو سفيان الذي كان أكثرهم عناداً ، فقد عمل على إطفاء نور الإسلام في معركة بدر وأُحد والخندق التي قاد فيها المشركين ، بل كان زعيمهم وقائدهم في أُحد والخندق .

فكان أبو سفيان وزوجته وأولاده في طليعة الذين عملوا على إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله وصدّه ومنعه ، والعمل على حماية المشركين والدفاع عنهم ، فقد اشترك في معركة بدر مع أولاده معاوية وحنظلة وعمرو فقتل الإمام علي عليه السلام حنظلة منهم وأسر عمرو ولاذ معاوية بالفرار من الحرب الضروس وانطلق إلى مكّة هارباً ولمّا وصلها كانت قدماه قد ورمتا(١) .

هند آكلة الكبد :

عرفت هند أُمّ معاوية بهذا الاسم « آكلة الأكباد » لأنّها مثّلت بحمزة سيّد الشهداء عمّ النبي صلى الله عليه وآله بعد حرب أُحد بسبب حقدها وكرهها له ثمّ استخرجت كبده وقطعته ولاكته في فيها ثمّ استخرجته وعملت منه قلادة حول عنقها وهذا دليل كفرها وشدّة بغضها للإسلام فهي كأبي سفيان لا تختلف عنه في عدائها للرسول صلى الله عليه وآله وللإسلام بل كانت أكثرهم عداوة .

عداء أبي سفيان :

لقد كان أبو سفيان في كفره وعدائه للإسلام أوضح بكثير من كفر إبليس منذ بدايات البعثة وإلى آخر يوم توفّي فيه النبي صلى الله عليه وآله ، فقد كان من قادة المشركين في عداوة النبي صلى الله عليه وآله ، وتولّى بنفسه التصدّي لرفع راية الكفر والشرك وصدّ الشباب الذين يعتنقون الإسلام ، فقد كانت له في مكّة شباك وخداع ومكر يتصيّد بها هؤلاء ويمنعهم من الدين الجديد ، وحتّى لمّا هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة عمل أبو سفيان على صدّه ومنعه من نشر

(١) المصدر السابق ص٢٣٧ / فارسي .

الدين فأوجد له الحرب تلو الأُخرى كلّ ذلك دفاعاً منه عن الشرك وعبادة الأصنام والاطاحة بالرسالة الإلهية وبثّ التحلّل الأخلاقي مقابل الدعوات الأخلاقية التي كان النبي ﷺ يعمل لنشرها بين الناس(١).

فقد ذكر الزمخشري وهو أحد أعلام أهل السنّة قائلاً:

كان أبو سفيان رجلاً قصير القامة قبيح المنظر وزوجته هند، وكانت له أجيرة وعاملة تعمل له اسمها صباح (ذات جمال وطراوة في قمّة أُنوثتها) فكانت هند تنظر لها على أنّها أجيرة وأمة إلّا أنّ الأُمور لم تدم هكذا بل اندفع أبو سفيان إلى صباح ليشكّل معها علاقة غير مشروعة في الخفاء، حتّى اعتقد بعض المؤرخين أنّ عتبة ـ فضلاً عن معاوية ـ ابن أبي سفيان من صباح وليسا من هند، ولهذا كانت هند غير سعيدة بهذا الولد الجديد بعدما فضلت صباح أن تضعه بعيداً عن بيت أبي سفيان بل اختارت أن تضعه في الصحراء وهكذا كانت ولادة عتبة(٢).

أُسرة بني أُميّة:

قال رسول الله ﷺ: « بنو أُميّة عائلة مطرودة ومكروهة ليسوا من المهاجرين ولا من الأنصار، حصلوا على ثروات المسلمين بالغارات والمكر والتظاهر بالدين واستعبدوهم »(٣).

وخلال فترة حكم بني أُميّة لم يكن منهم شيء يذكر سوى الرجوع إلى عصر الجاهلية والكفر والإلحاد(٤).

وكان أبو سفيان يقول: اللهمّ أرجع إلينا أيّام الجاهلية لنحمي فيها حكمنا،

---

(١) فلسفة ثورة الحسين عليه‌السلام ص ٨٠ / فارسي.

(٢) ربيع الأبرار.

(٣) الف شهر أسود ص ٨٤ / فارسي.

(٤) المصدر السابق ص٧٦ / وقد ترجمت النصوص بالمعنى.

واستقلالنا[١].

وقال أيضاً: أقسم بالله إنّي إن بقيت حيّاً لانتزعت الحكم من بني هاشم[٢].

وقال معاوية ابنه بعدما صالح الإمام الحسن عليه السلام: إنّي لم أُحاربكم لتصوموا وتصلّوا بل قاتلتكم لأتأمّر عليكم[٣].

وحينما وصلت الخلافة لعثمان ودخل عليه أبو سفيان قال لمن كان عند عثمان من بني أُميّة: تلقّفوها تلقّف الكرة فوالذي يقسم به أبو سفيان لا جنّة ولا نار[٤].

لقد حكم معاوية بلاد الشام طيلة اثنين وأربعين عاماً من بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، (أي من بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام عشرين عاماً وعشرة سنين من بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام) إلى أن توفّي عام ستين للهجرة في النصف من رجب.

فقد حكم الشام خمس سنوات من قبل عمر بن الخطّاب، وبقي حاكماً فيها أيّام عثمان بن عفّان، وخمس سنوات (أو أقل) في زمان خلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام وستّة أشهر في خلافة الإمام الحسن عليه السلام وخلال هذه السنين كان في صراع مرير مع أمير المؤمنين علي والحسن صلوات الله عليهما وخاض ضدّهما الحروب، ثمّ حكم الشام بعدهما عشرون عاماً، وامتازت فترة حكمه هذه بالحروب الظالمة وفي نهاية عمره أخذ البيعة لابنه يزيد الطاغية من المسلمين.

ويُعدّ عثمان بن عفّان ومعاوية في طليعة الحكّام الأربعة عشر المنحدرين من السلالة السفيانية والمروانية الأموية الذين حكموا المسلمين من عام ٤١هـ وإلى عام ١٣٢هـ بما يعادل الف شهر[٥].

---

(١) المصدر السابق ص٦٣ / وقد ترجمت النصوص بالمعنى.

(٢) الإمام علي عليه السلام ص٢١٢.

(٣) عائشة في عهد معاوية للعلّامة السيّد مرتضى العسكري ص١٢٥.

(٤) فلسفة ثورة الحسين ص٢٨.

(٥) بررسي تاريخ عاشوراء ص٤٧ (دراسة تاريخ عاشوراء) للدكتور آيتي بيرجندي / فارسي.

وأمّا عن جرائم معاوية فهي كثيرة جدّاً منها أنّه نقض عهده مع الإمام الحسن عليه السلام حينما صالحه على شروط ، ووضعه لعهوده وتعهّداته تحت قدميه بالنسبة لشيعة علي عليه السلام ولذلك فإنّه أسرف في قتلهم وشدّد عليهم ولاحقهم في كلّ مكان ، وكان من جملة الذين قتلهم الزاهد المعروف حجر بن عدي وستّة أشخاص من أصحابه وبلغ الأمر بمعاوية أنّه كان يفعل ما يشاء !!

الشجرة المدعو عليها :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه »[1].

وذات مرّة أرسل النبي صلى الله عليه وآله ابن عبّاس خلف معاوية ، فلمّا ذهب إليه وجده مشغولاً بالأكل فلمّا عاد أخبر النبي بذلك فقال صلى الله عليه وآله : « لا أشبع الله بطنه »[2]، وبالنتيجة فقد استجاب الله دعاء النبي صلى الله عليه وآله في حقّ معاوية ، فكان كلّما جلس على طعام لا يقوم منه وكان يقول عن نفسه : ما تركت الطعام عن شبع وإنّما تركته عن ملالة !! وكان يشرب الخمر ويحكم الناس باسم الإسلام[3]!

بين جارية ومعاوية :

في عهد معاوية كان أحد رؤوساء عشائر العرب اسمه جارية وهو بمعنى : الحيّة من جنس الأفعى كما قال به صاحب كتاب أقرب الموارد في اللغة ، وكان جارية رجلاً قويّاً صريحاً ذو شخصية مهيبة ، وكان قد أعرب عن عدم رضاه من حكم معاوية ومن كان معه بل كان يكرهه ويعاديه ، فقرّر معاوية ذات يوم أن يهينه أمام الناس من خلال اسمه ولمّا حانت الفرصة الجيّدة والتقى به قال له : ما أقلّ قدرك وحقارتك عند قومك

---

(١) الغدير ج ١٠ ص ١٤٢ لآية الله الشيخ عبدالحسين الأميني طبع بيروت ، وفضائل الخمسة ج ٣ ص ٢٤٣ لآية الله السيد مرتضى الفيروزآبادي ، وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٧ و ١٢٩ .

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٦٨٣ للمحدّث المرحوم عبّاس القمّي .

(٣) الغدير ج ١٠ ص ٨٣ .

حين سمّوك أفعى ، فأجابه جارية على البداهة : وما أقلّ قدرتك وحقارتك في قومك حين سمّوك معاوية (وهي أُنثى الكلب) فغضب معاوية لمّا سمع ذلك منه وقال له : اسكت لا أُمّ لك ، فقال جارية : إنّ لي أُمّاً أنجبتني ، أُقسم بالله أنّ القلوب التي أبغضناك بها ما تزال في صدورنا ، والسيوف التي قاتلناك بها ما تزال بأيدينا ، وإنّك لعاجز عن حكمنا واهلاكنا بالقوّة ، فإنّك قد عاهدتنا في ملكك ونحن موفون بعهدنا معك على الطاعة وعدم الخروج عليك ، فإن وفيت بعهدك معنا وفينا لك بالطاعة ، وإن نقضت عهدك فاعلم أنّ خلفنا رجال أشدّاء ورماح قاطعة ، فلمّا سمع معاوية ذلك منه ورأى انكساره أمامه قال : لا كثّر الله من أمثالك .

شريك بن الأعور ومعاوية :

كان شريك بن الأعور رئيس قومه المطاع في زمان معاوية ، وكان ذو شكل قبيح ، علاوة على اسمه واسم أبيه ، وكان شريك من جملة الذين حاول معاوية الاستهزاء بهم وإذلالهم أمام الناس كعادته الحقيرة ، فقال له معاوية يوماً حينما دخل عليه وهو ـ معاوية ـ في أوج قدرته : اسمك شريك وليس لله شريك ، وأنت ابن الأعور والصحيح أحسن منه ، ولك وجه قبيح والجميل أفضل منه ، كيف مع كلّ ذلك ولّاك قومك أمرهم ؟!

فقال شريك : أقسم الله إنّك معاوية وهي الكلبة العوّاء فكأنّي بك تعوي حتّى سمّاك أهلك معاوية ، وأنت ابن حرب وصخر ، والأرض الصافية خير من الأرض الصخرية ، ومع كلّ هذا كيف ولّاك المسلمون زمام أمرهم ؟!

فغضب معاوية وانكسر أمام أتباعه فأقسم على شريك أن لا يخرج من مجلسه[١].

سياستان متضادّتان :

من كلام للإمام علي عليه السلام وجّهه إلى جيشه : لا تريقوا دماً بغير حقّ على الأرض وإن قلّ .

---

(١) الطفل بين الوراثة والتربية ج ٢ ص ٢٣٢ فلسفي / فارسي .

بينما قال معاوية لجيشه : لا تتركوا النساء والأطفال من دون قتلٍ[1].

وبالمقابل فإنّ معاوية لمّا استتبّت له الأُمور أوصى جلاوزته أن يبحثوا عن أتباع الإمام علي عليه السلام ويقتلوهم تحت كلّ حجر ومدر .

أين قبر معاوية اليوم ؟

ينقل أنّ السيّد محمّد صادق الطباطبائي وهو رجل معروف في ايران كان في عصر المشروطة في عهد البهلوي نائباً لرئيس مجلس الشورى الوطني ، وقد سافر في عام ١٩٥٧م إلى سوريا ، وهناك فكّر في نفسه في أن يرى قبر معاوية ، فأخذ يسأل الناس عن ذلك ولكن كلّ مَن سأله رأى عليه آثار النفور والفرار من الجواب ، فبقي يواصل البحث والسؤال إلى أن انتهى به الأمر إلى محلّ خارج المدينة فالتقى بصاحبه وعرض عليه السؤال مع مبلغ من المال ، فوافق الأخير إلّا أنّه اشترط عليه أن يدلّه من خارج المدينة وعن بعد ثمّ يتركه ويعود ماشياً ليبقى الأمر على السيّد الطباطبائي ، فوافق السيّد ومضيا معاً إلى قبر معاوية . والآن لنترك السيّد نفسه يصف الموقف حيث قال : لم تكن المسافة بعيدة كثيراً إلى أن وصلت إلى منزل خرب فدخلتُ فيه وكان وسطه باحة حقيرة وخربة وكان فيه غرفتان صغيرتان في حدود ٢٠ متراً فتقدّمت إلى أن وصلت إلى سلّم صغير من ثلاث درجات نزلت منها إلى باحة الدار الذي كان يتوسّطه حوض فيه ماء غضّ راكد تسبح فيه بطّتين ، وفي جانب من الدار هناك امرأة عجوز طاعنة في السنّ بيدها مغزل وأمامها قليل من الصوف فلمّا رأتني قالت : ماذا تعمل هنا ؟ فقلت لها : جئت لأرى قبر معاوية ، فقالت : أنت من العراق أليس كذلك ؟ وذلك لأنّ أهل الشام لا يأتون هذا المكان أبداً ، فأشارت بيدها إلى إحدى الغرفتين العتيقتين فذهبت إليها وكانت بابها من الخشب ففتحتها ودخلت وكانت غرفة تبلغ مساحتها ١٢ متراً تقريباً في وسطها قبرين على أحدهما خرقة خضراء مندرسة وشمعدان فضّي قديم فوقفت عليه لحظات متظاهراً

---

(١) عائشة في عصر معاوية ص ١٢٠ / فارسي .

بقراءة سورة الفاتحة إلّا أنّني لعنته وبني أُميّة معه ثمّ خرجت[١].

جواز لعن معاوية :

روي عن كتاب « عين الأئمّة » عشرة أدلّة لجواز لعن معاوية وهي :

١ ـ خروجه عن طاعة أمير المؤمنين علي عليه السلام .

٢ ـ محاربته بالسيف لخليفة المسلمين وأمير المؤمنين علي عليه السلام .

٣ ـ غصبه لخلافته عليه السلام .

٤ ـ التنكّر لأهل البيت عليهم السلام وإنكار منزلتهم .

٥ ـ اعتقاده بأحقّيته للإمامة .

٦ ـ كتمان فضائل أمير المؤمنين علي عليه السلام .

٧ ـ لعنه لأمير المؤمنين علي عليه السلام على المنبر .

٨ ـ تحميله قتل عثمان للإمام علي عليه السلام بهتاناً .

٩ ـ اعطاءه الولاية بعده ليزيد الكافر .

١٠ ـ قتله للإمام الحسن عليه السلام ووصيّته لمن بعده بقتل الحسين عليه السلام ولذلك فهو يستحقّ اللعن من دون أي شرط أو محذور[٢].

المحامي الأوحد عن الإسلام :

لقد عمل معاوية لعنه الله طيلة أيّام حكمه ـ عشرون عاماً ـ على تقوية أساس الحكم لمن سيأتي بعده وهو ابنه الحقير يزيد ، رأس الفساد والثمرة المشؤومة من الشجرة الأموية الملعونة ، فبعد أن هلك معاوية جاء الطاغية يزيد إلى السلطة وهو يحمل كرهاً وحقداً شديدين للنبي صلى الله عليه وآله وكان ينظر إلى حروبه ـ بدر وأُحد والأحزاب وغيرها ـ بنظره المخالف الكاره ، وهكذا صارت زمام الإسلام وهو الدين الذي يُراد منه انقاذ الإنسان من

---

(١) الف شهر أسود ص١٦٧ نقلاً عن مجلّة المطالعة العدد ١٣١ / فارسي .

(٢) كامل البهائي ج٢ ص ٢١٠ / فارسي .

كلّ ألوان التخلّف من خلال قوانينه ومبادئه التي تسمح للناس في المشاركة وابداء وجهة النظر .. صارت زمامه اليوم بيد يزيد الرجس الذي أنكر الرسالة المحمّدية والوحي بكلّ وضوح وصراحة كجدّه أبي سفيان الذي لم يعترف بكلّ شيء في هذا الاتّجاه[1]، ففي مثل هذه الأوضاع من انتشار الفساد في أرجاء الحكومة الإسلامية ، وعودة العناصر الرذيلة إلى السلطة الذين يعملون على إعادة الجاهلية إلى مسرح الحياة من جديد ماذا يعمل الإمام الحسين عليه‌السلام الذي هو رمز التقوى والطهارة وسنبل الحرّية والمدافع الوحيد عن الدين الإسلامي ؟ فهل يبايع مثل يزيد ويؤيّد جرائمه وانحرافه ويقرّ بصحّة نواياه القذرة ؟ بالطبع لا ، فالحسين عليه‌السلام لا يفعل ذلك ، كما صرّح هو بنفسه حينما دعاه الوليد والي المدينة وقرأ عليه رسالة يزيد التي تطالبه بأخذ البيعة من الحسين عليه‌السلام فقال عليه‌السلام حينها : « إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح وبنا يختم ومثلي لا يبايع مثله .. »[2].

ومنذ ذلك الحين انطلق الإمام الحسين عليه‌السلام في نهضته وحركته ليعرّف المسلمين حقيقة يزيد القذرة ويحذّرهم من نواياه الخطيرة وذلك من خلال إعلان الثورة عليه حتّى قتل مظلوماً شهيداً وحينها عرف الناس حقيقة بني أُميّة ، فانطلقوا في محاربتهم من خلال الثورات المتواصلة في أرجاء البلاد الإسلامية حتّى سقط هذا النظام في نهاية الأمر وأدّى إلى زوال بني أُميّة[3].

وكما قلنا سابقاً ففي عهد معاوية تمّ تصفية أكبر وأبرز رجال الشيعة أمثال حجر بن عدي ورشيد الهجري جرّاء حبّهم وولائهم لأهل البيت والتزامهم بولاية أمير

---

(١) انظر البداية والنهاية ص١٩٧ ، ومقاتل الطالبيين ص١٢٠ .

(٢) البحار ج ٤٤ ص ٣٢٥ ، والدمعة الساكبة ص٢٧٣ ، وأعيان الشيعة ج ٤ ص ١١٢ ، ومقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٨٤ .

(٣) مجلّة مكتب اسلام رقم ٢ ص ١٢ / فارسي .

المؤمنين عليه السلام ، فضلاً عن تمهيده المقدّمات لقتل الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق دسّ السمّ إليه[١].

الإمام الحسين عليه السلام يحمي المظلومين :

من أبرز صفات الإمام الحسين عليه السلام هو دفاعه عن المظلوم ومحاربته للظالم المستبدّ وأوضح مصداق على ذلك هي قصّة أُرينب زوجة عبدالله بن سلام وهي كما يلي : فقد عرف يزيد في عهده وقبل ذلك أيضاً بشهوانية وحيوانية لم تعرف الحدود ولذلك كان يسعى للوصول إلى أهدافه القذرة ومنها جمع الأموال والجواري الراقصات والزعامة بكلّ طريقة ، بل إنّه تمنّى أن يحصل على امرأة عبدالله بن سلام تلك المرأة المحصنة العفيفة مع وجود زوجها !! وبدل أن يعمل معاوية على ردعه عن هذه الأُمنية الحقيرة عمل على تهيئة المقدّمات والأجواء له . فقد استعان بالمكر والاحتيال والكذب والخداع ـ كعادته ـ فاضطرّ عبدالله بن سلام إلى طلاق زوجته وهو لا يعلم بنوايا يزيد ومعاوية ، وكان من المقرّر أن يبعث يزيد بن معاوية مَن يعقدها له ، ولمّا علم الإمام الحسين عليه السلام بالأمر أرسل خلف أُرينب وعقد عليها ـ بعد انتهاء العدّة ـ إلّا أنّه لم يدخل بها إذ لم يكن قصده سوى إفشال خطّة يزيد ، ولمّا علم يزيد بذلك غضب غضباً شديداً إلّا أنّه لم يقدر على فعل أي شيء وفي نفس الوقت اطّلع عبدالله بن سلام بالموضوع وندم كثيراً فما كان من سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أنّ طلّقها وأرجعها إليه ، ولمّا علم الناس بذلك عرفوا أنّ قصد الإمام عليه السلام هو قطع يد المعتدي والمحافظة على الأُسرة المؤمنة حيث أظهر للناس غيرته واهتمامه بالمسلمين ، وهي من المظاهر التي عرف بها بنو هاشم وعدّها الناس من مفاخر آل علي عليهم السلام وبنفس الوقت عرفوا دناءة بني أُميّة أيضاً[٢].

---

(١) اقتباس من كتاب : تحقيق قصير عن الشيعة للعلّامة الشيخ يحيى النوري ص٩٣ / فارسي .

(٢) الإمام الثالث طبع مؤسّسة في طريق الحقّ نقلاً عن كتاب الإمامة والسياسة ج١ ص٢٥٣ وما بعدها .

وصيّة معاوية ليزيد :

لمّا مرض معاوية مرضه الذي هلك فيه دعا يزيداً ابنه وقال له : يابني إنّي قد كفيتك الرحلة والترحال ووطّأت لك الأشياء وذلّلت لك الأعداء وأخضعت لك أعناق العرب وجمعت لك من جمع واحد وإنّي لا أتخوّف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبّ لك إلّا أربعة نفر من قريش : الحسين بن علي ، وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالرحمن بن أبي بكر ، فأمّا عبدالله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ، وأمّا الحسين بن علي فإنّ أهل العراق لن يدعوه حتّى يخرجوه فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإنّ له رحماً ماسّة وحقّاً عظيماً ، وأمّا ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثلهم ليس له همّة إلّا في النساء واللهو ، وأمّا الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإذا أمكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطّعه إرباً إرباً[١] وقال المحدّث القمّي : والصحيح إنّ عبدالرحمن ابن أبي بكر كان قد توفّي قبل موت معاوية[٢].

يزيد الجاني

إنّ والد يزيد هو معاوية وأُمّه ميسون ، وكان ـ يزيد ـ قد سكن الصحراء ثمّ تعلّم على يد سرجون الرومي وقد ورث يزيد من أبيه الحقد والكره والعداوة لبني هاشم وآل النبي ﷺ ، كما طغت عليه صفات البداوة قبيل الغرور والتصوّرات الخرافية والطباع الجاهلية والإدمان على شرب الخمر ، والعداء التقليدي للإسلام والمسلمين الذي تعلّمه من معلّمه المسيحي الرومي .

وقد عُلِمَ تأريخياً أنّ يزيد لم تكن له أيّة صلة تربطه بالدين ، فهو شاب عاش في عهد أبيه بعيداً عن أُصول الدين الإسلامي ومبادئه وأخلاقه بل قضى أغلب أوقاته في

---

(١) نفس المهموم ص٢٩ .

(٢) المصدر نفسه .

الإدمان واللذائذ والشهوات التي لا يعرف شيئاً غيرها ، وخلال سنوات حكمه الثلاث لم تكن منه سوى الفجائع والفظائع التي لم يُسمع مثلها منذ الصدر الأوّل إلى أيّامه حتّى صارت جرائمه عديمة النظير .

ففي السنة الأُولى من حكمه قتل الإمام الحسين عليه السلام سبط النبي الأكرم مع أولاده وأصحابه وأهل بيته بأفجع قتلة عرفها التاريخ ، ثمّ أمر بسبي نساءه وأسرهنّ مع حمل الرؤوس الطاهرة على الرماح والطواف بها في المدن(١).

وفي السنة الثانية من حكمه المشؤوم أغار بجيش عنيف على المدينة المنوّرة وقتل أهلها وأهدر دماءهم ظلماً وأباح الأموال والأعراض والدماء فيها ثلاثة أيّام(٢).

وفي سنته الثالثة أحرق الكعبة المقدّسة ودمّرها وخرّبها(٣).

وبعد يزيد الطاغية حكم بنوا مروان وهم من بني أُميّة أيضاً (وقد تناولت الموسوعات التأريخية تفصيل ذلك) وكانوا أحد عشر حاكماً حكموا طيلة سبعين عاماً وكانت أيّامهم كلّها شؤم مئلت بالظلم والظلام وقلّ أن تكون في الإسلام أيّام صعاب مرّت على المسلمين كما مرّ عليهم في عهد هؤلاء الطغاة ، وبالأحرى كانت دولتهم عبارة عن امبراطورية استبدادية عربية لا تربطهم بالإسلام أيّة رابطة سوى الاسم وقد وصلت بهم الجرأة أنّ أحدهم الذي يحكم المسلمين بعنوان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله تمنّى أن تبنى له غرفة فوق الكعبة الشريفة يجلس فيها للاستجمام والراحة في موسم الحجّ(٤)!!

يزيد شارب الخمر :

بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام جلس يزيد يوماً في مجلس أُنسه وطربه مع ابن زياد

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢١٦ ، وتاريخ أبو الفداء ج ١ ص ١٩٠ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٦٣ وغيرها .

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٣ ، وتاريخ أبو الفداء ج ١ ص ١٩٢ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٧٨ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٤ ، وتاريخ أبو الفداء ج ١ ص ١٩٢ ، ومروج الذهب ج ٣ ص ٨١ .

(٤) الشيعة في الإسلام للعلّامة الطباطبائي ص ٢٥ .

الذي كان يجلس إلى يمينه فقال لساقي الشراب: اسقني شربة تروي مشاشي ثمّ مِل مثلها ابن زياد صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي ثمّ أمر المغنّين فغنّوا به[١].

وكان قد شرب الخمر أيضاً حينما جاءوا إليه برأس الإمام الحسين عليه السلام وقد تجرّأ على الله تعالى وسكب فضلة شرابه على الرأس الشريف! فقامت زوجته وغسلت الرأس بماء الورد ثمّ رأت في منامها السيّدة الزهراء عليها السلام وهي تتفقّد ابنها وبعدها أمر يزيد لعنه الله بالرؤوس أن تعلّق على بوّابة المدينة مع إخراج عيال الإمام الحسين عليه السلام إلى الخربة[٢].

ولم يكن يزيد يشرب الخمر فقط بل كان لا يعرف الصلاة ويلعب بالكلاب ويضرب الطنبور والدفّ والناي ويأتي الأُمّهات والأخوات والبنات[٣].

إذا رأيت آلة القمار فالعن يزيد:

عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الإمام الرضا عليه السلام يقول: لمّا حمل رأس الحسين إلى الشام أمر يزيد لعنه الله فوضع ونصب عليه مائدة فأقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفقّاع، فلمّا فرغوا أمر بالرأس فوضع في طست تحت سريره، وبسط عليه رقعة الشطرنج وجلس يزيد لعنه الله يلعب بالشطرنج ويذكر الحسين وأباه وجدّه عليهم السلام ويستهزئ بذكرهم فمتى خمر صاحبه تناول الفقّاع فشربه ثلاث مرّات ثمّ صبّ فضلته ممّا يلي الطست من الأرض.

فمن كان من شيعتنا فليتورّع عن شرب الفقّاع واللعب بالشطرنج ومن نظر إلى الفقّاع أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليلعن يزيد وآل زياد يمحو الله عزّوجلّ بذلك

---

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٦٧.

(٢) كامل البهائي ج ١ ص ١٨٨.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٦٧ وتتمّة المنتهى ص ٣٦.

ذنوبه ولو كانت كعدد النجوم[١].

وقبل أن يموت يزيد عهد بالأمر إلى ابنه معاوية وأخذ البيعة من الناس له ، إلّا أنّ ابنه تنازل عن حكومته كما جاء في كتاب « النجوم الزاهرة »[٢] حيث جاء فيه أنّ معاوية ابن يزيد خطب بالناس وقال : أيّها الناس ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم ، وإنّي لا أعلم أنّكم تكرهوننا أيضاً لأنّا بليناكم ، وبليتم بنا ، إلّا أنّ جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله ... إلى أن قال : ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله فركب هواه ، واستحسن خطاه ، وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله ، وبغيه على من استحلّ حرمته من أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله فقلّت مدّته ، وانقطع أثره ، وضاجع عمله ، وصار حليف حفرته ، ورهين خطيئته ، وبقيت أوزاره وتبعاته ، وحصل على ما قدّم[٣].

وقال المسعودي : وملك معاوية بن يزيد بن معاوية بعد أبيه ، فكانت أيّامه أربعين يوماً إلى أن مات[٤].

كيف تعامل يزيد مع رأس الحسين عليه السلام

إنّ ما فعله يزيد مع الرأس الشريف يكشف عن خبثه ، وقد أشرنا إلى إهراقه الشراب على الرأس الشريف ومع ذلك فهو لم يكتفِ بهذا بل جاء في الرسالة الحاوية لركن الإسلام الخوارزمي أنّه قال : لمّا وصل رأس الحسين عليه السلام ووضع أمامه ووضع قدمه على الرأس الطاهر فكان في المجلس الصحابي زيد بن أرقم فقا له « لا تفعل ذلك يا يزيد

---

(١) جزاء الأعمال ج ٢ ص ٧٥ / فارسي ، والبحار ج ٤٥ ص ١٧٦ .

(٢) النجوم الزاهرة الطبعة الأُولى ج ١ ص ٢٤٦ .

(٣) حياة الحيوان ج ١ ص ٦١ ـ ٦٢ .

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٧٢ .

فإنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّل ذلك الفمّ » إلّا أنّ اللعين مسك القضيب وأخذ ينكث به ثنايا الإمام الحسين عليه السلام .

وجاء في الحاوية أيضاً : إنّ اللعين طلب خمراً وكان الرأس الشريف عنده فشرب حتّى سكر ورقص وهو على العرش حتّى سقط منه إلى الأرض من شدّة السكر ، كما مات أبوه سكراناً وقد علّق الصليب في عنقه .

وقال جماعة : إنّ يزيد خرج ذات يوم مع حرسه إلى صيد الغزلان ، فأخذ يطارد غزالة حتّى أمر الله الأرض فخسفت به ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾[1].

وذكر الشيخ الصدوق في أماليه : أنّه لمّا جاءوا برأس الإمام الحسين عليه السلام إلى يزيد وضع في طشت من ذهب وأخذ يزيد القضيب وجعل ينكث ثغر الحسين عليه السلام ويقول : ما أجمل ثغرك ، فقال له من كان حاضراً : يا يزيد كيف تفعل ذلك ، أشهد لقد رأيت النبي ﷺ يرشف ثناياه[2].

رمي الإمام الحسين بالحجارة :

ذكر أبو ريحان البيروني فقال : ما تعرّض إليه الإمام الحسين عليه السلام من الظلم لم يتعرّض إليه أحد في جميع الأُمم من قِبل أقبح الأفراد ، فقد ضربوه بالسيوف والرماح ورموه بالحجارة حتّى ضعف عن القتال ثمّ قتلوه وسحقوا بدنه بالخيل ، وذكروا أنّ واحداً من هذه الخيل التي سحقت الإمام الحسين عليه السلام كان في مصر ، فخلع بعض الناس نعله وعلّقه على باب بيته تبرّكاً به لأنّه لامس بدن الإمام الطاهر حتّى صار هذا العمل عادة فأخذ أهل مصر يعلّقون نعل الخيل على أبوابهم[3].

وروي أنّ دم الإمام الحسين عليه السلام بقي يفور حتّى قتل المختار بن أبي عبيدة الثقفي

---

(١) كامل بهائي ج ٢ ص ١٧٣ / فارسي .

(٢) أمالي الصدوق ص ٩٩ .

(٣) الوجه المدمى ص ٣٦٨ فارسي ، نقلاً عن الآثار الباقية ص ٣١٩ ، وكتاب التعجّب ص ٤٦ .

سبعين الفاً من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وقال المختار : إنّي قد قتلت سبعين الفاً ووالله لو قتلت أهل الأرض كلّهم لما قابل اصبع الحسين الذي قطعوه[١].

لنعرف أعداء أهل البيت عليهم السلام

المعروف أنّ أعداء أهل البيت عليهم السلام كلّهم أولاد حرام يقول المرحوم الحوماني : إنّ النشاشيبي الذي يعود نسبه إلى الأمويين يقول : يجب القول إنّ الذين يكرهون أهل البيت تعشعش العداوة في أعماق قلوبهم اتّجاه أهل البيت عليهم السلام ، وفي بعض الأحيان تراهم يشمئزّون من سماع فضائل ومعاجز وكرامات الأئمّة عليهم السلام وسائر شؤون ولايتهم ولذا تراهم يقفون ضدّ عزاء سيّد الشهداء عليه السلام محاولة منعه وصدّه فعندما يرى الإنسان أمثال هؤلاء يتحقّق عنده الاطمئنان أنّ آباء هؤلاء كانوا من النواصب أعداء أهل البيت عليهم السلام أو أنّ أسلافهم كانوا بعيدين عن طريقة أهل البيت عليهم السلام[٢].

أمثال هؤلاء ينطبق عليهم حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث قال : « لا يبغضنا إلّا من خبثت ولادته أو حملت به أُمّه في طمثها يعني حيضها »[٣] وعن أبي رافع عن الإمام علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من لم يحبّ عترتي فهو لإحدى ثلاث إمّا منافق وإمّا الزنية وإمّا امرؤ حملت به أُمّه في غير طهر »[٤].

لنعرف أولاد الحرام :

ذكر قطب الدين الأشكوري في « محبوب القلوب » وعلي بن الحسين المسعودي في « مروج الذهب » وعبدالله بن أسعد اليمني في « مرآة الجنان » وابن خلّكان الإربلي

---

(١) إثبات الوصية ص ٣١٠.

(٢) تحقيق حول يوم الأربعين لآية الله الشهيد السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي ص ٣٩٢.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ص ١٩٠.

(٤) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٣١٩ ح ٢٢٤٤.

في « وفيّات الأعيان » وغيرهم قصّة تكشف لنا سبب عداوة النواصب للإمام علي عليه السلام وهي : يقول أبو دلف عيسى بن أبي دلف أنّ أخاه دلف ـ وبه كان يكنّى أبوه أبا دلف ـ كان ينتقص علي بن أبي طالب ، ويضع منه ومن شيعته ، وينسبهم إلى الجهل وأنّه قال يوماً وهو في مجلس أبيه ولم يكن أبوه حاضراً : إنّهم يزعمون أن لا ينتقص علياً أحد إلّا كان لغير رشدة ، وأنتم تعلمون غير الأمير ، يعني أباه ، وأنّه لا يتهيّأ الطعن على أحد من حرمه ، وأنا أبغض علياً ، قال : فما كان بأوشك من أن خرج أبو دلف ، فلمّا رأيناه قمنا له ، فقال : سمعت ما قاله دلف ، والحديث لا يكذب ، والخبر الوارد في هذا المعنى لا يختلف ، هو والله لزَنيْةٍ وحيضة ، وذلك أنّي كنت عليلاً فبعثت إليّ أُختي جارية لها ، كنت بها معجباً ، فلم أتمالك أن وقعت عليها وكانت حائضاً فعلقت به ، فلمّا ظهر حملها وهبتها لي[1].

قبر يزيد عبرة على مدى التأريخ :

« وأي عبرة لأُولي الأبصار أعظم من كون ضريح الإمام الحسين عليه السلام حرماً معظّماً ويبقى قبر يزيد بن معاوية مزبلة » وحقّاً أنّها لعبرة لمن كان له قلب حفيظ ، فهاهو قبر الإمام الحسين عليه السلام تعلوه القبّة الذهبية العملاقة مزهياً بالجلالة والعظمة ، وذاك قبر يزيد الطاغية مزبلة لم يبق منه شيء يذكر .

فقد جاء في كتاب « أخبار الدول » : أنّ يزيد مرض في شهر ربيع الأوّل عام ٦٤هـ بذات الجنب في حوران ثمّ هلك فيها ، فحملوا جنازته إلى دمشق ودفنوه عند الباب الصغير ، وقبره اليوم مزبلة وهلك عن سنّ ٣٧ عاماً وكانت زعامته ثلاث سنين وتسعة أشهر[2].

وبالرغم أنّ الإمام الحسين عليه السلام استشهد وجميع أولاده طلباً لمرضاة الله ولم يبق له من الذرّية إلّا علي بن الحسين عليه السلام الذي كان مريضاً آنذاك ، إلّا أنّ الله جعل ذرّية الإمام

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٤٧٥ .

(٢) تتمّة المنتهى ص٦٣ ط العربية .

الحسين عليه السلام منه وهم اليوم ملؤوا العالم كلّه[١].

واقعة الحرّة وإحراق البيت :

روى أبو الحسن المدائني فقال : ولدت الف امرأة بعد الحرّة من غير زوج فسمّوا بـ (أولاد الحرّة) وقال آخر : عشرة آلاف امرأة بكر ولدت بعد فاجعة الحرّة من غير زوج[٢]، وفي أخبار الدول : أنّ الجيش الأموي زنا بألف فتاة باكرة ولم ينتهي الأمر إلى هذا الحدّ بل نهبوا أموال الناس وأباحوا دمائهم وأعراضهم فعاثوا فساداً وفسقاً في مدينة النبي صلى الله عليه وآله حتّى ذكر بعضهم أنّهم مارسوا الزنا في مسجد النبي صلى الله عليه وآله .

وكانت هذه الهجمة الهمجية على المدينة بعدما خلع أهلها بيعة يزيد وقاموا ثائرين ضدّه بعد واقعة كربلاء ، وبعدما جلب رسل يزيد وعمّاله من الشام كلّ الرذائل الأخلاقية وأفشوها في المدينة .

فمن كلام لابن الجوزي قال فيه : إنّ وفداً من أهل المدينة قدموا إلى الشام ولمّا رجعوا جهروا بشتمه ولعنه وقالوا : قدمنا من عند رجل لا دين له يسكر ويدع الصلاة[٣].

فجنايات هذا الرجل وفساده وخبث طينته وظلمه وتعدّيه على الدين وتوهين أهله وتحقير شعائر ومقدّسات الإسلام من الأُمور المشهورة عند المؤرخين وقد ذكرها أكابر أهل السنّة أيضاً .

لنعرف يزيد وابن زياد بشكل أفضل

جاء في كتاب « جواهر المطالب » لأبي البركات شمس الدين محمّد الباغندي الذي توجد نسخته الخطّية في مكتبة الروضة الرضوية المقدّسة ، ذكر أبو البركات نقلاً عن ابن الفوطي في تاريخه فقال :

---

(١) شخصية الإمام الحسين بن علي عليه السلام المتألّقة للمؤلّف ط ١ ص ٢٥٤ .

(٢) راجع تذكرة الخواص ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٥٩ .

كان ليزيد قرد يدعى « أبو قبيس » وكان يرافقه دائماً ، وكلّما زادت فضلة من شرابه في الكأس سقاها لأبي قبيس وكان يقول عنه : هذا القرد أحد شيوخ بني اسرائيل مسخه الله قرداً بعد المعصية وكان يركبه على الحمار ويقامر به في سباق الخيل ، حتّى أنّه غلب ذات مرّة فابتهج يزيد كثيراً وأنشد شعراً بالمناسبة ، وأفظع من ذلك أنّه حينما مات هذا القرد حزن عليه كثيراً وتأثّر وتأسّف لموته وأمر بأن يشيع جثمانه كالإنسان تماماً فكفّن ودفن وأقام عليه أهل الشام مجالس العزاء !!

وذكر سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » فقال : إنّ يزيد استدعى ابن زياد إليه ـ بعد قتل الحسين عليه السلام ـ وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه وسكر ليلة وقال للمغنّي غنّ ثمّ قال يزيد بديهيّاً :

اسقني شربة تروي فؤادي ... ثمّ مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ... ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ... ومبيد الأعداء والحسّاد

وقال ابن عقيل : وممّا يدلّ على كفره وزندقته فضلاً عن سبّه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد فمنها قوله في قصيدته التي أوّلها :

علّية هاتي واعلني وترنّمي ... بذلك أنّي لا أُحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمى بها ... إلى أحد حتّى أقام البواكيا
ألا هات فاسقيني على ذاك قهوة ... غيرها العنسي كرماً شاميا
إذا ما نظرنا في أُمور قديمة ... وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن مت يا أُمّ الأحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حدّثت عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
ولابدّ لي من أزور محمّداً ... بمشمولة صفراء تروي عظاميا

وإلى غير ذلك ممّا نقلته من ديوانه ولهذا تطرّق إلى هذه الأمة العار بولايته حتّى

قال أبو العلاء المعرّي مشيراً إلى ذلك العار :

أرى الأيّـام تـفعل كـلّ نكـر فما أنا في العـجائب مسـتزيد

أليس قريشكم قتلت حسـيناً وكان عـلى خـلافتكم يـزيد

وقال ابن الجوزي : ولمّا لعنه جدّي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة النـاصر وأكابر العلماء قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدّي ﴿أَلَا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[1]_[2].

وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم : أنّ جماعة سألوا جدّي عن يزيد فقال : ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين في السنة الأُولى قتل الحسين وفي الثانية أخـاف المدينة وأباحها وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها ؟

فقالوا : نلعن ، فقال : فالعنوه[3].

وقال جدّي في كتاب (الردّ على المتعصّب العنيد) جاء في الحديث : لعن من فعل ما لا يقارب عشر معشار فعل يزيد وذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري ومسلم فـي (الصحيحين) مثل حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه لعن الواشمات والمـتوشّمات ، وحديث ابن عمر لعن الله الواشمة والمتوشّمة ولعن الله المصوّرين وحديث جـابر لعـن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل الربا وموكله ، وحديث ابن عمر في مسند أحمد لعنت الخمر عـلى عشرة وجوه .. وأورد أخباراً كثيرة في هذا الباب وكلّ هذه الأشياء دون فعل يزيد الذي قتل الإمام الحسين وأخوته وأهله ونهب المـدينة وهـدم الكـعبة وضـربها بـالمجانيق وأشعاره الدالّة على فساد عقيدته ومن رام الزيادة على هذا فليقف على كتابه[4].

---

(١) سورة هود : ٩٥ .

(٢) تذكرة الخواص ص ٢٦١ .

(٣) تذكرة الخواص ص ٢٦١ .

(٤) تذكرة الخواص ص ٢٦٠ _ ٢٦٢

اللهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له على ذلك اللهمّ العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله اللهمّ العنهم جميعاً[١].

يزيد يفتضح ويتورّط[٢]

وبعد واقعة الطفّ أحسّ يزيد أنّه وقع في ورطة كبيرة ، فقد كرهه الناس ولم يعد لحديثه في آل البيت عليهم السلام أي أثر في نفوس الجماهير بعدما عرفوا كذبه وخيانته وإجرامه ، وكان يحاول عبر أحاديثه المزيّفة أن يلوّث سمعة سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أنّ جهوده ذهبت أدراج الرياح ، فلم ينجح هذا الطاغية في اتّهام الإمام الحسين عليه السلام على أنّه خارجي أو كافر ، وكيف يكون ذلك وقد تكلّم رأسه الشريف أمام الناس في مجلس يزيد عندما أمر الأخير بقتل سفير الروم جرّاء اعتراضه عليه في قتل الإمام الحسين عليه السلام فنطق الرأس قائلاً : لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

فمن الذي رأى أو سمع أنّ رأساً مقطوعاً يتكلّم بلغة فصيحة ؟ وهل يستطيع ابن ميسون أن يقاوم هذا الإعجاز الإلهي ؟ وهل أنّه يقدر على إطفاء هذا النور الربّاني ؟ كلّا وحاشا .

ولذلك كان السخط الجماهيري قد غطّى نظرة عامّة الناس تجاه يزيد اللعين بل شملت هذه النظرة بيته أيضاً ، فعندما شاهدت زوجته هند بنت عمرو بن سهيل[٣] الأنوار

---

(١) زيارة عاشوراء .

(٢) إلى هذا المبحث كانت الترجمة لسماحة الشيخ فاضل الفراتي أمّا البقية فقد ترجمت على يد الشيخ جاسم الأديب .

(٣) هند كانت زوجة عبدالله بن عامر بن كريز وهو ابن خال عثمان بن عفّان ، ولمّا علم معاوية إنّ ابنه يزيد يرغب في هند ، عمل على تطليقها من زوجها عبدالله ، وقد ذكر الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام حيلة معاوية ومكره في تطليق هذه المرأة وزواجها من يزيد ، وهو أمر غير بعيد عن سياسة معاوية فإنّه عرف ⇐

الإلهية نازلة وصاعدة من السماء على المكان الذي تسكن فيه هالها المنظر الرهيب وانطلقت نحو موضع النور فوجدت رأس الإمام الحسين عليه السلام ولكنّه كان أمام يزيد في مجلسه فدخلت عليه بدون حجاب وكان يزيد يقول : هذا رأس ابن بنت رسول الله في بيتنا ، ولمّا رأى اللعين زوجته مكشفة الرأس نهض إليها وغطّى رأسها وقال لها : أبكي وانحبي على الحسين فإنّه كان صريخ بني هاشم وقد تعجّل ابن زياد في قتله[1].

وذات مرّة شاهدت هند في عالم الرؤيا ملائكة الله تنزّل من السماء على رأس الإمام الحسين عليه السلام وتطوف حوله ثمّ تسلّم عليه ، ولمّا استيقظت ذهبت إلى يزيد لتخبره بالرؤيا فوجدته في إحدى الغرف وهو جالس يبكي ويقول : مالي ومال الحسين ، فعلمت أنّ يزيد هو الآخر قد شاهد ما رأته هي .

نعم لقد تعرّض يزيد إلى موجة عظيمة من السخط الجماهيري وكلّما حاول أن يتدارك الأمر بالخطابات التعسّفية اتّجاه أهل البيت عليهم السلام لم ينجح أبداً ، وغاية ما حقّقه هو أنّه ألقى بالذنب كلّه على ابن زياد لكي ينجو هو من هذه الورطة ، ولكن حتّى هذا الأمر لم يخف على الناس بعدما عرفوا رسالته إلى والي المدينة يطالبه في أخذ بيعة أهل المدينة له وكان في ضمن هذه الرسالة رسالة صغيرة كتب فيها خذ البيعة من الحسين أيضاً فإن امتنع اضرب عنقه[2].

ولا يخفى أنّ الذي دعا يزيد إلى ذلك هو علمه الواضح أنّ الخليفة الشرعي هو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه مورد اتّفاق جميع المسلمين ، وكان يعلم أيضاً أنّ الناس بايعوا معاوية خوفاً من سطوته لا حبّاً له ، وبهذا فشل يزيد في تبرئة نفسه من دم الحسين الشهيد عليه السلام

⇐ بهذه الأساليب ، وقد ذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة كيف أنّ يزيد رغب في جمال أُرينب فعمل معاوية على طلاقها من زوجها عبدالله بن سلام ج ١ ص ٦١ وقد ذكر مؤلّف كتاب نهاية الارب ج٦ ص ١٨٠ هذه القصّة كاملة لكنّه أبدل أُرينب بـ« زينب » .

(١) مقتل العوالم ص ١٥١ ، وتاريخ الطبري ج٦ ص ١٥٠ .

(٢) تاريخ الطبري ج٦ ص١٨٨ ، وتاريخ ابن الأثير ج ٤ ص ٥ ، والبداية ج٨ ص١٤٦ .

وفشل في القاء الأمر كلّه على ابن زياد ظنّاً منه أنّ الحقائق لا تظهر بعد حين ، فـهاهو التاريخ اليوم يشهد أنّ يزيد قتل الإمام الحسين عليه السلام .

دفاع الغزالي عن يزيد !

بالرغم من كلّ هذه الأمور الدالّة على كفر يزيد الطاغية إلّا أنّ الغزالي يصرّح في كتابه « إحياء العلوم » بعدم جواز لعنه ، بل إنّه منع من لعن قتلة سيّد الشهداء عليه السلام قاطبة ولو كان اللعن مجملاً كقولك (لعنة الله على قاتل الحسين) فحتّى مثل هذا يعدّه ممنوعاً شرعاً ، وحجّته في ذلك أنّ من الممكن توبة قاتل الحسين مع أنّ خباثة يزيد لم تنقطع يوماً عنه فقد استمرّ اللعين في إجرامه إلى أواخر أيّامه كإباحة المدينة ورجم الكعبة وما إلى ذلك ، وقد شبّه الغزالي يزيد بوحشي قاتل حمزة عليه السلام الذي تاب من عمله ، ولذلك فلا يجوز لعنه مع أنّ القتل من الذنوب الكبيرة إن لم يتب صاحبه منه فإنّه في خطر عظيم .

والحال أنّ هذا النوع من القياس غير صحيح لأنّ وحشي عندما قتل حمزة سيّد الشهداء عليه السلام كان كافراً ولمّا أسلم جُبّ عنه كلّ شيء إذ أنّ الإسلام يجب ما قبله ، ومع ذلك فإنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يطق رؤية وحشي حتّى مع إسلامه وقال له : غيّب وجهك عنّي !!

أمّا يزيد فلم يكن في الظاهر كافر بل كان يدّعي الإسلام وأنّه خليفة النبي صلى الله عليه وآله على المسلمين ! ومع ذلك قتل الإمام الحسين عليه السلام ، فتشبيهه بوحشي ليس بصحيح أصلاً ، بل إنّ فعل يزيد يكفي للحكم عليه بالكفر والارتداد لأنّه كان يعرف مَن هو الإمام الحسين عليه السلام ، الجدير ذكره أنّ هذا الطاغية صرّح في أشعاره وكشف عن دوافعه الخبيثة في قتل الإمام الحسين ألا وهي الانتقام من النبي صلى الله عليه وآله الذي قتل آبائه وأجداده في بدر وأُحد فقد أنشد :

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج .

وقال :

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل ..

ولذلك فلا معنى لتوقّف الغزالي عن لعن هذا المجرم ، الذي لعنه نفس علماء السنّة

وصرّحوا بجواز لعنه لأنّه خارج عن الدين مستدلّين على ذلك بمثل هذه الأشعار المصرّح بها بالكفر .

فقد نقل أنّه لمّا رأى سبايا آل محمّد صلى الله عليه وآله على الجمال على ربى جيرون وسمع صوت الغراب ينعق قال :

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربى جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديونِ[1]

وممّن صرّح بكفر يزيد من علماء أهل السنّة القاضي أبو يعلى وأحمد بن حنبل وابن الجوزي[2] والكياهرسي[3] والشيخ محمّد البكري وسعد التفتازاني[4].

فمن كلام للجاحظ قال فيه : إنّ الجرائم التي ارتكبها يزيد من قتله للإمام الحسين عليه السلام وإخافته لأهل المدينة وخرابه الكعبة وأسره لبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وضربه ثنايا الحسين عليه السلام بالعصا ، ألا تُعد دليلاً على قساوته وعداوته وكرهه وحقده وعناده ونفاقه ، أمّ أنّها تدلّ على محبّته وإخلاصه للنبي وآله عليهم السلام ؟

ثمّ إنّه قال : وعلى أي حال فهذه الأعمال مصداق لفسقه وضلاله ، فهو فاسق ملعون وكلّ من منع من لعنه فهو ملعون[5].

كما لم يتردّد العلّامة الآلوسي في لعن يزيد ، الذي جمع الخصائص الخبيثة وقضى أيّام حياته بارتكاب المعاصي الكبيرة والإصرار عليها ، فمن خباثته وفسقه ما ارتكبه في مكة ورضاه بقتل الإمام الحسين ـ على جدّه وعليه أفضل السلام ـ بل وسروره لقتله ، وإهانته لآل الحسين عليه السلام ، واعتقد الآلوسي أنّ هذا الخبيث لم يعتقد بالرسالة الخاتمة

---

(١) روح المعاني ج٨ ص١٢٥ في تفسير قوله : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ .

(٢) تذكرة الخواص ص١٦٢ .

(٣) وفيّات الأعيان .

(٤) السيرة الحلبية ج١ ص١٧٢ .

(٥) رسائل الجاحظ ص٢٩٨ .

للنبي ﷺ ، وعلى أي حال فإنّ مجموع ما ارتكبه يزيد الطاغية من إهانته الساكنين في الحرم الإلهي (مكّة) وما جناه بحقّ آل النبي ﷺ وعترته الطاهرة سواء في حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام أو بعد شهادته ، فضلاً عن تفاخره وتكبّره الذي لا يقلّ عن تجاسره على القرآن الكريم لمّا جعله في الأوساخ والقاذورات ، ولا أتصوّر أنّ أمره يخفى على أغلب المسلمين ، نعم أنّ المسلمين آنذاك كانوا مغلوبين على أمرهم من « حكّام الجور » ولم يكن أمامهم سوى الصبر إلى أن قضى الله تعالى فيه بقضائه العادل فأهلكه وأراح العباد من شرّه .

وإذا كان هناك من يحتاط ويخشى أن يلعن يزيد علانية ، فليقل هكذا :

« اللهمّ العن الراضين بقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وعترة الرسول ﷺ الذين آذوهم بلا ذنب وغصبوا حقّهم » وبهذه الطريقة فإنّه يلعن « يزيد » الذي يشمله اللعن بالخصوص .

فضيحة ألاعيب معاوية

فور ما تلقّى مروان بن الحكم رسالة معاوية توجّه نحو منزل عبدالله بن جعفر مسروراً متصوّراً أنّ بني هاشم سيقبلون هذا الطرح ويرحّبون به كسائر الناس العاديين المنكبين على حطام الدنيا وأنّ هذه الخدمة الجليلة ستخلّد اسمه في التاريخ .

ولذلك اجتمع بجماعته وطرح عليهم اقتراح معاوية الشيطاني وألقى عليهم خطبة مفصّلة أثنى فيها على آل بيت الرسول ﷺ وأشاد بفضائلهم ، ثمّ أشار إلى مسألة المهر وأبدى استعداده لتسديد جميع ديون عبدالله بن جعفر وضرورة رفع الخصومة بين الطرفين والسعي من أجل فتح صفحة جديدة في تاريخيهما ثمّ جلس مسروراً لينظر ماذا يكون الجواب ؟

لحظات قليلة والصمت يعمّ المجلس بينما غرق العديد من الحضور في بحر لجي من الأفكار الطويلة التي لا أوّل لها ولا آخر .. فيما أخذ البعض يحدّث نفسه بأهميّة مثل

هذه الفرصة الذهبية .

وبينما هم كذلك إذا بسيّد الشهداء عليه السلام الذي كان مطّلعاً على المخطّط الشيطاني أقبل وجلس في جانب المجلس ليرى ما هي ردّة فعل الحاضرين وكيف سيتعاملون مع هذه الأُلعوبة التي دبّرتها الأيادي الأموية بكلّ خباثة .

مباشرة التفت عبدالله بن جعفر إلى مروان والي المدينة وقال له : إنّ أمر ابنتي بيد خالها فهو زعيم بني هاشم وملاذهم .

آنذاك التفت أبو عبدالله الحسين عليه السلام إلى القوم وخطب فيهم خطبة بليغة قطع فيها نزاع القوم وخيّب آمال بني أُميّة وحدّد للجميع حقيقة آل الرسول صلى الله عليه وآله وواقع بني أُمـيّة المخبوء على بعض الناس .

ومن الأُمور التي أشار إليها سيّد الشهداء عليه السلام في خطابه هي الشروط الثلاثة التي طرحها مروان فقال :

يامروان ، قد قلت ، فسمعنا ، أمّا قولك : مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته عليهم السلام ، وهو اثنتا عشرة أُوقية ، يكون أربعمائة وثمانين درهماً . وأمّا قولك مع قضاء دَين أبيها ، فمتى كنّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا ؟!

وفي هذا إشارة أنّ بني أُميّة كانوا يوسطون نساءهم في تسديد ديونهم .

وقال عليه السلام : واعلم أنّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممّن يغبط يزيد بكم ، وأمّا قولك : من يغبطنا به أكثر ممّن يغبطه بنا ، فإنّما يغبطنا به أهل الجهل ، ويغبطه بنا أهل العقل[1].

صراع الحقّ والباطل

كما أشار سيّد الشهداء عليه السلام في خطبته إلى استحالة تحقّق الشرط الثالث الذي كان

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص٣٨.

بنو أُميّة يركّزون عليه ألا وهو الصلح بينهم وبين بني هاشم ومدّ جسور العلاقة والمودّة بينهما فقال عليه‌السلام : إنّا قوم عاديناكم في الله ولم نكن نصالحكم للدنيا فلقد أعيى النـاس فكيف السبب[١].

وحقيقة إنّ هذه العبارة من سيّد الشهداء عليه‌السلام خيّبت كلّ آمال مـعاوية وأتـباعه وكشفت لهم حقيقة موقف آل الرسول عليهم‌السلام وأتباعهم تجاههم ، الجدير ذكـره أنّ سـيّد الشهداء عليه‌السلام في نفس المجلس زوّج ابنة عبدالله بن جعفر من أحد الهـاشميين بـعد أن وهبهما ضيعة في المدينة ليقطع بذلك كلّ آمال يزيد ويخيّب أحلامه .

وعندما سمع مروان البليد هذه الكلمات النارية اضطرّ أن يترك المجلس خجلاً وهو يجرّ أذيال الخزي والعار بعد أن عرف الجميع الفرق الجلي بين أهل الحقّ والباطل .

وفي واقع الأمر أنّ سيرة أهل البيت عليهم‌السلام قد جرت على ذلك ، فهم لا يداهنون أهل الباطل ولا يجاملونهم أو يمدّوا إليهم يد السلام أبداً .

ولذا فمن الواجب على كلّ من يـواليـهم ويـظهر المـحبّة لهـم ـ خـاصّة لسـيّد الشهداء عليه‌السلام الذي رفض الانصياع لأهل الباطل ـ أن يرفض أهل الباطل ولا ينخدع بهم ويدقّق جيّداً في تعامله معهم .

خطبة الإمام الحسين عليه‌السلام في مجلس معاوية

نقل أنّ سيّد الشهداء عليه‌السلام دخل مجلس معاوية بن سفيان في أحـد الأيّـام فألحّ الناس عليه بشدّة وتوسّلوا به كي يخطب فيهم ويعظهم ، فخطب أبو عبدالله عليه‌السلام خـطبة بليغة أشار فيها إلى شرائط القائد في نظر الإسلام وفضح بذلك معاوية السوء الذي كان يدّعي زوراً أنّه يتحلّى بمثل هذه الشرائط .

ومن أهم تلك الشرائط التي أكّد عليها سيّد الشهداء عليه‌السلام في خطبته هو اطّلاع القائد الإسلامي على حقائق القرآن الكريم والتزامه التامّ بها وعمله المستمرّ بإرشاداته وأوامره

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٣٩.

ونواهيه .

وفي طيّات خطابه عليه السلام أشار إلى مسؤولية الأُمّة في اختيار القائد المناسب ولزوم إطاعتهم له فقال :

نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله الأقربون ، وأهل بيته الطـيّبون ، وأحد الثقلين اللذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى الذي تفصيل كلّ شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعوّل علينا في تفسيره ولا يبطينا تأويله ، بل نتّبع حقائقه ، فأطيعونا فإنّ طاعتنا مفروضة ، أن كانت بطاعة الله ورسـوله مقرونة(١).

إنّهم لا يميّزون بين الناقة والجمل

نقل المؤرّخ الشهير علي بن حسـين المسـعودي الذي يـعتبر مـن المـؤرخـين الإسلاميين الكبار في كتابه « مروج الذهب » فقال : إنّ رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفّين ، فتعلّق به رجل من دمشق فقال : هذه ناقتي أُخذت منّي بصفّين ، فارتفع أمرهما إلى معاوية ، وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بيّنة يشهدون أنّها ناقته ، فقضى معاوية على الكوفي ، وأمره بتسليم البعير إليه ، فقال الكوفي : أصلحك الله ! إنّه جمل وليس بناقة ، فقال معاوية : هذا حكم قد مضى ، ودسّ إلى الكوفي بعد تفرّقهم فأحضره وقال له : أبلغ علياً أنّي أُقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة والجمل(٢).

وذكر المسعودي بعد نقله لهذه القضية فقال : وقد بلغت طاعة الناس لمعاوية حدّاً بحيث أنّه صلّى بهم حين ذهابه إلى صفّين الجمعة يوم الأربعاء ولم يقل له أحد أنّ اليوم هو

---

(١) وسائل الشيعة ج١٨ ص١٤٤ ح٤٥ .

(٢) مروج الذهب ج٣ ص٣١ ـ ٣٢ .

الأربعاء، فلماذا تصلّي صلاة الجمعة[١]؟!

كفر بني أُميّة

عندما آلت الخلافة إلى بني أُميّة أخذوا يتلاعبون بها تلاعب الصبيان في الكرة وعمدوا إلى تضليل أهل الشام واقصائهم عن أهل البيت عليهم السلام فابتدعوا قضيّة لعن وسبّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ما يقارب ثمانين عاماً حتّى شبّ على ذلك الصغار وشاب عليها الكبار فصار الشاميون لا يميّزون بين الحقّ والباطل.

وقد بلغ من شدّة الحرب الإعلامية ضدّ أهل البيت عليهم السلام في الشام أنّ الكثير من الناس آنذاك لم يكونوا يسمعوا باسم الحسنين عليهما السلام بل ولم يطّلعوا على الواحد من الألف من فضائل أهل البيت عليهم السلام.

بل إنّهم لم يسمعوا بفضائل آل الرسول صلى الله عليه وآله إلّا في مجلس يزيد الطاغية عندما ارتقى سيّد الساجدين عليه السلام الأعواد وأخذ يعدّد فضائل أمير المؤمنين وسائر أهل البيت عليهم السلام وكشف للشاميين رذائل بني أُميّة وآل مروان، وكيف أنّهم تجاسروا على الله تعالى وقتلوا ريحانة الرسول وسيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام والصفوة المختارة من أهله وصحابته.

وعلى كلّ فقد بلغ تأثير الحرب الإعلامية التي شنّها بنو أُميّة ضدّ أهل البيت عليهم السلام أنّهم لمّا سمعوا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد استشهد في المحراب تساءلوا بكلّ تعجّب وقالوا: وهل كان علي يصلّي حتّى يقتل في المحراب[٢]؟!

---

(١) بررسى تاريخ عاشوراء ص٤٨ للمرحوم الدكتور محمّد إبراهيم آيتي بيرجندي.

(٢) بررسي تاريخ عاشوراء دكتور محمّد إبراهيم برجندي ص٤٨.

الخلافة الموروثة

بعد أن استشهد أمير المؤمنين عليه السلام رجع الناس حسب وصيّته إلى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وبايعوه ، وقد تصدّى الإمام عليه السلام للخلافة ونهض بأعباءها إلّا أنّ معاوية السوء لم يجلس مكتوف اليدين وبقي يجيّش الجيوش ويجنّد الرجال إلى أن خرج بجيش جرّار متّجهاً نحو العراق لمقاتلته عليه السلام .

وليس ذلك فحسب ، وإنّما أخذ معاوية يدبّر المؤامرات الشيطانية وينفق الأموال الطائلة فاشترى العديد من أنصار من الإمام الحسن عليه السلام وأغرى الكثير منهم حتّى اضطرّ سبط رسول الله عليه السلام أن يصالحه ويتنازل عن حقّه في الخلافة ولكن بشرط أن تعود إليه بعد موت معاوية اللعين[١].

وفي عام ٤٠هـ وبعد أن استولى معاوية على الخلافة جاء إلى العراق وخطب في الناس وكشف لهم مدى خباثته وحماقته فقال : ما قاتلتكم لتصوموا أو تصلّوا وإنّما قاتلتكم لأتولّى عليكم وقد مكّنني الله من ذلك[٢].

وقال أيضاً : كنت قد عاهدت الحسن بن علي بأُمور ، وها أنا ذا أضعها تحت أقدامي[٣].

وفي واقع الأمر أنّ معاوية عبر كلامه هذا كشف للناس أنّ سياسته لا ربط لها بالدين أصلاً ، وأنّه غير حاضر للالتزام بكلّ العهود والمواثيق التي عاهد الإمام الحسن عليه السلام والناس عليها ، ولذلك عكف على تسخير كلّ القوى للمحافظة على حكومته وسلطنته في البلاد . ولا يخفى أنّ هكذا طريقة في الحكم لا يمكن أن تسمّى خلافة وإنّما هي ملكية

---

(١) نفس المصدر ص٤٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤ ص١٦٠ ، تاريخ الطبري ج٤ ص١٢٤ ، تاريخ ابن الأثير ج٣ ص٢٠٣ .

(٣) نفس المصدر .

وفرض للسلطنة ، ولذا فإنّ بعض من ذهبوا لملاقاته كانوا يسلّمون عليه بالملوكية(١) بل إنّه شخصياً عبّر في بعض مجالسه الخاصّة عن حكومته بالملكية وإن كان يتظاهر أمام الملأ بالخلافة(٢).

كما سعى معاوية السوء أن يصير ملكه الذي شيّده على الظلم والطغيان والاستيلاء على رقاب العباد وراثة يتداول بين ذرّيته وجماعته من بني أُميّة .

وبالفعل فقد عيّن معاوية ابنه يزيد كخليفة من بعده رغم تجاهره بالفسق واطلاع الناس على فساده وانحرافه .

من جانب آخر فإنّ معاوية لكي يصل إلى ما أذاع بـه أمـام النـاس مـن نـقضه لمعاهدته مع الإمام الحسن عليه‌السلام وإدلائه بالخلافة لابنه يزيد شارب الخمور دبّر مخطّطاً شيطانياً آخراً للإمام الحسن عليه‌السلام ودسّ إليه السمّ الفتّاك فـاستشهد مسـموماً مـظلوماً صلوات الله عليه وخلى الجو لابنه يزيد .

ولا يخفى أنّ معاوية بالغائه المعاهدة مع الإمام الحسن عليه‌السلام صرّح عمليّاً أنّـه لن يترك شيعة أهل البيت عليهم‌السلام آمنين يتّصلون بأئمّتهم ويستفيدون من إرشاداتـهم القـيّمة ومواعظهم المفيدة ، وهذا ما حصل فعلاً .

فقد أعلن أمام الملأ أنّ كلّ من ينقل حديثاً أو منقبة من مناقب أهل البيت عليهم‌السلام لا حرمة لنفسه وماله وعرضه ، كما أكّد اللعين على نشر الفـضائل المـبتدعة لبـعض مـن يسمّونهم بالصحابة والخلفاء . وبالمقابل ابتدع معاوية مسألة لعن أمير المؤمنين عليه‌السلام على المنابر وبقي ذلك حتّى زمان الخليفة الأموي عمر ابن عبدالعزيز .

وبالاضافة إلى ذلك فقد بعث إلى عمّاله في كلّ البلاد وأمـرهم بـقتل ومـطاردة صحابة أمير المؤمنين عليه‌السلام وخواصّه فضلاً عن الجاء الشيعة عامّة إلى التبرّي من الإمـام

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩٣ .

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٠٢ .

علي عليه السلام ولعنه علانية ومن يأبى منهم فلا يتردّدون في قتله(١).

التشديد على الشيعة

من أشدّ الأزمنة التي مرّت على الشيعة في تاريخهم الطويل هو زمان معاوية بن أبي سفيان الذي حكم عشرين عاماً وأذاقهم فيها أشدّ المعاناة والمحن، علماً أنّ إمامين من أئمّة الهدى ـ الحسن والحسين عليهما السلام ـ كانا في ذلك العهد يشاهدان ويعايشان الأحداث المأساوية التي تمرّ على شيعتهم ومحبّيهم إلّا أنّهما لا يستطيعان دفع هذه المآسي عنهم.

وحتّى سيّد الشهداء عليه السلام الذي ثار ضدّ يزيد الطاغية خلال الستّة أشهر الأُولى من حكومته واستشهد هو وأنصاره الخلّص لم يستطيع أن يصنع شيئاً أيّام معاوية.

الملفت للانتباه أنّ أكثر أهل السنّة يوجّهون قتل من يسمّونهم بالصحابة للشيعة المظلومين وتنكيلهم بهم ـ خاصّة معاوية الذي أخذ الكثير من علماء السنّة يوجّهون أفعاله ويحملونها على المحامل الحسنة كأن يقولوا: هؤلاء من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وقد ورد في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله أنّ الصحابة مجتهدون ومعذورون، وأنّ الله تعالى راضٍ عنهم وأنّ كلّ ما يفعلونه من جرائم وجنايات سيغفرها الله لهم. مقابل توجيهات السنّة البعيدة عن الإنصاف رفض الشيعة مثل هذه الإعذار والتوجيهات وذلك لـ:

١ ـ ليس من المعقول أنّ مثل الرسول صلى الله عليه وآله الذي بعث لإحياء الحقّ وتطبيق العدالة ونشر الحرّية بعد أن ضحّى التضحيات العظيمة وعانى هو وأتباعه أمرّ الويلات والمصائب يترك الأُمّة سدى دون راعي أو قائد يقودها من بعده.

٢ ـ إنّ الروايات المجعولة الدالّة على عدالة مطلق الصحابة مهما كانوا إنّما وردتنا من نفس الصحابة الذين وضعوا مثل هذه الروايات ليغطّوا بها فضائحهم وزلّاتهم.

وممّا يشهد على ذلك أنّ نفس الصحابة لم يعملوا بمثل هذه الروايات وكانوا ينالون

---

(١) النصائح الكافية ص٥٨، ٦٤، ٧٧، ٧٨.

من بعضهم البعض ويتهجّمون على غيرهم حتّى قتل بعضهم بعضاً ولعن كلّ منهم البقيّة .

وعليه فإنّ نفس عمل الصحابة يكذب مثل هذه الروايات الموضوعة ، وإذا سلّمنا بصحّتها فلابدّ من حملها على معنى آخر غير المعنى الخاطئ الذي يفسّره البعض من تقديس البعض ممّن يسمّونهم بالصحابة .

وعلى فرض أنّ الله تعالى دعا إلى تقديس الصحابة واحترامهم فإنّ ذلك مقتصراً على المواضع الخاصّة التي مدحهم الله تعالى(١) ولا تبقى هذه القداسة لهم على مرّ الزمان حتّى لو سوّدوا بأفعالهم صفحات التاريخ .

استقرار سلطنة بني أُميّة

بعد أن توفّي معاوية بن أبي سفيان عام ٦٠هـ تولّى ابنه يزيد الطاغية زمام الحكومة الإسلامية وذلك طبق البيعة التي أخذها له والده زوراً من الناس .

وكما قلنا سابقاً فإنّ يزيد بشهادة التاريخ لم يكن متديّناً أصلاً ، بل كان شاباً لا أُبالياً حتّى في زمان والده المشؤوم لم يكن يعتني بالقوانين الإسلامية ولم يكن له همّ سوى اللهو والفساد .

وقد ارتكب يزيد خلال السنين التي حكم فيها المسلمين مخازي وفجائع لم يسمع بها التاريخ من قبله . ومن بعد يزيد استلم بنو مروان الخلافة ووصلت إلى أيديهم ، وكما ينقل المؤرخون أنّ الحكومة الإسلامية بقيت بيد بني مروان ما يقارب سبعين عاماً ولم يمرّ على الإسلام والمسلمين مثل هذه السنين العجاف حتّى بلغ الأمر أنّ أحدهم ممّن يسمّونهم بخلفاء الرسول وحماة الدين صمّم أن يتّخذ لنفسه غرفة فوق الكعبة المقدّسة

---

(١) هذه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة : ١٠٠ .

يقضي فيها أوقات اللهو وساعات المجون أيّام الحجّ[١].

كما أنّ أحدهم تفأّل بالقرآن الكريم وإذا به يقرأ قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢]، فوضع القرآن ورماه بسهامه وقال:

تهدّدني بجبّار عنيد فها أنذا جبّار عنيد
فإذا ما جئنا يوم حشر فقل ياربّ مزّقني الوليد[٣]

بالطبع فإنّ الشيعة لهم اختلاف أساسي مع السنّة في مسألتين وهما: الخلافة والمرجعية الدينية.

وحيث إنّ الحكومات الجائرة على مرّ التاريخ كانت تطارد الشيعة وتضيّق عليهم الخناق في معتقداتهم فإنّ الكثير منهم حرم من نعمة جوار الأئمّة عليهم السلام ونزلوا البلاد النائية.

وبالرغم أنّ المضايقات الشديدة التي لاقاها الشيعة الموالون لا تكاد تعدّ أو تحصى إلّا أنّهم كانوا يوماً بعد الآخر يزدادون اعتقاداً بأئمّتهم خاصّة سيّد الشهداء عليه السلام الذي قتل جوراً بيد الطاغية يزيد وأعوانه الطغاة.

ولعلّ خير شاهد على هذا الكلام أنّ الشيعة لمّا أحسّوا بالفرج أيّام الإمام الباقر عليه السلام حيث كانت الحكومة الأموية مشغولة بنفسها أخذوا يتقاطرون عليه من كلّ حدب وصوب وبقوا ينهلون ويستفيدون من علومه المباركة.

وقد بلغت هذه الحالة حدّاً بحيث إنّ القرن الأوّل للهجرة لم ينته إلّا والشيعة قد نزلوا قم وعمّروها[٤].

ومع أنّ الشيعة كانوا يعملون بالتقيّة كما أوصاهم الأئمّة الأطهار عليهم السلام إلّا أنّ الكثير

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٣ ص٧٣.

(٢) سورة إبراهيم: ١٥.

(٣) مروج الذهب ج٣ ص٢٢٨.

(٤) معجم البلدان مادّة قم.

من العلويين ثاروا ضدّ الحكومات الفاسدة آنذاك لشدّة المضايقات المفروضة عليهم وعادة ما كان هؤلاء العلويين يحوزون على الشهادة.

وكانت الحكومات الجائرة تتفنّن في التمثيل بمثل هؤلاء السادة والشواهد على ذلك كثيرة منها ما صنعوه بزيد بن الإمام السجّاد عليه السلام حيث أخرجوا جسده من قبره وصلبوه ثلاث سنين ثمّ أنزلوه وحرقوه وذروا رماد جسده في الهواء(١).

الشيعة في القرن الثاني للهجرة

في أواخر الثلث الأوّل من القرن الثاني للهجرة توالت العديد من الانقلابات والحروب الدامية التي جاءت على أثر ظلم بني أُميّة وسوء تعاملهم مع الناس في مختلف المناطق الإسلامية في العالم.

من جانب آخر فقد ظهرت في خراسان حركة جديدة باسم أهل البيت عليهم السلام وكان المتصدّي لها هو أبو مسلم المروزي القائد الايراني الذي ثار ضدّ بني أُميّة وقاوم حكّامها إلى أن أطاح بدولتهم(٢).

وعلى الرغم أنّ هذا الانقلاب الجديد أخذ يدّعي التبليغ للتشيّع كثيراً ويطالب بالدماء الزاكية لشهداء أهل البيت عليهم السلام علّ الناس يبايعوا أبو مسلم الخراساني الذي يدّعي أنّه مرضي من قبل أهل البيت عليهم السلام إلّا أنّ مثل هذا الانقلاب لم يكن مقبولاً عند الشيعة بدليل أنّ نفس أبو مسلم عرضه بيعته على الإمام الصادق في المدينة فرفضها عليه السلام وقال: «أنت لست من رجالنا ولا الزمان زماننا»(٣).

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٢١٧ ـ ٢١٩، تاريخ اليعقوبي ج٣ ص٦٦.

(٢) الشيعة في الإسلام العلّامة الطباطبائي ص٢٦.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٣ ص٨٦، مروج الذهب ج٣ ص٢٦٨.

ولمّا استولى بنو العبّاس على الخلافة باسم أهل البيت عليهم السلام[١] تلاطفوا في بداية الأمر مع الناس والعلويين خاصّة وأذاعوا بين الملأ أنّهم سينتقمون لشهداء العلويين وأعربوا عن سخطهم الكامل على بني أُميّة واهداروا دمائهم بحيث إنّهم كلّما وجدوا قبر أحد أُمرائهم أحرقوه[٢] إلّا أنّهم بعد ذلك كشفوا عن حقيقتهم السيّئة وأعادوا تاريخ بني أُميّة كاملاً بل وتجاوزوا الحدّ وأنسوا الناس ظلم بني أُميّة.

على كلّ فقد تجاوز الأمويون على الإمام السجّاد عليه السلام ودسّوا إليه السمّ الفتّاك فمات عليه السلام شهيداً مسموماً[٣].

ناهيك عن قتلهم لريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّدا شباب أهل الجنّة حيث دسّوا للإمام الحسن عليه السلام السمّ وقتلوا سيّد الشهداء عليه السلام بتلك الصورة البشعة.

وقد بلغت فضائح بني أُميّة حدّاً أنّ أهل الذين يعتبرون مطلق الخلفاء مفترضي قسّموا الخلفاء إلى:

١ ـ الخلفاء الأربعة الأوائل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وهم: أبو بكر وعمر وعثمان والإمام علي عليه السلام.

٢ ـ الخلفاء الغاصبون: ويبدأون من معاوية بن أبي سفيان وينتهون إلى بني مروان.

وعلى أثر شدّة ظلم الأمويين وإعاثتهم الفساد في البلاد سخط الناس عليهم وتفاعلوا مع العبّاسيين ضدّهم وأطاحوا بدولتهم وذلك في عهد آخرهم وهو مروان الحمّار.

وكما ينقل المؤرخون: أنّ العبّاسيين عندما ثاروا ضدّ الأمويين فرّ أبناء مروان وعياله على وجوههم وطرقوا أبواب الكثير من الناس علّهم يؤونهم ويحمونهم إلّا أنّ

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٨٦، مروج الذهب ج ٣ ص ٢٦٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٩١ ـ ٩٦، تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢١٢.

(٣) بحار الأنوار ج ١٢.

أحداً لم يقبل ذلك فبقوا في صحراء « النوبة » حيارى مدّة وقد مات الكثير منهم من شدّة الجوع والعطش ، أمّا البقيّة فقد لجأوا إلى اليمن بزي الحمّالين ومنها ذهبوا إلى مكّة واختفوا فيها[١].

خلاصة القول إنّ بني العبّاس لم يبقوا لبني أُميّة في الظلم شيئاً حتّى صار الناس يترحّمون على أيّام الأمويين من شدّة ما عاثوا في الأرض الفساد .

ففي التاريخ أنّ أحد المغنّين أنشد للأمين العبّاسي بيتين من الشعر حرّك فيهما شهوته فوهب له ثلاثة ملايين درهماً ، وإذا بالمغنّي يسقط على قدمي الأمين يقبّلهما من شدّة الفرح وهو يقول : ياأمير المؤمنين أكلّ هذه الأموال لي ؟ فأجابه الأمين قائلاً : لا يهمّ ، سأُعوّضها من إحدى البلاد[٢].

يزيد ... والسرور الذي لم يدم

لقد بلغت تبليغات بني أُميّة ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام في الشام حدّاً بحيث إنّ الناس في ذلك البلد كانوا يعتقدون أنّ بني أُميّة أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وآله .

ولكن وبعد أن قدم أهل البيت عليهم السلام إلى الشام أُسارى ، وعلى أثر خطابات الإمام السجّاد عليه السلام فوق منابر دمشق وفي شوارعها فضلاً عن خطابات السيّدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد وبعد أن اتّصل الناس بالإمام زين العابدين عليه السلام وحقّقوا عنه انكشفت لهم الحقيقة وافتضح يزيد اللعين ، ولذا فإنّه بعد تلك الخطابات لم يستطع ابقاء أهل البيت عليهم السلام في الشام خشية أن ينقلب الناس عليه .

فقد كان الأمويون يوصلون الحقائق إلى الناس في الشام معكوسة ضدّ أهل البيت عليهم السلام بحيث إنّ هذه التبليغات السيّئة أخذت مأخذها عند أهل الشام حتّى أنّ مشايخ دمشق حسب نقل « تجارب السلف » تأثّروا بمثل هذه الدعايات الضالّة ، ولو أنّ

(١) الشيعة في الإسلام العلاّمة الطباطبائي ص٢٦ .

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

أهل البيت عليهم السلام لم يدخلوا الشام أُسارى لما انكشفت لهم الحقيقة ولبقوا مخدوعين حتّى اليوم.

وعلى أيّة حال، فقد ظنّ يزيد اللعين أنّه ـ وحسب الظاهر ـ انتصر على سيّد الشهداء عليه السلام بعد قتله إيّاه وسبي ذرّيته إلى الشام وأنّ الأُمور ستستقرّ له ويصفو له الجو بحيث يبقى هو وأحفاده رغيدي العيش مرتاحين البال يتنعّمون في ملكهم.

ولم يعلم ذلك الطاغية أنّ المنتصر الحقيقي هو سيّد الشهداء عليه السلام، ولذا فإنّه لم تنقض مدّة بسيطة حتّى ذهب ملكه وضاع سلطانه وبقي لعنه في التاريخ حتّى أنّ ابنه معاوية ارتقى المنبر يوماً في نفس الشام وتبرّأ من أفعاله السيّئة التي سوّد بها صفحات التاريخ.

نعم، فقد استرّ يزيد في بادئ الأمر بقتل سيّد الشهداء عليه السلام وبعث خلف ابن زياد اللعين وأكرمه بالهدايا والعطايا الجزيلة إلّا أنّ هذه الفرحة لم تدم طويلاً حتّى انقلبت إلى أحزان وآهات.

فقد نقل المحدّث القمّي في كتابه نفس المهموم فقال: أقول: يظهر لمن تأمّل أفعال يزيد وأقواله أنّه لما جيء برأس الحسين عليه السلام وأهل بيته سرّ بذلك غاية السرور، ففعل ما فعل مع الرأس الشريف وقال ما قال وحبس علياً بن الحسين عليه السلام وسائر أهل بيته في محبس لا يكنّهم من حرّ ولا قرّ حتّى تقشّرت وجوههم[1]، فلمّا عرفهم الناس واطّلعوا على جلالتهم وأنّهم مظلومون ومن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كرهوا فعل يزيد بل لعنوه وسبّوه وأقبلوا على أهل البيت عليهم السلام، فلمّا اطّلع يزيد على ذلك أراد أن يفرغ ذمّته من دم الحسين عليه السلام، فنسب قتله إلى ابن زياد ولعنه بفعله ذلك وأظهر الندم على قتله عليه السلام وغيّر

---

(١) ربما يتصوّر البعض من هذه العبارة أنّ أهل البيت عليهم السلام بقوا مدّة طويلة في خرابة الشام حتّى تقشّرت جلودهم، والحال أنّ هذا ليس بصحيح إذ أنّ جلودهم تقشّرت على أثر السير تحت الهجير في الصحاري عندما ساقوهم أُسارى في الصحاري بحيث أنّهم لمّا أُودعوا في خرابة الشام تساقطت جلودهم.

حاله مع علي بن الحسين وسائر أهل بيته ، فأنزلهم في داره الخاصّة حفظاً للملك والسلطنة وجلباً لقلوب العامّة لا أنّه ندم على قتل الحسين عليه السلام وساءه ما فعل ابن زياد بحسب الواقع ونفس الأمر ، والذي يدلّ على هذا ما نقله السبط ابن الجوزي في التذكرة : أنّه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرّب مجلسه ورفع منزلته وأدخله على نسائه وجعله نديمه ، وسكر ليلة وقال للمغنّي غنّ ثمّ قال يزيد بديهاً :

اسقني شربة تروي مشاشي ثمّ مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحسّاد[١]

وفي الكامل لابن الأثير : أنّ ابن زياد التقى بمسافر بن شريح في طريق الشام وقال له : لقد قتلت الحسين بن علي بأمر يزيد ، فهو الذي أمرني بذلك وقال : إمّا تقتل الحسين أو أقتلك ، فاخترت قتله .

ومن هنا يعلم أنّ تظاهر يزيد اللعين بالندامة بعد قتل سيّد الشهداء عليه السلام لم يكن إلّا من باب الحيلة والخدعة والغدر ليبرّء نفسه أمام الناس الذين سخطوا عليه ليجلب رضاهم وودّهم أمّا في الواقع والحقيقة فهو كان مسروراً بقتل الإمام الحسين عليه السلام .

ولعلّ خير شاهد على ذلك هو أنّ شمر بن ذي الجوشن اللعين كان يصلّي ويقول بعد صلاته[٢]:

---

(١) نفس المهموم ص ٤٢١ ، تذكرة الخواص ص ١٦٤ .

(٢) ينبغي لمن يعتقدون بمثل معاوية ويزيد أنّهم من أُولي الأمر ويجب طاعتهم وأن يحكّموا عقولهم ويرجعوا إلى ضمائرهم ويرون هل من الممكن أن يكون أمثال هؤلاء من أُولي الأمر ؟!

وهل يمكن أن يكون أمثال هؤلاء الذين حكموا بخلاف أحكام الله وقتلوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من أُولي الأمر ؟!

بالطبع إنّ الحكم بأنّ أمثال هؤلاء الأوباش من أُولي الأمر هو من التناقض العجيب ، ومن المعروف أنّ الله

⇐

إلهي إنّ طاعة أُولي الأمر هو الذي حداني لقتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

من هم أُولوا الأمر ؟

قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(٢) فقد تظافرت الروايات بين الفريقين أنّ المراد بأُولي الأمر هو أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام من ذرّيته ، فعن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فقال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام (٣).

وفي حديث آخر عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال عليه السلام : « الأئمّة من ولد علي وفاطمة عليهما السلام إلى أن تقوم الساعة » .

فنفس رسول الله صلى الله عليه وآله الذي صرّح قائلاً : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ـ وفي ذلك كناية بأن لا طاعة لمخلوق إطلاقاً لأنّهم غير معصومين وبالتالي فربما يأمرون بمعصية الخالق ـ ينصّ على طاعة الإمام علي وذرّيته المعصومين عليهم السلام طاعة مطلقة وهذا خير دليل على عصمتهم إذ أنّهم لو لم يكونوا معصومين لأمكن أن يأمروا بمعصية الخالق

⇐ تعالى لا يصدر منه التناقض أبداً .

وكما أنّ الله تعالى لا يصدر عنه التناقض ، كذلك القرآن الكريم فهو كلام الله ومن المحال أن يدعو إلى التناقض ؟!

إذن لابدّ من الرجوع إلى العقول السليمة والاعتراف أنّ أُولي الأمر يجب أن يكونوا من المعصومين حتّى لا يلزم التناقض .

(١) راجع ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) الكافي ج ١ ص٢٨٦ ح ١ .

والحال أنّ الرسول ينفيها مطلقاً فلابدّ من القول بعصمتهم مطلقاً .

وممّا يدلّ على أنّ المراد بأُولي الأمر هم الأئمّة الأطهار عليهم السلام هو ما نقله المفسّرون من الروايات الكثيرة التي فسّر رسول الله صلى الله عليه وآله فيها المراد الحقيقي من الآية ونصّ فيها على أسماء الأئمّة المعصومين عليهم السلام واحداً بعد الآخر إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام .

ومن هنا يتّضح أنّ ولي أمر شمر بن ذي الجوشن هو يزيد بن معاوية ، وأنّ العزاء الذي أقامه هذا الطاغية على سيّد الشهداء عليه السلام لم يكن إلّا حيلة ومحاولة لاشغال الناس عن جرائمه البشعة التي سوّد بها صفحات التاريخ .

فمن كلام للمحدّث القمّي في كتاب « نفس المهموم » نقلاً عن كامل البهائي : أنّ السيّدة زينب عليها السلام أرسلت إلى يزيد تسأله الإذن أن يقمن المأتم على الحسين عليه السلام ، فأجاز ذلك وأنزلهنّ في دار للحجارة ، فأقمن المأتم هناك سبعة أيّام ويجتمع عندهنّ في كلّ يوم جماعة كثيرة لا تحصى من النساء . فقصد الناس أن يهجموا على يزيد في داره ويقتلوه ، فاطّلع على ذلك مروان وقال ليزيد : لا يصلح لك أن توقف أهل بيت الحسين في الشام فأعدّ لهم الجهاز وابعث بهم إلى الحجاز . فهيّأ لهم المسير وبعث بهم إلى المدينة[١] .

وعلى كلّ ، فقد سعى يزيد اللعين وبذل جهده على تزييف الحقائق علّه يخمّد من ثورة الناس وسخطهم عليه وكان مروان مطّلعاً أيضاً على غضب الناس ولذا فإنّه اضطرّ إلى إخراج أهل البيت عليهم السلام من الشام . وعليه فمن البعيد أن يسمح يزيد لأهل البيت عليهم السلام كي يقيموا العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام سبعة أيّام إذ أنّه مع تلك الأوضاع العصبية وهيجان الناس واضطرابهم عليه كيف يمكن أن يسمح لأهل البيت عليهم السلام أن يبقوا في الشام أكثر ويبقي رأس سيّد الشهداء عليه السلام معلّقاً على القنا في مسجد الجامع ؟ بل إنّ كلّ من يلاحظ سياسة يزيد الشيطانية وحيله الخبيثة التي كان يجلب من خلالها القلوب الضعيفة ويخدع بها العقول البسيطة يثق تماماً أنّ يزيد لم يبق الرأس الشريف وإنّما بعثه مع أهل

---

(١) نفس المهموم ص ٤١١ ـ ٤١٢ .

البيت عليهم السلام خشية أن تضطرب عليه الأوضاع أكثر فيذهب سلطانه.

فمن كلام للطبري قال فيه: إنّ يزيد أبقى أهل البيت عليهم السلام ثلاثة أيّام أقاموا فيها العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام بداية ورودهم إلى الشام وذلك في خرابة من خرابات الشام.

ونقل عن الإمام الصادق في بصائر الدرجات وغيره أنّه لمّا أُتي بعلي بن الحسين عليهما السلام يزيد بن معاوية ـ عليهما لعائن الله ـ ومن معه جعلوه في بيت فقال بعضهم: إنّما جُعلنا في هذا البيت ليقع علينا فيقتلنا، فراطن الحرس فقالوا: انظروا إلى هؤلاء يخافون أن تقع عليهم البيت وإنّما يخرجون غداً فيقتلون. فقال علي بن الحسين: لم يكن فينا أحد يحسن الرطانة غيري والرِّطانة عند أهل المدينة الرومية[1].

ومع الالتفات إلى جميع هذه الأُمور يتّضح لماذا لم يبق يزيد أهل البيت عليهم السلام في الشام؟ ولماذا انصرف عن نيّته في قتلهم؟ ولماذا انهار عرشه وذهب سلطانه بعد هذه الأحداث بقليل حتّى أنّ ابنه معاوية صعد المنبر وتبرّأ من أفعاله البشعة؟

ويتضّح أيضاً أنّ يزيد أجبر قادة السجون على التكلّم باللغة الرومية وربما أنّهم لم يكونوا من أصل رومي وإنّما لوجود العلاقات الوثيقة بين الأمويين والروم، ولنفوذ الروم بين الحكّام الأمويين خاصّة معاوية ويزيد اللذين اتّخذوا سرجون الرومي ككاتب ومستشار إلى زمان عبدالملك بن مروان. فإنّ هذا اللعين هو الذي أشار على يزيد أن يأمر ابن زياد بقتل سيّد الشهداء عليه السلام.

وبإشارة من سرجون الرومي أيضاً أولى يزيد ابن زياد حكومة الكوفة والبصرة ثمّ أمره بالخروج لمقاتلة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

---

(١) بصائر الدرجات ص٣٣٨.

(٢) من أراد مزيد الإطّلاع على سيرة هذا اللعين الرومي فليراجع كتاب «التدوين في أحوال جبال شروين» تأليف محمّد حسن خان اعتماد السلطنة وزير علوم ايران في أيّام القاجار. وراجع الإرشاد حول سيّد الشهداء ص٩٦.

ولا يخفى أنّ علاقة بني أُميّة مع الروم كانت عريقة جدّاً، إذ أنّ بني أُميّة لم يكونوا من أصل عربي أصلاً وإنّما كانوا من الروم.

كما يستفاد من الرواية السابقة أنّ الأئمّة الأطهار عليهم السلام يعرفون اللغة الرومية جيّداً، علماً أنّ من معتقدات الشيعة الإمامية في الأئمّة عليهم السلام أنّهم يعرفون جميع اللغات بل ويحسنون التكلّم بها إذ أنّه لا يمكن أن يكون حجّة الله على الخلق جاهلاً بلغة ما لأنّ ذلك يستوجب النقص النافي لحجّيته على العباد.

من جانب آخر تدلّ الرواية أنّ يزيد في باديْ الأمر بعد دخول أهل البيت عليهم السلام الشام وحبسهم في دمشق كان ينوي قتلهم ومحو آثارهم تماماً وهذا ما يظهر من حديث ابن عساكر إلّا أنّه وبعد مدّة انصرف عن هذه الفكرة الشيطانية(١).

أيّها الظالمون اعتبروا

انظر عزيزي القارئ بعين الاعتبار كيف أنّ معاوية ويزيد اللذين كانا يبلّغان لأنفسهما ويدّعون أمام أهل الشام أنّهما من المقرّبين عند الرسول صلى الله عليه وآله إلّا أنّ ذلك لم يدم طويلاً حيث انكشفت هذه الأُلعوبة وعرف الناس خداعهما حتّى أنّ معاوية بن يزيد أقرب الناس إليهما ارتقى المنبر أمام الملأ العام وأقرّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وأحفاده عليهم السلام أحقّ بالخلافة من بني أُميّة(٢).

فقد شاءت إرادة السماء أن تجري الحقائق على لسان أقرب الناس إلى بني أُميّة ويبقى هذا الحديث علامة بارزة في جبين التاريخ لتعتبر منه الأجيال عبر العصور المختلفة.

---

(١) راجع تحقيق حول يوم أربعين سيّد الشهداء عليه السلام فارسي للشهيد آية الله سيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي التبريزي رحمه الله ص٤٥٨ ـ ٤٦٦.

(٢) أشرنا إلى بعض المقتطفات من خطبته فليراجع.

الملفت للانتباه أنّ التاريخ أثنى على معاوية بن يزيد لقوله الحقّ ونبذه للتعصّب الجاهلي وأشاد بموقفه العظيم مقابل جرائم والده إلّا أنّ ابن تيمية الحراني ذلك المتعصّب وبعد مضي أكثر من الف عام جاء ليعلن عن ملكيته أكثر من نفس الملك وأنكر الواضحات ورفض ضروريات التاريخ ولذا أصبح من أعلام الضلالة المنبوذين الذين يتشاءم الناس من ذكر أسمائهم جرّاء تعصّبه الجاهلي ليزيد بن معاوية وأمثاله[١].

ومن المتعصّبين الضالّين أيضاً هو القهستاني الذي قال: إذا أراد الإنسان أن يقرأ مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام فمن الأفضل أن يقرأ مصائب الصحابة أوّلاً كي لا يتشبّه بالروافض.

ولا يخفى أنّ مراده من ذلك أن يذكر القارئ مصيبة عثمان بن عفّان الأموي، الذي أجمع الصحابة على كفره وحكموا بوجوب قتله إلى أن قتل ودفن في مزبلة من مزابل اليهود[٢]، فهل يمكن القياس بين سيّد الشهداء عليه السلام الذي قتل مظلوماً ونصر بدمه الإسلام وبين من أجمع الصحابة بكفره ووجوب قتله ؟!

العجيب أنّ حجّة الإسلام لأهل السنّة الغزالي قال: يحرم على الواعظ قراءة مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام وينبغي له أن يمرّ على النزاعات والخلافات التي حدثت بين الصحابة وكأنّه لم يسمعها بل عليه أن يغضّ الطرف عن هكذا أحداث حتّى لا يقع بعض الصحابة الذين نصّ القرآن الكريم على نفاقهم في قفص الاتّهام.

بالطبع أنّه قال هذا الكلام كي تنطلي الحقائق على الناس وينخدعوا بأمثال أبي سفيان وابنه معاوية وعمرو بن العاص وغيرهم من المنافقين الذين أصبحوا زوراً من

---

(١) تحقيق حول أربعين سيّد الشهداء عليه السلام لآية الله القاضي التبريزي ص٤٦٨.

(٢) فقد قتلوا عثمان ورموا جنازته في مزبلة وبقي ثلاثة أيّام إلى أن جاء مروان وبعض رفاقه فحملوا الجنازة ودفنوها إلّا أنّ قوماً من بني مازن تعهّدوا وقالوا: في أي مكان تدفنوه فإنّنا سنخبر الناس عن مكانه ولذا فإنّهم أخذوه إلى مقبرة من مقابر اليهود.

أعلام الدين وخلفاء المسلمين(١).

وفي عصرنا الراهن هناك الكثير ممّن ارتضوا مقولة الغزالي إلّا أنّهم لا يتمكّنون من منع الناس عن فهم حقائق التاريخ ، ولذا فقد لجأوا إلى ترويج الأفكار السطحية المستوردة من الغرب وخرافات الفلسفة علّهم عبر هذه السفسطات الفلسفية والفتاوى البعيدة عن الدليل يخدعوا الناس ويقنعوهم بخلفاء بني أُميّة الذين ادّعوا ظلماً وعدواناً أنّهم أولياء الأمر .

وبالرغم من كلّ هذه الخطابات والكتابات الضالّة الرامية لاقصاء الشعوب عن العقائد الحقّة إلّا أنّ الناس عامّة خاصّة الشباب الواعي كانوا لهم بالمرصاد حيث ردّوا مثل هذه الادّعاءات الخاوية ولم يعتقدوا بهم طرفة عين أبداً بل وبقوا ينظرون إليهم كملوك جبابرة حكموا البلاد ظلماً ونشروا فيها الفساد .

وعلى كلّ ، فإنّ أمثال فتاوي الغزالي والقهستاني ليس لها قيمة أبداً إذ أنّه من ضروريات مذهب الشيعة التابعين لأهل البيت عليهم السلام هو إقامة العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وإحياء مأساته ومصابه طيلة السنة ، وقد أكّد أهل البيت عليهم السلام على ذلك بشدّة وأشاروا إلى قداسة هذه الشعائر في رواياتهم الشريفة بشكل متظافر حتّى أصبحت عند الشيعة من أفضل المقدّسات المجمع عليها .

من جانب آخر فإنّ زيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام والبكاء عليهم وإقامة مأتمهم وإحياء شعائرهم هي من أفضل المستحبّات بل ومن ألزم الأُمور التي يجب على عموم الشيعة حفظها والالتزام بها خاصّة البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام وزيارته . وقد صنّف العلّامة المتبحّر أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي كتاباً قيّماً باسم « كامل الزيارات » جمع فيه أصحّ الروايات وأسدّها حول هذه المسألة علماً أنّ الكتاب قد طبع بهمّة العلّامة الكبير الشيخ عبدالحسين الأميني صاحب الموسوعة النفيسة المسمّاة

---

(١) تحقيق حول أربعين سيّد الشهداء عليه السلام ص ١٧٤ .

بالغدير .

بطبيعة الحال أنّه مع وجود وصايا كهذه من قبل أهل البيت عليهم السلام على إقامة الشعائر لا تبقي قيمة لفتاوى النواصب والخوارج من أعداء الأئمّة الأطهار عليهم السلام الذين أفتوا وفق عقولهم الناقصة وآرائهم الفاسدة بحرمتها خاصّة مع الالتفات أنّ مثل هذه الوصايا من أئمّة الهدى عليهم السلام تناقلت إليهم واحداً بعد الآخر عن جدّهم الأطهر صلى الله عليه وآله الذي هو سيّد العارفين بأحكام الشريعة .

ولذا فمن المفترض أن نسأل الغزالي نفسه ونقول له : بأي دليل أفتيت بحرمة إقامة العزاء لسيّد الشهداء عليه السلام ؟ فهل وصلك خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله أمّ أنّك تنقل عن بعض من يسمّون بالصحابة أمثالك ممّن لم يعصمهم الله تعالى ؟

وهل إنّنا نتّبع آراؤك الضالّة أم نلتزم بأقوال الإمام الصادق عليه السلام حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

بلا شكّ إنّ كلّ من عنده أدنى قدر من الإيمان يرجّح أتباع أهل البيت عليهم السلام الذين نصّ القرآن الكريم على عصمتهم في آية التطهير ويترك فتاواك الضالّة التي عبّر الإمام الصادق عليه السلام عن أمثالها : لمثل هذا تمنع السماء قطرها[1].

---

(١) تحقيق حول أربعين سيّد الشهداء عليه السلام ص٢٧٨ .

الفصل الرابع

بعد أن تعرّفنا على الشجرة الملعونة ومدى خباثة معاوية ونجله النجس يـزيد ، ومن باب أنّ الأشياء تعرف بأضدادها ، فلا بأس أن نتعرّف أيضاً على الشجرة الطيّبة لأهل بيت العصمة والطهارة صلوات الله عليهم أجمعين .

وحتّى لا يطول بنا المقام ونخرج عن أصل البحث ، ومراعاة للاختصار فقد قدّمنا بعض المقتطفات السريعة حول أفضل شخصية في هذه الأُسرة الطيّبة ألا وهو ابن عـمّ النبي صلى الله عليه وآله وزوج الزهراء البتول عليها السلام ووالد السبطين الحسن والحسين عليهما السلام وأبو الأئـمّة الأطهار عليهم السلام أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه أفضل صلوات الله وسلامه .

فقد اخترنا بعض مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ليدرك العالم عمق الخسـارة وعـظم المصيبة التي ارتكبها أرباب الشجرة الملعونة في حقّ هذا البيت الطاهر ، ولنعرف الشيء القليل من مقامات هذا البيت الطاهر الذي اصطفى الله تعالى أهله وجعلهم مضرب للخير والبركة فقال عزّ من قائل : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ (١).

أمّا هذه المناقب فهي :

علي عليه السلام ركن التوحيد

روي عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال : « ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ،

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٤ ـ ٢٧ .

ولن يبعث الله نبيّاً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وولاية وصيّه علي عليه السلام »[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن أبيه محمّد بن علي بن الحسين عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢] قال: « هو لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين ولي الله، إلى هاهنا التوحيد »[٣].

مكتوب على أبواب الجنّة

عن جابر الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليلة أُسري بي إلى السماء أُمر بعرض الجنّة والنار عليّ، فرأيتهما جميعاً، رأيت الجنّة وألوان نعيمها، ورأيت النار وألوان عذابها، وعلى كلّ باب من أبواب الجنّة الثمانية: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي ولي الله[٤].

مكتوب على العرش

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: « مسطور بخطّ جليل حول العرش: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين »[٥].

الشاكّ في ولاية علي عليه السلام

عن عطاء قال: سألت عائشة عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت: « ذاك خير البشر ولا يشكّ فيه إلّا كافر »[٦].

حرب الجمل .. من أين ؟

قيل إنّ عائشة بعد أن نقلت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: « علي خير البشر فمن أبى فقد

---

(١) الصراط المستقيم ص ١٠ نقلاً عن بصائر الدرجات ص ٧٢ ح ١.

(٢) سورة الروم: ٣.

(٣) الصراط المستقيم ص ١٩ نقلاً عن تفسير علي بن إبراهيم القمّي ج ٢ ص ١٥٥.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٧ ح ٢٤.

(٥) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١١ ـ ١٢ ح ٢٧.

(٦) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٥ ح ٧.

كفر ومن رضي فقد شكر ». قيل لها: فلِمَ حاربتيه؟ قالت: ما حاربته من ذات نفسي إلّا حملني طلحة والزبير[١].

الفضل ما شهدت به الأعداء

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « من فضّل أحداً من أصحابي على علي فقد كفر »[٢].

وهذا الحديث صريح الدلالة على أنّ كلّ من يفضّل أحداً على أمير المؤمنين عليه السلام فهو كافر، فياترى ما هو حال الذين تجاسروا عليه واغتصبوا حقّه جهاراً ولم يرعوا له حرمة أبداً.

عمر يعترف بفضائل الإمام علي عليه السلام

عن عمر بن الخطّاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فضل علي بن أبي طالب على هذه الأُمّة كفضل شهر رمضان على سائر الشهور، وفضل علي هذه الأُمّة كفضل ليلة القدر على سائر الليالي، وفضل علي على هذه الأُمّة كفضل ليلة الجمعة على سائر الليالي، فطوبى لمن آمن به وصدّق بولايته والويل كلّ الويل لمن جحده وجحد حقّه، حقّاً على الله أن يحرمه يوم القيامة شفاعة محمّد ﷺ[٣].

وحقيقة إنّ هذا الحديث من خيرة الأحاديث الدالّة على فضل أمير المؤمنين عليه السلام وكونه صاحب الولاية بعد رسول الله ﷺ وأنّ كلّ من أنكر هذ الولاية في الحياة الدنيا سيحرم يوم القيامة قطعاً من شفاعة رسول الرحمة ﷺ. الملفت للانتباه أنّ نفس عمر يروي هذا الحديث بينما يقدّم أبا بكر للخلافة، ثمّ يتولّى هو الخلافة وقبل أن يرحل يجعلها شورى ولا يرضى أن تصل مقاليد الخلافة لصاحبها الواقعي الذي اعترف هو

(١) بحار الأنوار ج٣٨ ص٧ ح١٣.

(٢) بحار الأنوار ج٣٨ ص١٤ ح١٩.

(٣) بحار الأنوار ج٣٨ ص١٤ ـ ١٥ ح٢١.

شخصياً بفضيلته كما في هذا الحديث ... فاعتبروا ياأُولي الألباب .

من يشتري سيفي ؟

عن أبي حيّان التيمي عن أبيه قال : رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام على المنبر يقول : من يشتري منّي سيفي هذا ؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته ، فقام إليه رجل فقال : نسلفك ثمن إزار . قال : قال عبدالرزاق ـ الراوي ـ وكانت بيده الدنيا كلّها إلّا ما كان من الشام[١].

أوّل من صلّى مع الرسول صلى الله عليه وآله

من كلام لسعد بن أبي وقّاص في الإمام علي عليه السلام قال فيه : ألم يكن أوّل من أسلم ؟ ألم يكن أوّل من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ ألم يكن أزهد الناس ؟ ألم يكن أعلم الناس[٢]؟

علي عليه السلام سيّد في الدارين

عن ابن عباس قال : نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فقال : « أنت سيّد في الدنيا وسيّد في الآخرة ، حبيبك حبيبي ، وحبيبي حبيب الله ، وعدوّك عدوّي ، وعدوّي عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي »[٣].

وهنا يحقّ لنا أن نسأل ونقول : إنّ الذين جعلوا أمير المؤمنين عليه السلام يجلس في داره بعد أن غصبوا حقّه وأحرقوا باب الصدّيقة الزهراء عليها السلام هل كانوا من أحبّاء الإمام علي عليه السلام أم من مبغضيه ؟ بلا شكّ كانوا من أعداءه وبالتالي فإنّهم ـ وكما ينصّ الحديث ـ أعداء لله ولرسوله صلى الله عليه وآله ، فكيف يمكن أن يكونوا خلفاءه ؟! إنّ هذا لعجباً ؟!

---

(١) الاستيعاب في هامش الاصابة ج٢ ص٤٦٥ .

(٢) الفضائل الخمسة ج٣ ص٧ .

(٣) مستدرك الصحيحين ج٣ ص١٢٧ .

مَن فارق عليّاً

عن أبي ذرّ رضوان الله عليه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : « ياعلي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك ياعلي فقد فارقني »[١].

ويحقّ لنا أن نسأل هنا أيضاً ونقول : هل إنّ الذين غصبوا الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام فارقوه أم لا ؟

بالطبع أنّهم فارقوه وبذلك فإنّهم فارقوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله ولا يحقّ لمن يفارق الله ورسوله أن يستلم خلافة المسلمين .

لا فتى إلّا علي عليه السلام

عن أبي جعفر عليه السلام قال : نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان أن لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي[٢].

جبرئيل ينصر الإمام علي عليه السلام

عن سعيد بن المسيّب قال : لقد أصابت علياً عليه السلام يوم أُحد ستّ عشرة ضربة كلّ ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلّا جبرئيل عليه السلام[٣].

مبارزة علي عليه السلام أفضل من أعمال الأُمّة

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لمبارزة علي بن أبي طالب عليه السلام لعمرو بن ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أُمّتي إلى يوم القيامة »[٤].

إرادتكم إرادة الله عزّوجلّ

روي أنّه اختصم رجل وامرأة إليه ـ الإمام علي عليه السلام ـ فعلا صوت الرجل على

(١) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٣ .

(٢) ذخائر العقبى ص ٧٤ وفي الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٠ .

(٣) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٤ ص ٢٠ .

(٤) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ٣٢ تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩ ح ٦٩٧٨ .

المرأة فقال له الإمام علي عليه السلام : اخسأ ـ وكان خارجياً ـ فإذا رأسه رأس كلب ، فقال رجل : ياأمير المؤمنين صحت بهذا الخارجي فصار رأسه رأس كلب فما يمنعك عن معاوية ؟ قال : ويحك لو أشاء أن آتي معاوية إلى ههنا على سريره لدعوت الله حتّى فعل ، ولكنّا لله خزّان لا على ذهب ولا على فضّة ولا إنكاراً بل على أسرار تدبير الله ، أما تقرأ : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١] وفي رواية قال عليه السلام : « إنّما أدعوهم لثبوت الحجّة وكمال المحنة ، ولو أُذن لي في الدعاء بهلاك معاوية لما تأخّر »[٢].

من قضاء أمير المؤمنين عليه السلام

عن عمّار بن ياسر قال : كنت بين يدي مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وإذا بصوت قد أخذ جامع الكوفة فقال : ياعمّار ائت بذي الفقار الباتر للأعمار فجئته بذي الفقار ، فقال : اخرج ياعمّار وامنع عن ظلامة هذه المرأة ، فإن انتهى وإلّا منعته بذي الفقار ، قال : فخرجت وإذا أنا برجل وامرأة قد تعلّقوا بزمام جمل والمرأة تقول : الجمل لي ، والرجل يقول : الجمل لي ، فقالت : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينهاك عن ظلم هذه المرأة ، فقال : يشتغل علي بشغله ويغسل يده من دماء المسلمين الذين قتلهم بالبصرة ويريد أن يأخذ جملي ويدفعه إلى هذه المرأة الكاذبة ؟! فقال عمّار رضي الله عنه : فرجعت لأخبر مولاي فإذا به قد خرج ولاح الغضب في وجهه وقال : ويلك خلّ جمل المرأة ، فقال : هو لي ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : كذبت يالعين ، قال : فمن يشهد أنّه للمرأة ياعلي ؟ فقال : الشاهد الذي لا يكذّبه أحد من الكوفة ، فقال الرجل : إذا شهد شاهد وكان صادقاً سلّمته إلى المرأة ، فقال الإمام علي عليه السلام : تكلّم أيّها الجمل لمن أنت ؟ فقال بلسان فصيح : ياأمير المؤمنين وخير الوصيّين أنا لهذه المرأة منذ بضع عشر سنة ، فقال الإمام علي عليه السلام خذي

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٩١.

جملك ، وعارض الرجل بضربة قسّمه نصفين[١].

في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

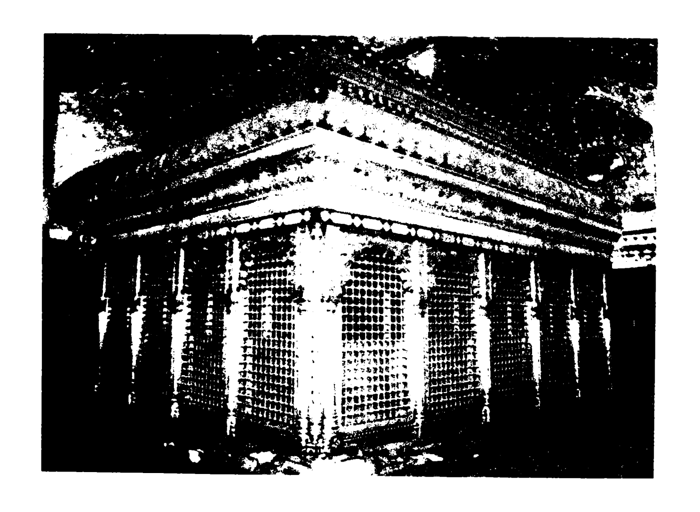
ومن خير ما نظم في مدح أمير المؤمنين عليه السلام هو ما نظمه الصاحب بن عبّاد قدّس الله روحه الزكيّة في قصيدته الرائعة التي جاء فيها :

قالت : فمن صاحب الدين الحنيف أجب ... فقلت : أحمد خير السّادة الرسلِ
قالت : فمن بعده تُصفي الولاء له ؟ ... قلت : الوصيّ الذي أربى على زُحلِ
قالت : فمن بات من فوق الفراش فدى ؟ ... فقلت : أثبت خلق الله في الوهلِ
قالت : فمن ذا الذي آخاه عن مقةٍ ؟ ... فقلت : من حاز ردّ الشمس في الطفل
قالت : فمن زوّج الزهراء فاطمة ؟ ... فقلت : أفضل من حافٍ ومنتعلِ
قالت : فمن والد السبطين إذ فرعا ؟ ... فقلت : سابق أهل السبق في مهلِ
قالت : فمن فاز في بدر بمعجزها ؟ ... فقلت : أضرب خلق الله في القللِ
قالت : فمن أسد الأحزاب يفرسها ؟ ... فقلت : قاتل عمرو الضيغم البطلِ
قالت : فيوم حنين مَن فرا وبرا ؟ ... فقلت : حاصد أهل الشرك في عجلِ
قالت : فمن ذا دُعي للطير يأكله ؟ ... فقلت : أقرب مرضيٍّ ومنتحلِ
قالت : فمن تلوه يوم الكساء أجب ؟ ... فقلت : أفضل مكسوٍ ومشتملِ
قالت : فمن ساد في يوم « الغدير » أبن ؟ ... فقلت : مَن كان للإسلام خير ولي
قالت : ففي مَن أتى في هل أتى شرفٌ ؟ ... فقلت : أبذل أهل الأرض للنفلِ
قالت : فمن راكع زكّى بخاتمه ؟ ... فقلت : أطعنهم مذ كان بالأُسلِ
قالت : فمن ذا قسيم النار يسهمها ؟ ... فقلت : مَن رأيه أذكى من الشعلِ
قالت : فمن باهل الطهر النبي به ؟ ... فقلت : تاليه في حلٍّ ومرتحل
قالت : فمن شبه هارون لنعرفه ؟ ... فقلت : مَن لم يحل يوماً ولم يزلِ

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٣٦ ح ٧.

قالت : فمن ذا غدا باب المدينة قل ؟ فقلت : من سألوه وهو لم يسلِ
قالت : فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا ؟ فقلت : تفسيره في وقعة الجملِ
قالت : فمن حارب الأرجاس إذ قسطوا ؟ فقلت : صفّين تُبدي صفحة العملِ
قالت : فمن قارع الأنجاس إذ مرقوا ؟ فقلت : معناه يوم النهروان جَلي
قالت : فمن صاحب الحوض الشريف غداً؟ فقلت : مَن بيته في أشرف الحللِ
قالت : فمن ذا لواء الحمد يحمله ؟ فقلت : مَن لم يكن في الرَّوع بالوجلِ
قالت : أكلٌّ الذي قد قلت في رجلٍ ؟ فقلت : كلُّ الذي قد قلت في رجلِ
قالت : فمن هو هذا الفرد سمّه لنا ؟ فقلت : ذاك أمير المؤمنين علي



الفصل الخامس

بعد أن وضعت الحرب أوزارها ظهر عاشوراء حيث ارتكب أزلام بنو أُميّة أبشع المآسي وأوجعوا قلب رسول الله ﷺ بسفكهم للدماء الزاكية لأهل البيت عليهم السلام أخذوا النساء والأطفال ومعهم الإمام السجّاد عليه السلام الذي كان عليلاً أُسراء إلى الكوفة .

وبعد أن نزل الأُسراء الكوفة بعث ابن زياد اللعين إلى يزيد الطاغية يستأذنه في بعث القافلة إلى الشام ولمّا أذن اللعين قادوا أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام إلى الشام وذلك عبر طريق الموصل .

وقد أمر ابن زياد اللعين كلّ من : زجر بن قيس ، ومحض بن أبي ثعلبة ، وشمر بن ذي الجوشن ، أن يقودوا الأسارى والرؤوس مع خمسة آلاف فارس نحو الشام ، التي دخلها ركب الأُسارى في اليوم الأوّل من شهر صفر المظفّر .

والآن لا بأس أن نذكر المآسي والحوادث المفجعة التي جرت على أهل البيت عليهم السلام خلال هذه المسيرة الطويلة .

١ ـ في جنب الفرات : أمر شمر بن ذي الجوشن الذي كان رئيس القافلة أن يقيّد الإمام السجّاد بالأغلال فوق النياق الهزلة وأن تجعل النساء والأطفال في الأكوار المكشوفة وأن توضع رؤوس الشهداء فوق الرماح العالية . وبعد أن سارت القافلة مسافة من الطريق نزلوا إلى جانب الفرات وجعلوا الرؤوس الشريفة على حائط إحدى الخربات وعمدوا اللعب بالقمار واللهو وشرب الخمر .

وفي ذلك الأثناء رأوا أنّ يداً ظهرت من فوق رأس سيّد الشهداء عليه السلام وكتبت بالدم على الحائط :

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب ؟!

ولمّا أسرع القوم ليلقوا القبض على هذه اليد لم يجدوا شيئاً ، فعادوا إلى مكانهم وانشغلوا بفسادهم ولهوهم تارةً أُخرى ، وبعد لحظات ظهرت اليد مرّة أُخرى وكتبت بالدماء الزاكية :

فلا والله ليس لهم شفيع وهم يوم القيامة في العذاب

فأسرع القوم من جديد ليأخذوا أمامها إلّا أنّهم لم يجدوا شيئاً ، وحينما عادوا إلى لعبهم سمعوا هاتفاً يقول :

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهلي عند مفتقدي منهم أُسارى ومنهم ضرّجوا بدم[1]

٢ ـ تكريت : كانت تكريت المنزل الثاني لأهل البيت عليهم السلام ، فلمّا وصلت القافلة قريباً منها بعثوا بعضهم ليخبروا أهل المدينة ويأمروهم كي يأتوا ويستقبلوا الأُسارى ، فأقبل أهل تكريت فرحين ، وكان في تكريت بعض النصارى فتساءلوا من الناس : ما الخبر ؟ ومن هؤلاء ؟ فقالوا : لقد جيء برأس الحسين مع الأسارى من أهل بيته .

فقال النصارى : وأي حسين هذا ؟

قالوا : الحسين بن فاطمة بنت رسول آخر الزمان .

وإذا بالنصارى يضجرون ويتألّمون لهذا المصاب ويقولون لهم : الويل لكم قتلتم ابن بنت نبيّكم ؟!

ثمّ إنّهم ذهبوا إلى كنائسهم وضربوا نواقيسهم وأخذوا يبكون ويبرؤون من هذا العمل ويلعنون أهله .

---

(١) راجع مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ٢ ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، ذخائر العقبى ص ١٤٥ ، ورواه ابن المغازلي في المناقب ص ٣٨٨ رقم ٤٤٢ . وقال محقّق كتاب ابن المغازلي « البهبودي » : أخرجه العلّامة الطبراني في المعجم الكبير ص ١٤٧ . كفاية الطالب ص ٢٩١ ، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ١٣ ، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٧ ، الاتحاف بحبّ الأشراف ص ٢٣ ، نظم درر السمطين ص ٢١٩ ، تاريخ دمشق ج ١٤ ص ٢٤٤ ، نفس المهموم ص ٤٢٢ .

٣ ـ وادي النخلة : ثمّ إنّ القافلة خرجت من تكريت ووصلت إلى وادي النخلة ، وقد سمعوا في هذا الوادي ضجّة عظيمة ونياحة شديدة إلّا أنّهم لم يكونوا يرون أحداً ، وقد سمعوا شخصاً يقول :

مسح النبي جبينه ولو يريق في الخدود أبواه من عليا قريش وجدّه خير الجدود

وكان شخص آخر يقول :

ألا ياعين جودي فوق جدّي فمن يبكي على الشهداء بعدي

على رهط تقودهم المنايا إلى متجبّر بالملك عبدي

٤ ـ المرشاد : ثمّ إنّ القافلة تحرّكت من وادي النخلة ووصلت إلى المرشاد فجاء أهل المحلّة نساءً ورجالاً لاستقبال القافلة ، ولمّا شاهدوا الأسارى اعتلى بكاءهم وأنينهم وصياحهم وحملوا على قتلة سيّد الشهداء .

٥ ـ الحرّان : لمّا وصلت القافلة إلى مشارف الحرّان كان هناك يهودياً اسمه يحيى الخزاعي واقفاً على سطح عالي جدّاً فرأى دخول الأسارى ولذلك نزل ليتفرّج عليهم ويشاهد حالهم ، ولمّا دنا من القافلة شاهد الرأس الشريف يتلو قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1] فتعجّب من هذا المنظر المذهل وتساءل قائلاً : هذا الرأس لمن ؟

فقالوا له : إنّه رأس الحسين بن علي ، فقال لهم : ومَن أُمّه ؟ قالوا : فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله .

فقال اليهودي : لو لم يكن دينه حقّ لما بدت منه هذه الكرامة المذهلة ، فأسلم يحيى وخلع عمامته ومزّقها قطعة قطعة ثمّ ناولها للعلويات المخدّرات ، ثمّ بعث ثوباً من الخز كان يرتديها إلى الإمام زين العابدين عليه السلام ومعها الف درهم ليصرفها في حاجته .

فصاح جلاوزة ابن زياد به وقالوا له : أيّها اللعين أتعين أعداء الخليفة ؟!

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

ابتعد وإلّا قتلناك ، فحمل يحيى السيف وقاتلهم قتال الأبطال ثمّ قتل شهيداً بعد أن قتل منهم خمسة أفراد . وقد دفن يحيى في دروازه حران ومقبرته معروفة اليوم باسم مقبرة الشهيد وهي محلّ لاستجابة الدعاء .

بنفسي رأس الدين ترفع رأسه — رفيع العوالي السمهرية ميد
تخاطبه مقروحة القلب زينب — فتشكو له أحوالها وتعيد
أخي كيف ترضى أن نساق حواسراً — وتسلب أبرادٌ لنا وعقود ؟
أخي أترضى أن نساق أذلّة — ويطمع فينا شامت وحسود ؟
أخي إنّ قلبي بات للوجد عنده — مواثيق لم تنقض لهنّ عهود
إذا رمت إخفاء الدموع فللجوى — مع الدمع منّي سائق وشهيد

٦ ـ نصيبين : ولمّا وصلت القافلة إلى نصيبين بعث شمر اللعين من يخبر أمير المدينة ليأمر بتزيين المدينة فرحاً بمجييء أسارى أهل البيت عليهم السلام .

وما أن خرج أمير المدينة المسمّى بـ « المنصور بن الياس » لاستقبال القافلة إذا بصاعقة تنزل وتحرق نصف المدينة وقد احترق كلّ من في هذا النصف من المدينة .. فاغتمّ أميرها بشدّة وخشي من غضب الله تعالى ولذلك أمر قوّاد القافلة بالخروج فخرجوا من المدينة بسرعة وهم يجرّون أذيال الخزي والعار .

٧ ـ المدينة المجهولة : ثمّ إنّ القافلة وصلت إلى مدينة جديدة لم يذكر المؤرخون اسمها وقد كان اسم واليها سليمان بن يوسف وكان له أخوان : أحدهما قتل في معركة صفّين بيد أمير المؤمنين عليه السلام والآخر كان شريكه في رئاسة هذه المدينة .

وعلى أيّة حال فقد أمر سليمان بالرؤوس أن تدخل من دروازة الرئيس إلّا أنّ أخيه خالفه في ذلك فاحتدّ النزاع بينهما وآل الأمر إلى المقاتلة ، فقتل سليمان وعمّت الفوضى في المدينة وخاف الشمر وأتباعه من هذه الحالة فخرجوا من المدينة بسرعة .

ياأُمّة السوء لا سقياً لربعكم — ياأُمّة لم تراع جدّنا فينا
لو أنّنا ورسول الله يجمعنا — يوم القيامة ما كنتم تقولونا ؟

تسيّرونا على الأقتاب عارية كأنّنا لم نشيّد فيكم دينا
تصفّقون علينا كفّكم ضرباً وأنتم في فجاج الأرض تسبّونا
أليس جدّي رسول الله ويلكم أهدى البريّة من سبل المضلّينا ؟

٨ ـ حلب : يوجد بقرب مدينة حلب جبل يسكنه اليهود كانوا يعيشون في قلعة مهيبة ومحكمة . وقد كانت حرفتهم هي الحياكة علماً أنّ حياكتهم كانت معروفة بالنعومة عند أهل الحجاز والعراق والشام .

وكان في ساحل الجبل والي يدعى عزيز بن هارون كان رئيس اليهود ، قيل أنّهم جاءوا بالقافلة إلى هذه المدينة لترعى النياق من العلف وترتوي من الماء .

عتيقة الإمام الحسين عليه السلام

نقل البعض فقال : عندما نزلت قافلة الأُسارى هذه المدينة وبعد أن أرخى الليل سدوله جاءت إحدى الجواري إلى الأسارى وتعرّفت على مولاة لها في أيّام سيّد الشهداء عليه السلام ... البعض يقول : إنّ سيّدة الجارية هي شهر بانو ، وكما يبدو أنّ ذلك ليس بصحيح ولعلّها كانت الرباب .

وما أن رأت هذه الجارية مولاتها سابقاً وهي على هذه الحال من الأسر والملابس الرثّة حتّى أخذت تبكي ، فتساءلوا منها : لماذا تبكين ؟ قالت : أنا لا أنسى عناية سيّد الشهداء عليه السلام الخاصّة بي وكيف أنّ السيّدة شهر بانو أهدتني إليه لأكون في خدمته إلّا أنّه عليه السلام أعتقني في سبيل الله ، ولمّا رأت السيّدة شهر بانو ذلك من سيّد الشهداء عليه السلام أهدتني خلعة نفيسة جدّاً ، فالتفت إليها سيّد الشهداء عليه السلام قائلاً : لقد أعتقت الكثير من الجواري ولم تصنعي مع إحداهنّ هكذا ؟

قالت : أُولئك عتقائي وهذه عتيقتك ياأبا عبدالله ولابدّ أن يكون هناك فرق بين عتقائي وعتقائك .

فدعا لها سيّد الشهداء عليه السلام وبقيت الجارية عند شهر بانو مدّة من الزمن إلى اليوم الذي فارقت فيه المدينة واليوم وبعد هذه المدّة الطويلة التقت بالأسارى وشاهدتهم على

هذه الحالة المأساوية فتذكّرت تلك الأيّام الجميلة ولذلك ذهبت وأعدّت لهم الثياب الجيّدة وجاءت بها ليلاً لتقدّمها لهم .

وحيث إنّ الأسارى كانوا محاصرين فقد استأذنت شيرين أحد رؤوساء القبيلة التي نزلت القافلة عندهم وكان يدعى « عزيز » كي يسمح لها في مساعدة الأُسارى ، وإذا به يتساءل منها قائلاً : أنت شيرين ؟ فقالت : نعم ، من أين عرفت اسمي ؟

قال : لقد شاهدت في الرؤيا نبي الله موسى ووصيّه هارون عليهما السلام حفاة حاسرين باكيان فسلّمت عليهما وتساءلت قائلاً : ما الخطب ؟ ولماذا تبكيان هكذا ؟ فقالا : لقد قتل الحسين بن علي عليهما السلام واحتزّوا رأسه وطافوا به وعياله البلاد وقد أُودع الرأس الشريف في أحد الجبال .

يقول عزيز : فتساءلت من نبي الله موسى عليه السلام قائلاً : أنت تعتقد بنبوّة محمّد ؟! قال : نعم ، إن محمّداً نبي حقّاً وقد أخذ الله تعالى من الأنبياء قاطبة ميثاقاً بأن يعتقدوا به وكلّ من يعرض عنه فنحن منه براء .

يقول عزيز : فطالبت نبي الله موسى عليه السلام ببعض العلائم لأطمئن بما جرى ، فقال : اذهب الآن خلف القلعة ستجد جارية اسمها شيرين عتقها الإمام الحسين عليه السلام استقبلها وأبلغها سلامي وأعلن إسلامك أمامها وهي التي ستأخذك إلى الرأس الشريف . وبالفعل فقد أخذت شيرين الثياب والطعام والطيب وأخذ عزيز الف درهم أعطاها للحرّاس كي لا يمانعوا وصولهم إلى الأسارى .

كما قدّم عزيز الفين درهماً إلى الإمام السجّاد عليه السلام وأسلم على يديه ثمّ دنا من الرأس الشريف وقال : السلام عليك يابن رسول الله ، أشهد إنّني رأيت جدّك خاتم الرسل وإلى جانبه نبي الله موسى وقد أبلغاك سلامهما ، وإذا بالرأس الشريف يجيب السلام بكلّ فصاحة قائلاً : وسلام الله عليّ .

فقال عزيز : سيّدي ارض عنّي واشفع لي عند جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإذا بالرأس الشريف يجيب : لقد رضي رسول الله صلى الله عليه وآله عنك لإسلامك كما رضي أبي علي وأُمّي

فاطمة عليها السلام عنك لاهتداءك إلى مذهب الحقّ كما إنّي قد رضيت عنك وإنّ سلامك عليَّ كان سبباً لسروري .

وما هي إلّا لحظات وإذا بسيّد الساجدين عليه السلام يعقد عزيز على شيرين وقد آمن كافّة أهل القلعة جرّاء هذه الواقعة .

٩ ـ دير النصراني : ثمّ إنّ القافلة تحرّكت نحو الدير وقد كان مع عسكر القافلة أبو سعيد الشامي وهو الذي نقل القضية التالية فقال : بلغ شمر بن ذي الجوشن خبراً أنّ نصر الحزامي قد أعدّ جيشاً ضخماً وهو يريد أن يسطو عليكم ليلاً ليأخذ الرؤوس المباركة ، ولذا اضطرب رؤساء العسكر وأخذوا يتباحثون حول حلّ هذه المشكلة فصمّموا أن يلوذوا إلى الدير ويحتموا به .

وحينما قرب الشمر وأتباعه من الدير إذا بأحد القساوسة يطلّ عليهم من وراء الجدار ويتساءل منهم عن سبب مجيئهم إلى الدير ، فقال له شمر : إنّنا من عسكر ابن زياد وقد جئنا من العراق إلى الشام ، فتساءل القس قائلاً : ولأي شيء جئتم ؟ فقال الشمر : خرج رجل على يزيد فبعث إليه جيشاً جرّاراً ليقاتلوه وقد جئنا الآن برأسه ورؤوس أصحابه وقدنا حرمه كأُسارى إلى يزيد ، فقال القس : دعوني أنظر إلى الرؤوس ، ولمّا جاءوا إليه بها وقع نظره على رأس سيّد الشهداء عليه السلام ورأى النور الساطع من رأسه المبارك فأخذته حالة عجيبة من الهيبة والإجلال لهذا الرأس الطاهر وقال لهم : إنّ هذا الدير لا يسعكم جميعاً ، فإذا كان ولابدّ فأدخلوا الرؤوس والأُسارى وابقوا أنتم خلف الجدار لتحرسوا القافلة ، فربما حمل عليكم العدو على حين غفلة وأنتم لا تعلمون ، ولا داعي أن تقلقوا على الأُسارى والرؤوس فإنّهم في حمايتنا وحراستنا .

فاستحسن الشمر هذا الاقتراح وقدّم إليه الرؤوس وسمح للقافلة التي يتقدّمها سيّد الساجدين عليه السلام بالدخول إلى الدير ، ثمّ إنّه جعل الأسارى في مكان مناسب وأودع الرؤوس في حجرة خاصّة ، وفي منتصف الليل مرّ على الرؤوس الشريفة فشاهد نوراً يسطع إلى السماء من رأس سيّد الشهداء عليه السلام وما هي إلّا لحظات إذا بسقف الغرفة ينفلق

وتدخل امرأة كانت مجلّلة كانت جالسة على عرش من نور والهاتف يقول : « طرّقوا طرّقوا رؤوسكم ولا تنظروا » .

يقول القس : حقّقت النظر وإذا بحواء أُمّ البشر ، وهاجر زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام وأُمّ نبي الله إسماعيل عليه السلام ، وراحيل أُمّ نبي الله يوسف عليه السلام ، وأُمّ موسى عليه السلام ، وآسية زوجة فرعون ، ومريم بنت عمران أُمّ نبي الله عيسى عليه السلام ، وبعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله قد أقبلن وأخذن الرأس المبارك من الصندوق وهنّ باكيات نائحات فبقين على هذا الحال ساعة ثمّ زرن سيّد الشهداء عليه السلام وأرجعن الرأس إلى الصندوق .

وبينما هم على هذا الحال إذا بضجّة واضطراب تعمّ الحجرة فنزل عرش نوراني آخر وإذا بهاتف يقول : غضّوا أبصاركم فإنّ شفيعة المحشر الصدّيقة الزهراء عليها السلام ستأتي ، لا شعورياً ارتعشت فرائصي وأُغمي عليّ . وبالرغم من ذلك إلّا أنّني كنت أسمع بين تلك الضجّة صوت امرأة حزينة تنادي : السلام عليك ياولدي أيّها المظلوم ، أيّها الشهيد ، أيّها الغريب ، يانور عيني ، فداك أُمّك ياأبا عبدالله ، ولدي عزيزي سيأتي ذلك اليوم الذي ينتقم فيه لثارك من أعداءك .

ولمّا رجع أكبر القساوسة إلى وعيه تطهّر ولبس أطهر ثيابه واتّخذ من الطيب أحسنه ودخل الغرفة التي فيها الرؤوس الشريفة وأخرج رأس سيّد الشهداء عليه السلام من الصندوق وغسّله بالكافور والمسك والزعفران ثمّ وضعه باتّجاه القبلة ووقف أمامه وقال : أيّها الرأس الشريف ، إنّني أعلم أنّك رأس من مدحهم الله تعالى في التوراة والانجيل إلّا أنّني أُقسم عليك بالله العظيم الذي حباك بهكذا منزلة إلّا ما كلّمتني وعرّفتني على نفسك .

فنطق الرأس الشريف بلسان فصيح قائلاً : أنا المظلوم وأنا المغموم وأنا المهموم ، أنا المقتول بسيف الجفا ، أنا المذبوح من القفا .

ومع ذلك لم يكتف كبير القساوسة بهذا البيان وطلب من الرأس الشريف أن يعرّف نفسه أكثر ، وإذا بالرأس ينطق بكلّ فصاحة : أنا ابن محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله أنا ابن علي المرتضى عليه السلام أنا ابن فاطمة الزهراء عليها السلام أنا الحسين الشهيد المظلوم بكربلاء .

فهاج الحزن بالراهب من هذه الكلمات وضجّ بالبكاء وأخذ الرأس الشريف وقبّله وجعله على وجهه وهو يقول : لن أُفارقك أبداً حتّى تضمن لي الشفاعة يوم القيامة .

وإذا بصوت من الرأس يهتف قائلاً : أوّلاً أُدخل في دين جدّي رسول الله ﷺ حتّى أشفع لك ، وإذا بالقس يقول : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً رسول الله ﷺ . ثمّ أنّه جمع جميع القساوسة وقصّ عليهم قصّته ودعاهم إلى الدخول في الدين الإسلامي فأسلموا جميعاً وكان عددهم سبعين رجلاً وكانوا قد بكوا جميعاً لمصيبة سيّد الشهداء عليه السلام ، ثمّ إنّهم ارتدوا ثياب السواد حزناً على سيّد الشهداء عليه السلام بل إنّهم جاءوا جميعاً إلى الإمام السجّاد ليعزّوه وأعلنوا إسلامهم أمامه بعد أن كسّروا نواقيسهم وطلبوا من الإمام عليه السلام أن يأذن لهم في مقاتلة هؤلاء اللعناء ويطلبوا بثأر أبيه سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أنّه عليه السلام لم يأذن لهم وقال : إنّ الله عزّوجلّ سينتقم منهم لا محالة[1].

١٠ ـ عسقلان : وفي الصباح ـ بعد أن نام شمر بن ذي الجوشن وجماعته خارج الدير ـ تحرّكوا برفقة الأسارى والرؤوس نحو عسقلان وكان أمير هذه المدينة « يعقوب العسقلاني » حاضراً في معركة كربلاء وشارك في جناياتها .

ولذا فإنّه ريثما وصل إلى المدينة أمر بتزيينها وتعطيل الأسواق وأن يجلبوا الملاهي ووسائل الطرب والغناء خارج المدينة فرحاً بهذه المصيبة العظمى ، ثمّ جلس هو وأعوانه مسروراً جذلاً شامتاً بمقتل أهل البيت عليهم السلام وكان الناس يباركون لبعضهم البعض هذا العيد .

ومن سوء الصدف أنّ أحد التجار وهو زرير الخزاعي كان واقفاً يشاهد ما جرى فتساءل من الناس عن الخبر ، فقالوا له : شخص في العراق خرج على يزيد فبعث إليه ابن زياد جيشاً جرّاراً قتلوه وجاءوا برأسه وأهل بيته أُسارى إلى مدينتنا اليوم ويتحرّك

---

(١) راجع : تذكرة الخواص لابن الجوزي ص٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، مقتل الخوارزمي ج ٢ ص١١٥ ـ ١١٦ ، مدينة المعاجز ج ٤ ص١٤٦ ، العوالم ج ١٧ ص٤١٧ ، البحار ج ٤٥ ص١٧٢ مع اختلاف يسير معها .

قافلتهم غداً نحو الشام .

فتساءل زرير الخزاعي : وهل كان هذا الشخص مسلماً ؟ فقالوا : كان من أكابر المسلمين ، ولمّا تساءل عن سبب خروجه قالوا له : كان يدّعي أنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه أحقّ بالخلافة من يزيد ، فتساءل زرير قائلاً : ومن أُمّه أبوه ؟ فقالوا : اسمه الحسين ، وأخيه الحسن ، وأُمّه فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله ، وأبوه علي بن أبي طالب عليه السلام ، وجدّه رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله .

وما أن سمع زرير هذا الكلام انتفض من مكانه وارتعدت فرائصه وتفايضت عيناه بالدموع ، ثمّ إنّه أوصل نفسه بسرعة ليرى بنفسه الأسارى الذين أدخلوهم المدينة ، وريثما وقعت عيناه على الإمام السجّاد عليه السلام أجهش بالبكاء وارتفعت نياحته وأنينه ، فتساءل منه الإمام السجّاد عليه السلام قائلاً : ممّ بكاءك ؟ ألا ترى أهل المدينة فرحين مسرورين ؟ فأجابه زرير : سيّدي أنا تاجر غريب في هذه البلاد وقد دخلت المدينة اليوم ، وياليت قدماي قد شلّتا حين دخلتها ، ليت عيناي عميتا قبل أن أراكم على هذه الحالة .

فقال الإمام عليه السلام : كأنّك من محبّينا ؟!

قال زرير : سيّدي أنا عبدك مرني فأنا في خدمتك ؟

قال الإمام عليه السلام : إذا كان لديك أموال فقدّمها إلى حامل رأس أبي وأمره كي يرفع الرأس الشريف كي ينشغل الناس بالنظر إليه ، فقد خزينا من نظر الخلق إلينا .

فذهب زرير إلى حامل الرأس وأعطاه خمسين أشرفياً فتأخّر عن القافلة وانشغل الناس بالنظر إلى الرأس الشريف .

ثمّ إنّ زرير عاد إلى الإمام عليه السلام ثانية وقال له : سيّدي ألك حاجة أُخرى ؟

فقال الإمام عليه السلام : إذا كان لديك شيء من القماش فأتي به لتتستّر بنات محمّد صلى الله عليه وآله ، به فذهب مباشرة وجاء بالأخمرة وقدّمها للعائلة وجاء بعمامة للإمام عليه السلام .

وفيما هم كذلك إذا بضجّة ترتفع من بين الناس وكان شمر اللعين يهلهل والناس

يهلهلون خلفه ، فذهب زرير إليه ونال منه وقال : شمر ! أما تخشى من الله ، هـذا رأس ريحانة رسول الله ﷺ على القنا وهذه بنات فاطمة وعلي عليهما السلام أُسارى وأنت تهلهل فرحاً مسروراً .

وإذا باللعين يغضب ويأمر جلاوزته بأخذه فأخذوه وضربوه بشدّة حتّى أُغـمي عليه فتصوّروا أنّه قد مات فتركوه .

وفي منتصف الليل استيقظ زرير وأوصل نفسه إلى قبر نبي الله سليمان عليه السلام فوجد جماعة من محبّي أهل البيت عليهم السلام حفاة حاسري الرؤوس قد جلسوا للعزاء على سـيّد الشهداء عليه السلام .

أيـعلى عـلى السـنان سـنان	الرجس رأس الحسين بين الأنام
ثـمّ يسـري بـه يأمّ السـبايا	قـاصداً بـالمسير نـحو الشآم
لعـن الله آل حـرب الكـفر	والغـدر عـابد الأصـنام
ويـزيد اللـعين نسـل اللـعين	عـصبة الكـفر والخـنا والحـرام
وزيـاداً ونسـل آل زيـاد	وابن سعد اللـعين نسـل اللـئام
وكذا اللعين يـعثري كـلّ رجس	نـعثل ثـمّ حـبتر والدلام
زادهـم ربّـنا إلى لعـناً لعـناً	سـرمديّاً مـخلّداً بـالدوام

١١ ـ بعلبك : ثمّ إنّ قافلة الأُسارى تحرّكت من عسقلان نحو بعلبك ، وكما فـي المدن السابقة فقد أرسل شمر بعض أعوانه ليأمروا الناس بالخروج بآلات اللهو والطرب لاستقبال القافلة فهبّ الجميع بما فيهم الشيوخ والأطفال وهم يضربون الدفوف فرحين مستبشرين بقدوم القافلة وذلك على بعد ما يقارب ستّة فراسخ خارج المدينة .

والحال أنّ أهل بيت الرسالة عليهم السلام ينظرون إليهم ويتألّمون من أفعالهم بـحيث لم تتحمّل السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام هذا المنظر فرفعت يديها بالدعاء وقالت : فرّق الله جمعكم

وسلّط عليكم من يقتلكم جميعاً[١].

ونقل عماد الدين الطبري في كامل البهائي ج ٢ ص ٢٩٢ فقال : إنّ حملة رأس سيّد الشهداء عليه السلام عندما خرجوا من الكوفة كانوا خائفين من قبائل العرب فلربما جاءوا وأخذوا الرأس منهم ، ولذا فإنّهم غيّروا مسارهم من العراق واتّخذوا طريقاً آخراً ، وفي أثناء الطريق نزلوا عند إحدى القبائل وطلبوا منها علفاً لدوابهم وأخبروهم أنّ الرؤوس التي معهم هي رؤوس بعض الخوارج ، وقد استمرّوا على هذا النهج حتّى وصلوا إلى بعلبك .

وعلى كلّ فإنّ القاسم بن ربيع والي بعلبك أمر بتزيين المدينة وأمر الناس أن يخرجوا وهم يضربون المزامير والطنابير والدفوف فرحين مستبشرين بقتل سيّد الشهداء عليه السلام وقد استقبلوا الأسارى على هذه الحال وقادوهم إلى المدينة .

ولم تمض سوى سويعات وإذا بالخبر يصل إلى الناس أنّ الرأس الشريف هو رأس سيّد الشهداء عليه السلام فخرج أكثرهم خارج المدينة وأحرقوا الزينة وقد اضطربت المدينة عدّة أيّام جرّاء هذه الفاجعة المؤلمة .

ولمّا رأى حملة الرؤوس اضطراب الأوضاع في بعلبك خرجوا إلى « مرزين » وهي أوّل مدينة من مدن الشام وإذا بنصر بن عتبة اللعين والي يزيد على هذه المدينة يحتفل بهذه المناسبة وينصب الزينة فرحاً ثمّ قضى الليل كلّه بالطرب واللهو فرحاً بمقتل سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أنّ فرحته لم تتمّ إذ أنّ صاعقة من السماء نزلت على زينتهم هذه فأحرقتها فاضطرّوا أن يدخلوا الأُسارى إلى الشام .

ورود الأُسارى إلى الشام

يقول الشيخ أبو الحقّ : بينما كان جلاوزة يزيد يطوفون برأس سيّد الشهداء عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

في زقاق الشام سقط الرأس الشريف فجأةً وإذا بالحائط ينحني ويحتضنه بحيث إنّـه لم يصل إلى الأرض ، وقد شيّد في نفس هذا المكان مسجداً ما زال إلى اليوم موجوداً .

وقال أبو الحقّ أيضاً : ازدحم أهل الشام وتجمّعوا من كلّ حدب وصوب ليتفرّجوا على السبايا من بنات الرسول ﷺ يقدمهم الإمام السجّاد عليه السلام الذي كان مقيّداً بالحبال القيود ومن أمامهم الرؤوس الشريفة تتقدّم القافلة ، فوالله ما شاهد أهل الشام أُناس أكثر نورانية ولا أشرف من هؤلاء الأُسارى ... ثمّ أنّهم أدخلوا القافلة إلى قصر يزيد الطاغية الذي كان ينتظر قدومهم .

وقبل أن يدخلوا القافلة على يزيد أخّروهم على حسب بعض الروايات ثـلاث ساعات حتّى أذن لهم الطاغية اللعين بالدخول إلى قصره فأدخلهم خولّه عليه[١].

وقد نقل عماد الدين الطبري عن دخول الأسارى فقال : ما يقارب على خمسمائة رجل وامرأة خرجوا لاستقبال الأسارى وهم يضربون بالدفوف والطبول بينما كان الكثير من الناس يرقصون فرحاً فضلاً عن الذين جاءوا ليتفرّجوا على السبايا[٢].

آه من الشام

ورد في الخبر الشريف أنّ أحدهم سأل من الإمام السجّاد عليه السلام فقال : أي المصائب كانت أشدّ عليكم ؟ وإذا بالإمام عليه السلام يجيب ثلاثاً : الشام الشام الشام . أو أنّه قال : آه من الشام قالها ثلاثاً . وفي خبر آخر أنّ الإمام عليه السلام قال للمنذر بن النعمان ما مضمونه : لقـد نزلت علينا في الشام سبع مصائب لم نر مثلها من قبل أصلاً منها :

١ ـ أنّ قادة العسكر كانوا يقدوننا في الشام وهم شاهرون سيوفهم حاملون الرماح وكانوا بين الحين والآخر يتجاسرون علينا بكعب الرماح والناس محدقين بنا من كـلّ جانب وهم يضربون بالدفوف ويرقصون فرحاً بما يجري علينا .

---

(١) تذكرة الشهداء للكاشاني ص ٤١٤ .

(٢) كامل البهائي ج ٢ ص ٢٩٢ .

٢ ـ إنّهم مرّوا بالرؤوس الشريفة بين هوادج المخدّرات وجعلوا رأس عمّي العبّاس عليه السلام مقابل عمّاتي زينب وأُمّ كلثوم ، كما جعلوا رأس علي الأكبر والقاسم قبال عيني سكينة وفاطمة أُختي ، وكانوا يلعبون بالرؤوس وكانت الرؤوس تهوي على الأرض أحياناً وتصبح موطأ لأقدام الخيول .

٣ ـ كانت النساء الشاميات فوق السطوح ترمينا بالماء والنار حتّى احترقت عمّاتي وحيث إنّني مقيّد لم أستطع إخماد النيران فوصلت النار إلى رأسي واحترق بألسنة النار .

٤ ـ أوقفونا منذ طلوع الشمس إلى قريب الغروب بين المغنّين وأهل اللهو فأصبحنا فرجة للناس الذين كانوا يأتون من كلّ مكان ليتفرّجوا علينا ، وكان أزلام يزيد يقولون لهم : إنّ هؤلاء الناس لا احترام لهم في الإسلام أصلاً .

٥ ـ قيّدونا بالحبال ومرّوا بنا إلى جانب منازل اليهود والنصارى وقالوا لهم : هؤلاء الذين قتل أبوهم آباءكم في معركة خيبر فهلمّوا وخذوا بثاراتكم منهم . وقد قال الإمام السجّاد عليه السلام أيضاً : يانعمان فما بقي أحد منهم إلّا وقد ألقى علينا ما أراد من التراب والأحجار والأخشاب .

٦ ـ أخذونا إلى سوق النخاسين وأرادوا أن يبيعونا كما يبيعوا العبيد والجواري لولا أنّ الله عزّوجلّ حال دون ذلك .

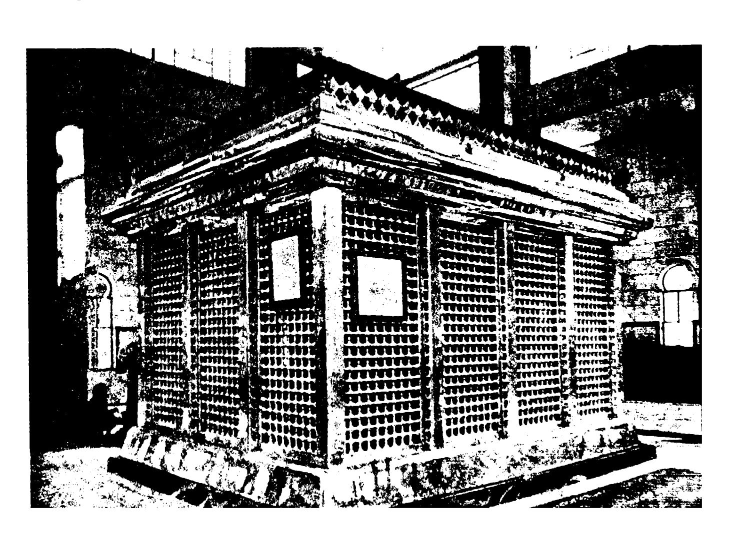
٧ ـ جعلونا في دار لم يكن لها سقف ، فكانت لا تقينا من الحرّ والبرد[١] .

لهفي لرأس ابن النبي هديّة ... لابن الدعي على سنان العامل
لهفي لزين العابدين مكتّفاً ... يكبو له يقتاد بين عقائل
لهفي على حرم الحسين يسقن في ... ذلّ السبا وما لها من كافل
لهفي لهنّ وقد برزن حواسراً ... من بعد قصم أساور وخلاخل

---

(١) سوگنامه آل محمّد صلى الله عليه وآله نقلاً عن تذكرة الشهداء للملّا حبيب الله الكاشاني ص ٤١٢ .

لهفي لهنّ وقد سلبن معاجراً شعثاً وقد ركبن فوق رواحل
فدعت بعمّتها الزكيّة فاطم بنت النبي دعاء حزين ثاكل
ياعمّتاه أين الحسين وما بنا بين العداة كأنّنا من كابل
قالت بصرت له على عفر الثرى ومترّب ما منه رجاء الآمل
متخضّباً بدمائه متعفّراً في القاع بين جوامع وعواسل
قالت ألا ياعمّتاه وا حسرتا لشقاء أيتام له وأرامل
ياعمّتا كان الحسين يحوطنا وبه نصول على الزمان الصائل
ياعمّتا كان الحسين وسيلة ترجى وقد قطع الزمان وسائلي
ياعمّتا ماذا نؤمل ومن يعتادنا بعوارف وفواضل
ياعمّتا ليس الصديق بزائر أبداً وليس عدوّنا بمجامل
ياعمّتا وا شقوتا من بعده ضغناً فليس لكلّنا من حامل



الفصل السادس

ينقل المؤرخون أنّ يزيد اللعين كان قد أعدّ مجلساً احتفالاً بالنصر الظاهري الذي حقّقه ولكي ينال من أهل البيت عليهم السلام في هذا المجلس إلّا أنّه لم يتمكّن من ذلك وانقلب السحر على الساحر حيث تحوّل هذا المجلس إلى محكمة أُصدر فيها حكم جريمته النكراء .

فقد تحوّل النصر إلى هزيمة وانتصرت المظلومية على الطغيان والديكتاتورية الهوجاء ....

ولعلّ خير حكم صدر في هذه الجلسة هو الذي صدر من قبل زوجة يزيد هند التي عاشت تلك الأحداث وشاهدت وقائعها المؤلمة .

ففي التاريخ أنّها لمّا دخلت المجلس تساءلت من يزيد وقالت : هذا رأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم ، فاذهبي وابكي عليه فخرجت من المجلس مذهولة ساخطة عليه ، وفي واقع الأمر أنّ هذا الأمر يعدّ معجزة من معاجز السيّدة زينب عليها السلام .

ونقل أيضاً أنّ أحد صحابة الرسول صلى الله عليه وآله اعترض على الطاغية وقال : سوف تأتي أنت وابن زياد يوم القيامة ويختصم رسول الله صلى الله عليه وآله منكما بمحضر هذا الرأس الشريف . وليس هؤلاء فقط بل إنّ كلّ أهل ذلك الزمان خاصّة أهل الشام سخطوا على يزيد الطاغية وتبرّءوا من أفعاله القبيحة التي سوّد بها صفحات التاريخ .

وقد أشارت العقيلة زينب عليها السلام إلى هذه المحاكمة وقالت : ولتردنّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته حيث يجمع الله شملهم ويلمّ شعثهم ويأخذ بحقّهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ

أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١].

وكفى بالله حاكماً وبمحمّد ﷺ خصيماً وبجبرئيل ظهيراً.

ومن هنا فإنّ اللعين أمر أن يودع أهل البيت عليهم السلام في خرابة لا تقيهم من الحرّ والبرد حتّى تقشّرت جلودهم ... نعم هكذا كانت ضيافة الطاغية لأهل البيت عليهم السلام فضلاً عن ضيافة أهل الكوفة لهم حيث إنّهم هتكوا بسوء أفعالهم القبيحة حرمة الإسلام وعمدوا إلى طمس معالم الدين الأصيلة، ولكن ومع ذلك فإنّ استقامة السيّدة زينب عليها السلام في أسرها وتحدّيها للطواغيت أوصل صوت سيّد الشهداء عليه السلام إلى العالم على مرّ الزمان ولم يجعل الهدف السامي الذي ضحّى من أجله ريحانة رسول الله ﷺ بنفسه الزكيّة يذهب سدى[٢].

أهل البيت عليهم السلام في قصر يزيد

عندما أُدخل الأسارى في قصر يزيد اللعين جئن نساء آل أبي سفيان لاستقبال بنات الرسول ﷺ وأخذن يبكين وينحن لما جرى عليهنّ، بل وأخذن يتبركنّ ببنات الرسالة فضلاً عن عقدهنّ مجلساً لمصاب سيّد الشهداء عليه السلام مدّة ثلاثة أيّام.

وقيل: أنّهنّ عندما شاهدن بنات الرسالة وهنّ يرتدين الملابس الرثّة أخرجن ملابسهنّ وقدّمنها لهم، وفي بعض الروايات: أنّه لمّا أُدخل أهل البيت عليهم السلام مجلس يزيد اللعين أمر اللعين في نهاية المجلس أن يحضر رأس سيّد الشهداء عليه السلام ليتفرّج النساء عليه إلّا أنّ نساء يزيد لمّا شاهدنّ حال أهل البيت عليهم السلام انشغلن بالعزاء والبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام فبهت يزيد اللعين وذهب بخزي الدنيا وعذاب الآخرة[٣].

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) پيشواى شهيدان، تأليف آية الله السيّد رضا الصدر ص٢٧٦.

(٣) راجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٤١٧، روضة الواعظين ج١ ص١٩١، العقد الفريد ج٥ ص١٣٢، جواهر المطالب ج٢ ص٢٧٣، الفصول المهمّة ص١٩٥، نور الأبصار ص١٣٢، تاريخ الطبري ج٤ ⇐

شجاعة عمر بن الحسن أمام يزيد

ينقل أنّ يزيد اللعين أحضر الإمام السجّاد عليه السلام وعمر بن الحسن عليه السلام وكان عمره آنذاك إحدى عشرة سنة فقال له يزيد: أتقاتل ولدي خالد؟ فقال عمر في جوابه: لا، إنّني غير حاضر لمقاتلته، وإنّما اعطني وناوله خنجراً وانظر كيف سنتقاتل، فانشد يزيد اللعين:

شنشنة أعرفها من أخزم هل تلد الحيّة إلّا الحيّة

علماً أنّ هذين المثالين عند العرب تقال لاستحسان الكلام ونحن نقول في مثل هذا المقام استحساناً لكلام عمر: شبل الأسد كأبيه.

وفي بعض النسخ: أنّ يزيد لمّا قال لعمرو تقاتل خالد؟! أجابه: أعطه خنجراً، وناولني خنجراً آخراً لنتقاتل.

حديث أُمّ كلثوم مع أُخت يزيد

وفي بعض الروايات: عندما كان أهل البيت عليهم السلام في مجلس يزيد الطاغية جعل رأس سيّد الشهداء عليه السلام كان أمامه لتنظر إليه فاطمة وسكينة، وقد أمر يزيد اللعين أن تحضر نساءه ويتفرّجن على الأسارى. وفي بعض الأخبار أنّ نساء يزيد لمّا رأين العلويات على تلك الحالة المأساوية قدّمنّ لهنّ الثياب والمقانع إلّا أنّهنّ رفضن قبولهنّ، وفي خبر آخر أنّ ليزيد أُختاً اسمها هند كانت قد جاءت عند العلويات وأخذت تتساءل قائلة: من منكنّ أُمّ كلثوم أُخت الحسين عليه السلام.

فقالت أُمّ كلثوم: أنا أُمّ كلثوم ابنة الإمام التقي الزكي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقالت هند: قتلتم ربيعة وأبو جهل وعتبة فانتقم الله منكم وأنزل عليكم هذا البلاء، فهل نسيتم ماذا صنع أبوكم بآبائنا؟!

⇐ ص٣٥٣، تذكرة الخواص ص٢٦٥، الكامل في التاريخ ج٤ ص٨٦، مقتل الخوارزمي ج٢ ص٧٣، البداية والنهاية ج٨ ص١٩٧، تسلية المجالس ج٢ ص٣٩٩، البحار ج٤٥ ص١٤٢.

فأجابتها السيّدة أُمّ كلثوم قائلة : ايه ياابنة آكلة الأكباد ، إنّه ليس هناك نساء كنسائكم المشهورات بالفجور ، وليس هناك رجال كرجالكم عبدة الأوثان والأصنام ، ألم يكن أبوك أبو سفيان الذي كان يجيّش الجيوش ضدّ رسول الله ﷺ ؟!

وألم تكن أُمّك هند التي عرضت نفسها على وحشي ليقتل حمزة سيّد الشهداء ، ولمّا قتله أكلت كبده ؟!

وألم يكن والدك معاوية الذي حمل السلاح في وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؟

وأوليس يزيد اللعين أخيك قاتل سيّد شباب الجنّة وريحانة رسول الله ﷺ الذي كان جبرئيل ومكائيل خادميه ظلماً وعدواناً ؟!

ولمّا سمعت هذا الكلام الشديد اللهجة من أُمّ كلثوم سكتت وحارت ماذا تجيبها[١].

كلام السيّدة سكينة لابنة يزيد

وكان ليزيد اللعين ابنة اسمها عاتكة كانت حاضرة في مجلس أبيها وتساءلت من العلويات فقالت : من منكنّ سكينة ؟ فقالت السيّدة سكينة عليها السلام : أنا ابنة من قتلتموه انتقاماً لكفّار بدر ، أُف لكم أتهزؤون وتسخرون بنا ؟!

فقالت عاتكة : أنا ابنة يزيد صاحب الرئاسة والعزّة ومقيم الحقّ ، وإذا بالسيّدة سكينة تجيبها قائلة : بمن تفخرين ؟! أتفخرين بأبيك قاتل ذرّية الرسول ﷺ ؟! أم بأُمّك التي مكّنت نفسها من غلام ....

فبأيّهما تفخرين ، ألا لعنك الله ولعن أباك ، ولمّا سمعت ابنة يزيد هذه الشجاعة من السيّدة سكينة أُلقمت حجراً ولم تنبس ببنة شفة[٢].

---

(١) راجع اكسير العبادات في أسرار الشهادات للدربندي ج ٣ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

(٢) راجع : اكسير العبادات في أسرار الشهادات ج ٣ ص ٤٢٥ .

الرأس يقرأ القرآن

عن المنهال بن عمرو قال : والله رأيت رأس الحسين بن علي عليهما السلام حين حمل وأنا بدمشق وبين يدي الرأس رجل يقرأ سورة الكهف حتّى بلغ قوله : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[١]. قال : فأنطق الرأس بلسان ذرب فقال : أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي[٢].

ياشيخ أما قرأت القرآن ؟

عندما دخل أهل البيت عليهم السلام الشام دخلوها من باب يقال له « توما » ثمّ أُتي بهم حتّى وقفوا على درج باب المسجد حيث يقام السبي ، وإذا بشيخ قد أقبل حتّى دنا منهم وقال : الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم ، وأراح الرجال من سطوتكم ، وأمكن أمير المؤمنين منكم . فقال له الإمام علي بن الحسين عليهما السلام : ياشيخ هل قرأت القرآن ؟

فقال : نعم قرأته .

قال : فعرفت هذه الآية : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٣]؟

قال : قد قرأت ذلك .

فقال علي بن الحسين عليهما السلام فنحن القربى ياشيخ !

قال : فهل قرأت في : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾[٤]؟

فقال الشيخ : قد قرأت ذلك .

---

(١) سورة الكهف : ٩ .

(٢) راجع تاريخ دمشق ج١٧ ص٢٤٦ ، الخرائج والجرائح ج٢ ص٥٧٧ ، الثاقب في المناقب ص٣٣٣ ، الخصائص الكبرى ج٢ ص١٢٧ ، بحار الأنوار ج٤٥ ص١٨٨ ، الصراط المستقيم ج٢ ص١٧٩ ، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للصنعاني ج٢ ص٢٦٧ ، الكواكب الدرّية ج١ ص٥٧ ، إسعاف الراغبين ص١٩٦ ، نور الأبصار ص١٣٥ ، إثبات الهداة ج٥ ص١٩٣ ، العوالم ج١٧ ص٤١٢ .

(٣) سورة الشورى : ٢٣ .

(٤) سورة الإسراء : ٢٦ .

فقال الإمام عليه السلام : نحن القربى ياشيخ !

ولكن هل قرأت هذه الآية : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾(١) فنحن ذو القربى ياشيخ .

وهل قرأت هذه الآية : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(٢)؟

فقال الشيخ : قد قرأت ذلك .

فقال : فنحن أهل البيت الذي خُصصنا بآية الطهارة .

فبقي الشيخ ساعة ساكتاً نادماً على ما تكلّمه ، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهمّ إنّي تائب إليك ممّا تكلّمته ومن بغض هؤلاء القوم ، اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد من الجنّ والإنس(٣).

وقيل : إنّ سبعين رجلاً من مشايخ دمشق أقسموا بالطلاق والعتاق والحجّ أنّهم كانوا يتصوّرون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله راضٍ عن أفعال يزيد ، ولذا كانوا يبكون ويعتذرون من الإمام طالبين منه العفو فعفا عليه السلام عنهم .

يقول هندوشاه النخجواني في كتاب « تجارب السلف » : بلغ الأمر أنّ الشامي كان يقول للإمام السجّاد عليه السلام أُقسم بالله إنّني كنت أعتقد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن راضٍ عن أحد كرضايته عن يزيد وأهل بيته .

ولذلك أقبل إلى الإمام السجّاد عليه السلام وهو باكي معتذراً عمّا بدى منهم من اساءة .

شلّت يمينك يايزيد

قيل إنّ السيّدة سكينة عليها السلام قالت : إنّني لم أر أقسى من يزيد اللعين ، حيث كان

---

(١) سورة الأنفال : ٤١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣.

(٣) أمالي الصدوق ص ٢٣٠ .

يضرب ثناي والدي أمامنا ، ولذا لم أطق تحمّل هذا العمل الشنيع منه وألقيت بنفسي على الرأس الشريف مخاطبة يزيد : ما ذنب هذا الرأس حتّى تضربه ؟! فتعجّب يزيد اللعين من جرأتها وتساءل قائلاً : من أنت ؟ فقلت : أنا سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (١).

ارفع يدك يا يزيد

عندما أُدخل الأسارى في مجلس يزيد « اللعين وابن اللعين » خاطبه الإمام السجّاد عليه السلام قائلاً : ما ظنّك يا يزد بجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذا الحال ماذا تجيبه ؟! ولمّا سمع يزيد هذا الكلام من الإمام عليه السلام أمر بفكّ الأغلال والقيود منهم وأشار على النساء أن يجلسن .

وفي بعض الأخبار أنّه لعنه الله أمر بمقراض من حديد وأخذ بيده المشؤومة يقصّ الأغلال التي في عنق الإمام السجّاد عليه السلام ويقول له : لا أُريد أن يمنّ عليك أحد غيري .

ثمّ إنّه أمر يحضروا طشتاً من ذهب ويضعوا رأس سيّد الشهداء عليه السلام فيه ، ولمّا شاهدت عقيلة الهاشميين هذا المنظر صاحت بصوت يفتّ الصخر : ياحسيناه ، ياحبيب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ صاحت ثانية : ياأبا عبدالله ، عزيز عليَّ أن أراك على هذا الحال ، عزيز عليك تنظر حالي اليوم .

وبعد أن فرغت العقيلة زينب عليها السلام من خطابها احتضنت الرأس الشريف ، وإذا بنور يسطع من نحو السماء أدهش جميع الحاضرين .

وفي بعض الأخبار : أنّ شفتي سيّد الشهداء عليه السلام أخذ يتلو قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (٢).

ولذا فإنّ يزيد اللعين أحسّ أنّه سيفتضح فحاول أن يشغل الحاضرين عن هذه

---

(١) راجع أمالي الصدوق ص ٢٣٠ ، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٥٤ ، روضة الواعظين ج ١ ص ١٩١ .

(٢) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

المعجزة فلم يجد مفرّاً من هذه الفضيحة إلّا أن يأخذ عود الخيزران ويضرب ثنايا سيّد الشهداء عليه السلام .

وبينما هو كذلك إذا بـ « أبو برزة الأسلمي » يقف في وجهه ويقول له : ارفع يدك يالعين عن هاتين الشفتين .

ولا يخفى أنّ أبا برزة الأسلمي كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد سكن الشام سنين عديدة إلّا أنّه كان ملازم لداره لا يخرج منها مع أنّ معاوية السوء حاول كثيراً الالتقاء به إلّا أنّه لم يعبأ به بل لم يكن يقبل هداياه وجوائزه الكثيرة التي كان يبعثها إليه بين الحين والآخر .

ومع ذلك لمّا سمع أنّ أهل البيت عليهم السلام قد أُدخلوا في مجلس يزيد خرج من منزله وجاء إلى قصر الطاغية ليدافع عن حرم الله .

ولذلك عندما شاهد هذا العمل الشنيع من يزيد الطاغية لم يتحمّل السكوت واتّكأ على عصاه وقال : الويل لك يايزيد ، أتضرب ثنايا أبي عبدالله عليه السلام ؟! لطالما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلهما ويقول في حقّه وأخيه : « أنتما سيّدا شباب أهل الجنّة ، قاتل الله قاتلكما » .

وما أن سمع يزيد الطاغية هذا الكلام من أبي برزة استشاط غضباً وأمر جلاوزته بإخراجه ثمّ عاد يضرب ثنايا أبي عبدالله عليه السلام أكثر ، وفيما هو كذلك إذا بغراب يحوم حول قصره وهو ينعق ، فتشاءم اللعين من نعيقه وارتعدت فرائصه واختطف لونه[1].

وكما في رواية سهل : أنّه لمّا جعل رأس سيّد الشهداء عليه السلام في طشت من ذهب وغطّوه بمنديل وجلس الطاغية أمامه شامتاً نعق الغراب فأنشد يزيد أشعاره الدالّة على كفره بالله تعالى .

وبينما كان يزيد مخطوف اللون شاحب الوجه من نعيق الغراب دخل عليه عالم

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٣٣ مع اختلاف في العبارة .

اليهود رأس الجالوت ، والذي اتّخذه يزيد طبيباً له ، فتساءل منه قائلاً ، رأس من هذا ؟ فقال : رأس أحد الخوارج ، قال رأس الجالوت : وما اسمه ؟ قال : حسين . قال : ولماذا قتلته ؟ قال : نازعني في خلافتي وأراد أن يغتصبها منّي . فقال اليهودي بعد أن عرف من هو الإمام الحسين عليه السلام : لقد كان أليق بالخلافة منك ، وأعلم يا يزيد إنّ بيني وبين نبي الله داود واسطة أربعين جدّاً ومع ذلك فإنّ اليهود يعظّموني ويتبرّكون بي ، أمّا أنتم فبالأمس قد كان نبيّكم بينكم واليوم تقتلون أولاده وتنتهكون حرمته ، ثمّ حمل سيفه وهمّ بقتل يزيد إلّا أنّ الحرس حالوا دون ذلك ، ولمّا يأس اليهودي من الظفر بقتل الطاغية انعطف على الرأس الشريف وأخذ يقبّله ويقول : لعن الله قاتليك ، وكان جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله خصمهم يوم القيامة .

سيّدي عزيز عليَّ أن تقتل ولا أُناصرك وأُستشهد بين يديك .

سيّدي أبلغ سلامي إلى جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره عن إيماني برسالته .

وفيما هو يخاطب الرأس الشريف التفت إليه يزيد وقال : لو لم يكن لي حاجة بمعالجتك لقتلتك شرّ قتلة ، فأجابه اليهودي قائلاً : أُقسم بالله أنّني لن أُعالجك بعد اليوم أبداً فاستنشاط يزيد من كلامه غضباً وأمر الجلّاد أن يضرب عنقه(١).

أمثل رأسك يضرب بالسياط ؟

يقول هلال بن معاوية : رأيت حامل رأس الإمام الحسين عليه السلام يحمل الرأس الشريف والرأس يخاطبه : فرّقت بيني وبين جسدي فرّق الله لحمك وجعلك آية للناس فاغتاظ اللعين ورفع سوطه وجعل يضرب الرأس الشريف حتّى سكت .

---

(١) راجع كلّ من : تذكرة الخواص ص٢٦١ ـ ٢٦٢ ، تهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٨ ، تاريخ الطبري ج٤ ص٢٩٣ ، سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٩ ، البداية والنهاية ج٨ ص١٩٤ ، أنساب الأشراف ج٣ ص٤١٦ ، الملهوف ص٢١٤ ، مثير الأحزان ص١٠٠ ، بحار الأنوار ج٤٥ ص١٣٢ ، مقتل الخوارزمي ج٢ ص٥٢ .

ونقل العلّامة المقرّم ﷺ : عندما شجب مبعوث ملك الروم جنايات يزيد أمر اللعين بقتله فنطق الرأس الشريف بلسان فصيح وقال : لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

ونقل العلّامة المقرّم أيضاً فقال : عندما نصب الرأس الشريف على شجرة اجتمع الناس حوله من كلّ صوب وشاهدوا كيف يسطع النور منه وهو يردّد قائلاً : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١].

وقد سمع سلمة بن كهيل الرأس الشريف يقرأ قوله تعالى : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢] وهناك الكثير من القصص المشابهة لمثل هذه الوقائع ومنها قصّة يحيى الحراني التي مرّ ذكرها .

نصب الرأس الشريف في الشام

بعد أن تجاسر يزيد الطاغية على رأس سيّد الشهداء عليه السلام وصنع ما صنع أمر أن ينصب في مسجد الجامع في دمشق في نفس المكان الذي نصب فيه رأس نبي الله يحيى ابن زكريا عليهما السلام[٣].

امرأة تستشهد بعد الحسين عليه السلام

يقول أحد الرواة : كنت عند يزيد ، فدخلت عليه امرأة لم أر مثلها في وقارها وعفّتها ... وبمجرّد أن رأت المرأة الرأس الشريف موضوعاً أمام يزيد التفتت إليه وقالت : رأس من هذا ؟ قال : رأس الحسين بن علي عليهما السلام . فقالت : أُقسم بالله أنّه ليعزّ على جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأُمّه فاطمة ووالده علي بن أبي طالب عليهما السلام أن يرونه على هذا الحال .

والله لقد رأيت البارحة في عالم الرؤيا أنّ أبواب السماء قد فتحت وهبط خمسة

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٣٧ .

(٣) راجع : سيرة أعلام النبلاء ج٣ ص٣١٩ ، الاتحاف بحبّ الأشراف ص٦٩ ، جواهر المطالب ج٢ ص٢٩٩ ، بحار الأنوار ج٤٥ ص١٤٥ .

من الملائكة في أيديهم من نار وهو يقولون : لقد أمرنا الله عزّوجلّ بحرق دار يزيد .

وما أن سمع اللعين هذا الكلام إذا به يغتاظ وتنتفخ أوداجه ويقول : الويل لك ، فوالله لأقتلنّك شرّ مقتلة .

فقالت المرأة ، وماذا أصنع لتعفو عنّي ؟! قال يزيد : تصعدين المنبر وتنالين من علي وأولاده . قالت : لا بأس ، عليك بجمع الناس .

فارتقت المرأة المنبر وخاطبت الناس قائلة : أيّها الناس إنّ يزيد أمرني أن أنال من علي بن أبي طالب عليه السلام والحال أنّه ساقي العطاشى يوم المحشر من نهر الكوثر وهو حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وآله ووالد السبطين الحسن والحسين عليهما السلام سيّدا شباب أهل الجنّة .

أيّها الناس اسمعوا ما أقول لكم : ألا لعنة الله وجميع اللاعنين على يزيد وكلّ من تابع وشايع في قتل سيّد الشهداء عليه السلام وصلّى الله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى قيام يوم الدين ... حييت على ذلك وأموت عليه إلى يوم البعث . وإذا بيزيد يمتلأ غيظاً من كلامها ويقول : من هذه المرأة ؟! خذوها ، فنهض لعين من أتباعه وشهر سيفه وقتلها .

وفي بعض الأخبار أنّ هذه المرأة كانت زوجة يزيد استيقظت من النوم بعد أن رأت رؤيا عجيبة جعلتها تلطم على وجهها وتشقّ ثيابها الفاخرة وهي تخاطب يزيد ببكاء ونحيب قائلة : دع عنك يا يزيد ظلم ذرّية فاطمة عليها السلام ثمّ قصّت عليه رؤياها التي رأتها في المنام(١).

وقد نقل أبو مخنف هذه القصّة بشكل آخر فلتراجع .

مصرع حامي الرأس الشريف

يقول منصور بن الياس : بعد أن زيّنت الشام فرحاً بورود السبايا أراد حامل الرأس الشريف الدخول إلى المدينة فلم يطاوعه جواده ، فأمر بجواد آخر فلم يطاوعه هو الآخر

---

(١) تذكرة الشهداء ص٤١٩ .

فأمر بجواد ثالث ورابع فلم يطاوعه منها أحد حتّى أوشك الرأس الشريف على الوقوع فهبّ إبراهيم الموصلي لحفظ الرأس خشية أن يقع إلّا أنّ أهل الشام اللعناء حملوا عليه وقتلوه انتقاماً منهم لاحترامه الرأس المقدّس(١).

محادثة بين الرأس والعليل

نقل أبو فراس في « شرح الوافية » فقال : عندما طلب الإمام السجّاد عليه السلام من يزيد أن يريه رأس أبيه كان اللعين يرفض بشدّة وقد غطّى الرأس بمنديل .

وبينما هما على ذلك الحال إذا بالرأس الشريف يخاطب الإمام السجّاد عليه السلام بعد أن ارتفع المنديل جانباً : السلام عليك ياولدي ياعلي ، فأجابه الإمام السجّاد عليه السلام قائلاً : وعليك السلام ورحمة الله ياأبتاه ، لقد أُيتمت على صغر سنّي ، وفرّق بيني وبينك وإنّي ماضٍ إلى حرم جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله فأودعك الله(٢).

الرأس الشريف يصبّر العقيلة

ورد في بعض مقاتل العامّة : أنّ أهل البيت عليهم السلام لمّا دخلوا الشام التفتت العقيلة زينب إلى شمر وقالت : مرّ بنا من الطرق الفارغة إلّا أنّه لم يعتن بها ومرّ بهم من الطرق المزدحمة ، فاغتاظت العقيلة زينب عليها السلام وأمرت الأرض أن تبلعه ، فابتلعت نصف بدنه إلّا أنّ سيّد الشهداء عليه السلام حال دون هلاكه حيث أوصى الرأس الشريف العقيلة بالصبر فقال : أُختاه ، اصبري لقضاء الله ، فأمرت العقيلة عليها السلام الأرض أن تلفظه فلفظته(٣).

وزينب تدعو بالحسين وقلبها ... حزين لفقدان السلو ثكول
أخي ياأخي قد كنت عزّي ومنعتي ... فأصبح عزّي فيك وهو ذليل

---

(١) كامل البهائي ج٢ ص٢٩٢ .

(٢) راجع اكسير العبادات في أسرار الشهادات ج٣ ص٦١٢ ، مثير الأحزان لابن نما ص١٠٦ مع اختلاف في النقل .

(٣) شهيد كربلا ج٢ ص٣٢٨ نقلاً عن الخصائص الزينبية للجزائري ص ١٢٠ .

أخي ياأخي لم أُعط سؤلي ولم يكن لأُختك مأمول سواك وسول
أخي لو ترى عيناك ما فعل العدا بنا لرأت أمراً هناك يهول
ترانا سبايا كالإماء حواسراً يجدّ بنا نحو الشام رحيل
أخي لا هنتني بعد فقدك عيشتي ولا طالب لي حتّى الممات مقيل
فإن كنت أزمعت المغيب فقل لنا أما لك من بعد المغيب قفول
أقول كما قد قال عنّي والدي وأدمعه بعد البتول همول
أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة وصاحبها حتّى الممات عليل
لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وإنّ بقائي بعدكم لقليل

مَن المنتصر ؟

ينقل أنّ إبراهيم بن طلحة بن عبدالله عندما سمع بقدوم الأسارى خرج لاستقبالهم ، وبعد أن رأى الإمام السجّاد عليه السلام قال له مستهزأً : من الذي غلب ؟

وكما في بعض الأخبار أنّ الإمام عليه السلام كان مطأطأ رأسه ولمّا سمع كلامه الجارح التفت إليه وقال : إذا أردت أن تعرف من الغالب عليك أن تسمع صوت المؤذّن إذا حان وقت الصلاة ، إشارة إلى أنّ الغالب هو من يهتف باسمه بعد لفظ الجلالة كلّ يوم خمس مرّات ألا وهو جدّ العترة الطاهرة محمّد صلى الله عليه وآله .

ولا يخفى أنّ إبراهيم هذا كان من أنصار طلحة والزبير في حرب الجمل ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام .

إنّهم أحياء يرزقون

يقول الحارث بن الوكيدة : كنت فيمن حمل رأس الحسين بن علي عليه السلام ، وفي بعض الطريق سمعته يقرأ سورة الكهف فتحيّرت وبقيت مذهولاً ، وإذا بالرأس الشريف يخاطبني قائلاً : يابن وكيدة ، ألا تعلم أنّا معشر ـ الأئمّة ـ أحياء عند ربّنا نرزق ؟ فقلت في نفسي : أسرق رأسه ، وإذا بالرأس يخاطبني قائلاً : تب إلى الله ، فإنّك لن تصل إلى

مرادك[١]، فإنّ اراقة دمي أعظم من رأسي، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾[٢].

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب: أنّ رأس سيّد الشهداء عليه السلام عندما نصب على شجرة كان يقرأ هذه الآية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٣].

وقال ابن شهر آشوب أيضاً: إنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام في بعض زقاق الكوفة كان يقرأ قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[٤].

يزيد يأمر بقتل الإمام السجّاد عليه السلام

ينقل المؤرخون: أنّ يزيد اللعين قال للإمام السجّاد عليه السلام في بعض مجالسه: إنّ أباك قطع رحمي ونازعني ملكي ولم يراعِ فيّ حقّ فصنع الله به ما صنع.

فأجابه الإمام السجّاد عليه السلام: يابن معاوية وهند! ما زالت النبوّة والملك تحطّ رحالها في بيوتنا وبيوت أجدادنا من قبل أن تولد إلى يومنا هذا.

ألم تكن راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وأُحد والأحزاب في يد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام؟!

أو ليس أنّ راية الكفر والضلال كانت في أيادي أجدادك؟!

فالويل لك يايزيد، لو كنت تعلم عظيم ما ارتكبه في حقّنا لما هنا لك العيش ولهمت على وجهك في الصحاري ولأفترشت الرمال ولقضيت العمر كلّه في الحسرة والندامة.

---

(١) راجع: اكسير العبادات في أسرار الشهادات ج٣ ص٢٥٦.

(٢) سورة مؤمن: ٧١.

(٣) سورة الشعراء: ٢٢٧.

(٤) سورة الكهف: ١٣.

أما تستحي ، رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وفلذة كبد المصطفى ينصب في بلادك ؟! ولما سمع يزيد اللعين هذا الكلام امتلأ غيظاً وتطاير الشرر من عيناه وأومأ إلى أحد جلاوزته أن يأخذ الإمام عليه السلام إلى أحد البساتين ويضرب عنقه ، وبالفعل فقد قاد اللعين الإمام إلى بعض البساتين وأخذ يحفر له قبراً بينما اشتغل الإمام بالصلاة ، وبعد أن فرغ اللعين من تجهيز القبر همّ بقتل الإمام عليه السلام إلّا أنّ يداً من السماء صَفَعَته صفعةً فصاح صيحة شديدة وهوى إلى الأرض ميّتاً .

الملفت للانتباه أنّ خالد بن يزيد كان يشرف على قتل الإمام عليه السلام ، ولمّا شاهد هذه الكرامة هرع إلى والده وقصّ عليه القضيّة فأمر اللعين أن يُدفن الجلّاد في نفس القبر الذي حفره بيديه وأشار على بعض جلاوزته أن يعيدوا الإمام عليه السلام إلى مجلسه[1].

جـد يـاجد لو رأيت عـليّاً	نـاحلاً والسـقام قـد أضـناه
لو تـراه بـقيد وهـو يـبكي	بـين قـوم لا يـرحـمون بكـاه
وإذا مـا رأى أُمّ كـلثوم نـادى	أتـعبوني بـالقيد يـاعمّتاه
فـبكت رحـمة له أُمّ كـلثوم	وأجـابت مـن بـعد ذاك نـداه
ثـمّ قـالت له ألا إنّ ذا الحـال	عـزيز لجـدّنا أن يـراه
وعـزيز عـليه أن لو يـرى اليـوم	بـعينيه بـعض مـا نـلناه
لو يـرانـا ونـحن فـوق المـطايا	عـند رجس نسـير فـي مسـراه
وإذا مـا وقـفن فـي السـير عـنه	سـاعة لم يكـف عـنّا أذاه
طـالباً للشآم نـحو يـزيد	جـعلت فـي جـهنّم مـثواه
ثـمّ لمّـا أتـيته فـي دمشـق	بـهت الرجـل إذ رأت عـيناه

---

(١) راجع ارادتهم قتل الإمام السجّاد في كلّ من : المناقب ج ٤ ص١٧٣ ، تذكرة الخواص ص٢٥٨ ، إعلام الورى ص٢٤٧ ، بحار الأنوار ج٤٥ ص٢٠٠ ، إثبات الوصيّة ص١٤٥ ، البداية والنهاية ج٨ ص١٩٨ ، تاريخ دمشق ج١٩ ص٤٢٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص١٢ .

رأس سبط النبي فوق قناه ... والسبايا يصحن وا سنداه
ثمّ قال الزنيم ويل ابن مرجان ... على الطاهرين ما أعداه
ويحه ما أشدّه من عتلّ ... ويحه في الفعال ما أقساه
كنت أرضى بدون ذا الفعل منه ... لكن الأمر ما أراد الله
ودعا الرجس بعد ذاك بالرأس ... فأُوتي به فلمّا رآه
ساطعاً بالضيا تعجّب منه ... ثمّ منه تعجّبت جلساه
وعلا بالقضيب رأس حسين ... ثمّ في طست عسجد ألقاه
وانثنى الرجس ثمّ أنشد شعراً ... وترنّم وقال في منشاه
ليت أشياخنا تشاهد ذا اليوم ... الذي قد أسرّنا لقاه
يا لها اليوم فرحة وسروراً ... حيث نال الصديق فيه مناه
فعلى الطاغي اللعين يزيد ... لعنة الله دائماً تغشاه
فالعنوه ببكرة وأصيل ... فلقد طال في المعاد شقاه
والعنوا ما استطعتم ابن زياد ... وابن سعد ومن سعى في رضاه
فلقد باع دينه من يزيد ... بالزهيد القليل من دنياه
جدّدوا اللعن ما بقيتم عليه ... وأطيلوا مدى الزمان سجاه
فلعنهم من المهيمن لعن ... ليس يفنى ولا يزول بقاه

رواية أُخرى

نقل الشيخ المفيد والسيّد ابن طاووس وغيرهما بطرق مختلفة عن فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام أنّها قالت: عندما أدخلونا في مجلس يزيد اللعين رقّ لنا في بادئ الأمر فقام رجل من أهل الشام وقال له: يزيد هب لي هذه الجارية، فلذت بعمّتي زينب وخاطبتها: عمّة ايتمت واستخدم بعد والدي ؟! فقالت: إنّ هذا ليس له ولا لأميره، فقال يزيد: بل إنّه لي. فقالت عمّتي زينب: إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغيرها. فغضب اللعين وقال: بل خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت العقيلة : بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً .

فأجابها يزيد : كذبت ياعدوّة الله ، فعزّ على العقيلة هذا الكلام وآلمها وقالت : أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك ، فاستحى اللعين وسكت .

فأعاد الشامي قوله : يزيد ، هب لي هذه الجارية .

فنهره يزيد وأشار عليه بأن اسكت قاتلك الله .

وفي رواية أُخرى : أنّ أُمّ كلثوم خاطبة الشامي قائلة : اسكت ، فظّ الله فاك وأخذ الذي فيه عيناك وسقاك حرّ الجحيم ، اتستخدم أولاد الأنبياء وتدّعي أنّك ولد حلال ؟!

ولم تفرغ السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام من دعاءها وإذا بالشامي يعجز عن الكلام ويفقد بصره ، فحمدت الله تعالى على إجابة دعوتها وقالت : الله أحمد الذي أراني عقوبة من يتعرّض لأبناء الرسالة في هذه الدنيا .

وفي رواية ابن طاووس : أنّ الشامي سأل من يزيد مرّتين فقال : من هذه ؟ فقال : فاطمة ابنة الحسين وهذه عمّتها زينب بنت علي بن أبي طالب ، فقال الشامي : ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب ؟ قال يزيد : نعم ، وإذا به يرتعد ويقول : لعنك الله يا يزيد ، تقتل أولاد الرسول صلى الله عليه وآله وتأسر ذرّيته ؟! والله لقد ظننت أنّهم أُسارى من الافرنج .

فقال يزيد : والله لألحقنّه بالحسين بن علي وأمر الجلّاد أن يضرب عنقه ثمّ أشار على حرسه أن يودعوا أهل البيت عليهم السلام السجن[1] .

---

(١) راجع القضية على اختلاف العبارات في كلّ من الإرشاد ج٢ ص١٢١ ، مقتل الخوارزمي ج٢ ص٦٢ ، روضة الواعظين ج١ ص١٩٢ ، مثير الأحزان ص١٠٠ ، إعلام الورى ص٢٤٩ ، الاحتجاج ج٢ ص١٣١ ، تذكرة الخواص ص٢٦٤ ، الملهوف ص٢١٨ ، جواهر المطالب ج٢ ص٢٩٥ ، تسلية المجالس ج٢ ص٣٨٥ .

من معاجز الإمام السجّاد عليه السلام

ينقل أنّ أحد الصيّادين وكان يحمل غـزالاً صـغيراً وإذا بـه يشـاهد الأُسـارى والأطفال فوقف هنيئة ليتفرّج عليهم.

ولمّا شاهد الأطفال الغزال الصغير جاءوا إلى الإمام السجّاد عليه السلام وقالوا له: نريد غزالاً، فقال الإمام عليه السلام للصيّاد: أتبيع هذا الغزال؟! قال: نعم، ولكن لن أبيعه إلّا ليزيد، فهو غزال جميل وإذا بعته ليزيد فسيكرمني ويحسن إليّ في عطائه.

فقال الإمام عليه السلام: بعه إليّ وبأيّ ثمن تريد، فتعجّب الصيّاد وبقى متحيّراً من كلام الإمام عليه السلام، وبينما هو كذلك إذا بالإمام عليه السلام يأخذ بعض الحجارة الصغيرة وناولها إيّاه، حقّق الصيّاد فيما أعطاه الإمام عليه السلام فوجدها مجموعة من الجواهر الثمينة فلم يجد بدّاً من أن يقدّم الغزال للإمام عليه السلام ويرحل.

ثمّ إنّ خبر الغزال شاع في الشام ووصل إلى يزيد اللعين، فطلب الصيّاد وأمره أن يقصّ عليه الحدث.

وحيث إنّ الصيّاد أصبح من الموالين الخلّص للإمام عليه السلام بعد مشاهدته لكرامته العجيبة فقد نقل القضية وأكّد أمام الملأ على كرامة الإمام السجّاد عليه السلام عند الله تعالى ولذا فإنّ يزيد أمر بقتله وإخفاء أمره حتّى لا يطّلع الناس على هذه الكرامة. ولم تمض سوى أيّام قليلة إذا بخبر قتل الصيّاد يصل إلى الإمام السجّاد عليه السلام، فجاء إلى قبره وأشار إليه وقال: قم بإذن الله، فخرج الصيّاد من قبره سالماً كأن لم يكن به شيء أصلاً[١].

خطبة العقيلة زينب عليها السلام

عندما كان يزيد يهزأ بأهل البيت عليهم السلام ويتغطرس بأنفه شـامتاً تـصدّت العـقيلة زينب عليها السلام إليه بخطبتها الغرّاء وكشفت للعالم بأسره شدّة طغيانه وانحرافه فقالت عليها السلام:

---

(١) من الرسول صلى الله عليه وآله إلى الإمام زين العابدين عليه السلام تأليف الشيخ علي الفلسفي.

« الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، صدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾(١) أظننت يايزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء وأصبحنا نساق كما تساق الأُسارى أنّ بنا على الله هواناً ، وبك عليه كرامة ؟ وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده ؟! فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأُمور لك متّسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ! أنسيت قول الله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٢).

أمن العدل يابن الطلقاء(٣) تخديرك إماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟! قد هتكت ستورهنّ ، وأبديت وجوههنّ ، يحدى بهنّ من بلد إلى بلد ، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل ، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، والدنيّ والشريف ، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ، ولا من حماتهنّ حميّ . وكيف تُرجى المراقبة من لفظ فوه أكباد السعداء(٤)، ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟!

وكيف لا يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان ؟! ثمّ تقول غير متأثّم ولا مستعظم :

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا : يايزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبدالله عليه السلام تنكتها بمخصرتك ؟

(١) الروم : ١٠.

(٢) آل عمران : ١٧٨.

(٣) هذه إشارة إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي سفيان جدّ يزيد الذي عفا عنه الرسول صلى الله عليه وآله هو وأتباعه فقال صلى الله عليه وآله : « إذهبوا فأنتم الطلقاء ».

(٤) هذه إشارة إلى هند آكلة الأكباد حيث إنّها مثّلت بحمزة سيّد الشهداء عليه السلام فأخرجت كبده وحاولت أن تأكله إلّا أنّها لم تستطع ذلك.

وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، بإراقتك دماء ذرّية آل محمّد ونجوم الأرض من آل عبدالمطّلب ؟!

أتهتف بأشياخك ؟ زعمت تناديهم ، فلتردنّ وشيكاً موردهم ، ولتودّنّ أنّك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت .

اللهمّ خذ بحقّنا ، وانتقم ممّن ظلمنا ، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا . فوالله ما فريت إلّا جلدك ولا جززت إلّا لحمك ، ولتردنّ على رسول الله ﷺ بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيته وانتهاك حرمته في لحمته وعترته ، وليخاصمنّك حيث يجمع الله تعالى شملهم ، ويلمّ شعثهم ، ويأخذ لهم بحقّهم ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[(١)]. فحسبك بالله حاكماً ، وبمحمّد خصماً وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين ، أن بئس للظالمين بدلاً ، وأيّكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً .

ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك ، فإنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكبر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرّى .

ألا فالعجب كلّ العجب بقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فتلك الأيدي تنطف من دمائنا ، وتلك الأفواه تتحلّب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها العواسل وتعفوها الذئاب ، وتؤمّها الفراعل ، ولئن اتّخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك ، وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد ، فإلى الله المشتكى ، وعليه المعوّل .

فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا تدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، ولا تغيب شنارها ، فهل رأيك إلّا فند وأيّامك إلّا عدد ، وشملك إلّا بدد ، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين .

---

(١) آل عمران : ١٦٩ .

فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والرحمة ، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة .

وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، وحسن المآب ، ويختم بنا الشرافة ، إنّه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير »[١].

الإمام الباقر يعظ يزيد

حينما أُدخل أهل البيت عليهم السلام مجلس يزيد أخذ اللعين يتجاسر عليهم ويقول لجماعته : لقد أمرت بقتل كافّة رجالهم ، فلم يبق سوى هؤلاء النسوة والأطفال المقيّدين ، فماذا تشيرون أن أفعل بهم ؟ فقال الجميع وبلا تردّد : مر بقتلهم كي لا يبقى من نسل علي أحد فوق الأرض .

آنذاك قام الإمام الباقر وكان إمّا عمره سنتين وشهور أو خمس سنوات وكان مع الأسارى مقيّداً فحمد الله وأثنى عليه وقال : يزيد لي أن أتكلّم .

فتعجّب اللعين من جرأته وجسارته وقال : قل ماذا تريد ؟

فقال الإمام عليه السلام : لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشار جلساء فرعون عليه حيث شاورهم في موسى وهارون ، فإنّهم قالوا له : أرجه وأخاه ، وقد أشار هؤلاء بقتلنا ، ولهذا سبب . فقال يزيد : وما السبب ؟ فقال عليه السلام : إنّ هؤلاء كانوا الرشدة وهؤلاء لغير رشدة ، ولا يقتل الأنبياء وأولادهم إلّا أولاد الأدعياء فأمسك يزيد مطرقاً[٢].

وأفظع الكلّ دخول الطاهرة حاسرة على ابن هند العاهرة

وما لها ومجلس الشراب وهي ابنة السنّة والكتاب

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢ / ٦٣ ، وانظر : مثير الأحزان : ١٠١ ، الملهوف : ٢١٥ ، الاحتجاج ٢ / ١٢٣ ، الحدائق الوردية لحميد بن زيد اليماني ، بحار الأنوار ٤٥ / ١٣٣ ، أعلام النساء ٢ / ٩٥ لعمر رضا كحالة ، وغيرهم . المترجم

(٢) إثبات الوصيّة ص ١٤٥ .

أتـوقف الحـرّة مـن آل العبا — بـين يـدي طليقها وا عـجبا
يشـتمها طـاغية الإلحـاد — وهـي سـلالة النـبي الهـادي
بـل سـمعت مـن ذلك اللعين — سبّ أبـيها وهـو أصـل الديـن
أتـنسب الطـاهرة الصـدّيقة — للكذب وهـي أصـدق الخـليقة
أصـفوة الولي نـخبة النـبي — عـدوّة الله فـيا للـعجب
وا حـرّ قـلباه لقـلب الحـرّة — فـما رأتـه لا أطـيق ذكـره
شـلّت يـد مـدّت بـقرع العـود — إلى ثـنايا العـدل والتـوحيد
تـلك الثـنايا مـرشف الرسـول — ومـلثم الطـاهرة البـتول
ومـا جـناه بـاللسان أعـظم — وكـفره المكـنون مـنه يـعلم
وقـد أبـانت كـفر ذاك الطـاغي — بأحسـن البـيان والبـلاغ
حـنّت بـقلب مـوجع مـحترق — عـلى أخـيها فأجـابها الشـقي
يـاصيحة تـخمد مـن صـوائح — ما أهـون النـوح عـلى النـوائح

خطبة الإمام السجّاد عليه السلام

لا يخفى أنّ لدخول أهل البيت عليهم السلام الشام أثراً كبيراً في افتضاح يـزيد وكشـف ألاعيبه الخفية التي كانت منطلية على البسطاء من الناس.

ففي أحد الأيّام طلب الإمام السجّاد عليه السلام من يزيد أن يأذن له كي يخطب في الناس في إحدى الجمع فأذن له.

وفي يوم الجمعة أمر الطاغية أحد الوعّـاظ ـ الذيـن اشـتروا سـخط الله بـرضا المخلوق ـ أن يصعد المنبر وينال من الإمام علي عليه السلام وأولاده ويمدح آل أبـي سـفيان ويثني عليهم.

وفي ذلك الحال طلب الإمام عليه السلام من يزيد أن يفي بوعده إلّا أنّـه أخـذ يـتهرّب ويراوغ وكان ابنه معاوية حاضراً فقال له: دعه يصعد المنبر، فما يحسن هذا الغلام

فقال يزيد : إنّك لا تعرف من هذا إنّه من أهل بيت زقّوا العلم زقّاً ، وهو لا ينزل إلّا بفيضحتي وفيضحة آل أبي سفيان وأخاف أن يحصل من خطبته فتنة علينا[١]، فأصرّ الناس عليه أن يأذن له فأذن ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أيّها الناس ، أُعطينا ستّاً وفضّلنا بسبع ، أُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين ، وفضّلنا بأنّ منّا النبي المختار محمّداً صلى الله عليه وآله ، ومنّا الصدّيق ، ومنّا الطيّار ، ومنّا أسد الله وأسد الرسول ، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول ، ومنّا سبطا هذه الأُمّة وسيّدا شباب أهل الجنّة .

فمن عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي .

أنا ابن مكّة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفا ، أنا ابن مَن حمل الزكاة بأطراف الرداء ، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حجّ ولبّى ، أنا ابن من حُمل على البراق في الهواء ، أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فسبحان من أسرى ، أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى ، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى ، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى ، أنا ابن محمّد المصطفى .

أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا لا إله إلّا الله ، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين ، وصلّى القبلتين ، وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين . أنا ابن صالح المؤمنين ، ووارث النبيّين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسلمين ، ونور المجاهدين ، وزين العابدين ، وتاج البكّائين ، وأصبر الصابرين ، وأفضل القائمين من آل ياسين ورسول ربّ العالمين ، أنا ابن المؤيّد بجبرائيل ، والمنصور

---

(١) راجع نفس المهموم ص ٤٥٠ .

بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين ، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، والمجاهد أعداءه الناصبين ، وأفخر من مشى من قريش أجمعين ، وأوّل من أجاب واستجاب لله من المؤمنين ، وأقدم السابقين ، وقاصم المعتدين ، ومبير المشركين ، وسهم من مرامي الله على المنافقين ، ولسان حكمة العابدين ، ناصر دين الله ووليّ أمر الله ، وبستان حكمة الله ، وعيبة علم الله ، سمح سخيّ ، بهلول زكيّ أبطحيّ ، رضيّ مرضيّ ، مقدام همام ، صابر صوّام ، مهذّب قوّام ، شجاع قمقام ، قاطع الأصلاب ، ومفرّق الأحزاب ، أربطهم جناناً ، وأطبقهم عناناً ، وأجرأهم لساناً ، وأمضاهم عزيمة ، وأشدّهم شكيمة ، أسد باسل ، وغيث هاطل ، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة وقربت الأعنّة ، طحن الرحى ، ويذروهم ذرو الريح الهشيم ، ليث الحجاز ، وصاحب الإعجاز ، وكبش العراق ، الإمام بالنصّ والاستحقاق ، مكّيّ مدنيّ ، أبطحيّ تهاميّ ، خيفيّ عقبيّ ، بدري أُحدي ، شجري مهاجري ، من العرب سيّدها ، ومن الوغى ليثها ، وارث المشعرين ، وأبو السبطين الحسن والحسين ، مظهر العجائب ، ومفرّق الكتائب ، والشهاب الثاقب ، والنور العاقب ، أسد الله الغالب ، مطلوب كلّ طالب ، غالب كلّ غالب ، ذاك جدّي علي بن أبي طالب .

أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيّدة النساء ، أنا ابن الطهر البتول ، أنا ابن بضعة الرسول .

قال : ولم يزل يقول « أنا أنا » حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد أن تكون فتنة ، فأمر المؤذّن أن يؤذّن فقطع عليه الكلام وسكت .

فلمّا قال المؤذّن : « الله أكبر » قال علي بن الحسين :

كبّرت كبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس ، لا شيء أكبر من الله .

فلمّا قال : « أشهد أن لا إله إلّا الله » قال الإمام السجّاد عليه السلام :

شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخّي وعظمي .

فلمّا قال : « أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله » التفت الإمام السجّاد من أعلى المنبر

إلى يزيد وقال :

يايزيد ، محمّد هذا جدّي أم جدّك ؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت ، وإن قلت إنّه جدّي فلِمَ قتلت عترته ؟

ولمّا فرغ المؤذّن من الأذان والإقامة ، تقدّم يزيد وصلّى صلاة الظهر .

روى الخطبة أرباب السير والتاريخ ، فمنهم من ذكرها تفصيلاً كابن أعثم[(١)] والخوارزمي[(٢)] ومحمّد بن أبي طالب[(٣)] ومنهم من ذكر معظمها كابن شهر آشوب[(٤)] والمجلسي[(٥)] ومنهم من ذكر بعضها مثل أبي الفرج الأصفهاني[(٦)] ومنهم من أشار إليها واكتفى بذكر مقدّماتها مثل ابن نما والسيّد ابن طاووس[(٧)].

يزيد يتبرّأ من جناياته

عندما افتضح يزيد الطاغية أمام الملأ العام واطّلع الناس على سوء جناياته وأفعاله القبيحة لجأ إلى العوبة جديدة أراد أن يغطّي بها مساوئه ألا وهي التبرّي من قتل الإمام الحسين عليه السلام والقاء العبأ واللوم على العسكر .

ولذلك فقد أحضر أُمراء العسكر أمثال شبث بن ربعي ، ومصائب بن وهيبة ، وشمر ابن ذي الجوشن ، وسنان بن أنس ، وخولي بن يزيد ، وقيس بن ربيع وغيرهم وبدأ يحاسبهم واحداً بعد الآخر .

---

(١) الفتوح ٢ / ١٨٥ .

(٢) مقتل الخوارزمي ٢ / ٦٩ .

(٣) تسلية المجالس ٢ / ٣٩١ ، عن صاحب المناقب (بحار الأنوار ٤٥ / ١٣٧) وغيرهم .

(٤) المناقب ٤ / ١٦٨ ، الاحتجاج ٢ / ١٣٢ ، عنه بحار الأنوار ٤٥ / ١٦١ ح٦ .

(٥) بحار الأنوار ٤٥ / ١٦١ ح٦ .

(٦) مقاتل الطالبيين : ١٢١ .

(٧) مثير الأحزان : ١٠٢ ، الملهوف : ١٩ .

ففي البدء التفت إلى قيس بن ربيع وقال: أنت قتلت الحسين بن علي عليه السلام فأجابه قائلاً: أنا لم أقتله أبداً، ولعنة الله على قاتله.

فقال يزيد: من قتله؟ قال: مصائب.

وإذا بيزيد يلتفت إلى مصائب ويقول: أنت قتلت الحسين بن علي؟ فأجابه مثل جواب صاحبه، ثمّ تداول الأمر كلّ يلقي باللوم على صاحبه إلى أن وصل الأمر إلى خولي الذي حار ماذا يجيب يزيد، فالكلّ ينظر إليه شزراً، وفجأة اتّفق الجميع على جواب واحد وقالوا: إنّ قاتل الحسين بن علي عليه السلام هو قيس بن ربيع.

فالتفت إليه يزيد وخاطبه بكلّ خشونة وقال: أأنت قتلت الحسين؟! فقال قيس: إنّني أعرف قاتله جيّداً ولن أقول من هو إلّا بعد أن يتفضّل عليَّ الأمير بالأمان.

وبعد أن أعطاه يزيد الأمان قال: إنّ قاتل الحسين بن علي هو من جيّش الجيوش ورفع راية الحرب ضدّه، فتساءل يزيد قائلاً: ومن هو؟ فقال قيس: أنت يا يزيد فانتفض يزيد من كلامه وترك المجلس قاصداً منزله، ولمّا دخل الدار أخذ رأس سيّد الشهداء عليه السلام وجعله في طشت من ذهب ولفّه في قطعة من القماش واحتفظ به في غرفته الخاصّة.

ثمّ إنّه أخذ يلطم على رأسه ويقول: «ما لي ولقتل الحسين»[(١)].

يقول الملّا حسين الكاشفي في كتابه «روضة الشهداء» إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام لمّا طلب من يزيد أن يسلّمه قاتل أبيه ليقتصّ منه أخذ قتلة الإمام الحسين عليه السلام يتبرّؤون من قتله ويلقي كلّ منهم باللوم على صاحب إلى أن وصل الأمر إلى شمر اللعين فاتّهم يزيداً بقتل سيّد الشهداء عليه السلام[(٢)].

تجدّد المآسي في الشام

نقل عن كتاب «بحر المصائب» أنّه لمّا أُودع أهل البيت عليهم السلام في خرابة الشام كان

---

(١) اكسير العبادات في أسرار الشهادات ج٣ ص٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٢) راجع مقتل أبي مخنف ص٢١٨ ـ ٢٢٠.

هناك ثمانية عشر طفلاً وطفلة يتضوّرون من شدّة الجوع والعطش وكلّهم يطلب الغوث والمساعدة من العقيلة زينب عليها السلام .

وفي أحد الأيّام طلب أحد الأطفال ماءً ، فأحضرت إليه إحدى الشاميات قدحاً وخاطبة العقيلة قائلة : بالله عليك إلّا ما أذنت لي أن أسقيه بيدي ، فإنّ رعاية الأيتام توجب قضاء الحوائج وحصول المرام .

فتساءلت منها العقيلة وقالت : وما هي حاجتك ؟

قالت : إنّني من خدمة الصدّيقة الزهراء عليها السلام ، وقد سكنت هذه البلاد ، ومنذ أمد بعيد ليس لي خبر من أهل البيت عليهم السلام ، فكم إنّني مشتاقة لرؤيا سادتي وموالي : زينب بنت علي والحسين بن علي ، فلعلّ الله ببركة دعاء هذا الطفل يقضي حاجتي ويمنّ عليّ بخدمتهم في بقيّة أيّام حياتي ؟!

ولمّا سمعت العقيلة منها هذا الكلام ضجّت بالبكاء وتأوّهت واجتذبت حسرة وقالت : ياأمة الله ، لقد قضى الله حاجتك ، ها أنا زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا رأس الحسين عليه السلام على باب دار يزيد .

يقول البعض : عندما سمعت الشامية من العقيلة هذا الكلام أُسقط في يدها وصرخت صرخة ثمّ سقطت مغشيّاً عليها .

ولمّا أفاقت أخذت تنعى الإمام الحسين عليه السلام منادية : واحسيناه ، واسيّداه ، وا إماماه وا غريباه ، وا قتيلاً فأبكت ببكائها كلّ صديق وعدو[1].

نذر امرأة

ورد في كتاب « بحر المصائب » أيضاً أنّ امرأة جاءت عند العقيلة زينب عليها السلام وقدّمت إليها طبقاً فيه طعام إلّا أنّ عقيلة الهاشميين تصوّرت أنّه صدقة وقالت : ألا تعلمين أنّ الصدقة حرام علينا أهل البيت عليهم السلام ؟! فأجابتها المرأة قائلة : والله ليس هذا بصدقة ،

---

(١) رياحين الشريعة للعلّامة الشيخ ذبيح الله محلاتي المتوفّى سنة ١٤٠٦هـ ج ٢ ص ١٨٧ .

وإنّما هو نذر للأسارى والغرباء .

فتساءلت العقيلة عليها السلام الهاشمية منها وقالت : ولماذا الأسارى والغرباء بالذات ؟!

فقالت المرأة : أيّام طفولتي كنت أعيش في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وقد ابتليت بمرض صعب العلاج عجز الأطبّاء الحاذقون عن علاجه .

وحيث إنّ والدي من الموالين لأهل البيت عليهم السلام فقد أخذاني إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام وطلبا من الصدّيقة الزهراء عليها السلام أن تتوسّل إلى الله في شفائي . وبينما هم كذلك إذا بالإمام الحسين عليه السلام يقبل فأشار عليه والده أمير المؤمنين عليه السلام أن يمسح بيده المباركة على رأسي ثمّ يرفع يديه بالدعاء ويتوسّل إلى الله تعالى في شفائي .

وما أن مسح الإمام الحسين عليه السلام يده المباركة على رأسي ورفع يديه بالدعاء لشفائي وإذا بصحّتي تتحسّن وتذهب آلامي تماماً وإلى اليوم لم أر مرضاً قطّ .

واليوم وبعد أن جار علينا الزمان أصبحت غريبة في هذه الديار وقد فرّق الدهر بيني وبين سادتي وموالي أهل البيت عليهم السلام ولذا فقد نذرت وتعاهدت مع الله تعالى إنّني متى ما رأيت غريباً أو أسيراً أُحسن إليه وأطلب من الله تعالى مقابل ذلك سلامة سيّدي ومولاي أبي عبدالله الحسين عليه السلام الذي أسأل الله أن يمنّ عليّ بلقائه والتشرّف بزيارته .

ولمّا سمعت العقيلة زينب عليها السلام منها هذا الكلام تأوّهت وارتفع صوتها بالبكاء وقالت : ياأمة الله اعلمي أنّ ساعات انتظارك قد ولّت وأنّ نذرك قد تحقّق ، أليس كنت تتمنّين رؤيا أهل البيت عليهم السلام فهؤلاء الأسارى هم أهل البيت عليهم السلام ، وأنا زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ، وذاك رأس الحسين بن علي عليه السلام منصوباً على دار يزيد .

وحيث إنّ المرأة لم تكن تتوقّع أنّ الزمان سيجور على أهل البيت عليهم السلام هكذا فقد أسقط في يدها وخرّت مغشيّاً عليها ـ وبعد أن أفاقت ـ رمت بنفسها على قدمي العقيلة زينب عليها السلام وأخذت تقبّلهما وهي تبكي وتقول : وا سيّداه ، وا إماماه ، وا غريباه[١].

---

(١) رياحين الشريعة ج ٣ ص ١٨٨ .

وأمست بنات الوحي بعد حماتها وفتيانها بين المضلّين مغنما
إذا استنجدت في قومها الصيد لم تجد برغم العلى غير العليل لها حما
وزينب تدعو والشجا ملؤ قلبها أخاها ودمع العين ينهل عن دما
لقد كان دهري فيك بالأمس مشرقاً فها هو أمسى بعدك اليوم مظلما

امرأة يزيد تزور الأسارى

اختلف المؤرخّون في نقل هذه القضيّة ، فالبعض منهم قال : إنّ زوجة يزيد بنت عبدالله بن كريز عندما سمعت صوت العقيلة زينب عليها السلام في مجلس يزيد ذهلت لعظم المصاب ودخلت المجلس حاسرة الرأس فألقى يزيد ردائه على رأسها . وقد وبّخت يزيد ونالت منه لفعله الشنيع بشدّة حتّى حار ماذا يجيبها فأشار عليها أن تدخل وتنعى الإمام الحسين عليه السلام وتبكي عليه .

ونقل بعض المؤرخين قصّة مجيئها إلى خرابة الشام بكيفية أُخرى لم أجد لهذا النقل مصدر معيّن ولذا فقد أعرضت عن نقل القضية وآثرت الاقتصار على القصّة المذكورة في الكتب المعتبرة .

على كلّ فقد يقال إنّ هناك قرينة تدلّ على أنّ هند المذكورة لم تكن ابنة عبدالله بن كريز وهذه القرينة هي :

ورد في كتاب « ناسخ التواريخ » اثر بيانه للغزوات التي وقعت في عهد عمر وبالذات عند تطرّقه إلى وقائع فتح قلعة أبي القدس فقال : إنّ عيون أبو عبيدة بن الجرّاح ـ قائد العسكر ـ أخبروه أنّ هناك سوقاً مهمّاً للنصارى في مقابل قلعة أبي القدس وعمّا قريب ستعقد ابنة أبي القدس ، فإذا هجمنا عليهم واستولينا على السوق فسنظفر بغنائم كثيرة .

فبعث أبو عبيدة جعفر الطيّار بقيادة خمسمائة فارس إليهم ، ومن بعده أرسل خالد ابن الوليد ليؤازره حتّى فتحوا القلعة وأسروا ابنة أبي القدس .

فأرسل عبدالله بن جعفر إلى أبي عبيدة بأنّني لا أُريد من الغنائم شيئاً سوى هذه

المرأة ، وإذا بأبي عبيدة يجيبه : إنّ الأمر بيد عمر فأرسلوا إليه كي يأذن له فيها فبعث إليهم من يخبرهم عن موافقته .

وبالفعل فقد أخذ عبدالله المرأة كغنيمة إلى أن سمع معاوية السوء عن حسنها وجمالها فطلبها من عبدالله لابنه يزيد بعد أن أرسل مبلغاً طائلاً لعبدالله إلّا أنّه رفض أن يأخذ درهماً واحداً منها وأرسل الجارية إلى معاوية كهدية .

وهنا يمكن أن يقال : إنّ هذه الجارية هي التي أتت إلى خرابة الشام وزارت الأسارى ، وبالطبع فإنّ هذه الجارية عاشت سنين عديدة في بيت عبدالله بن جعفر والعقيلة زينب وتربّت على أيديهما حتّى دارت الأيّام وأُدخل أهل البيت عليهم السلام الشام كأسارى فقيل لها : إنّ بعض الأسارى الخارجيين أُودعوا في الخرابة فأحبّت أن تتفرّج عليهم وتنظر من أي الأسارى هم ولذا فقد استأذنت يزيد في ذلك فأذن لها إلّا أنّه أمرها أن تذهب إليهم ليلاً .

ولمّا أرخى الليل سدوله أخذوا لها كرسيّاً وأدخلوها على الأسارى وما أن رأت حالهم رقّت لهم وتساءلت قائلة : مَن كبيركم ؟ فأشاروا إلى العقيلة زينب عليها السلام .

قالت : من أي الأسارى أنتم ؟ قالت العقيلة عليها السلام : من أهل المدينة . قالت : كلّ المدن تسمّى بالمدينة ، فمن أي المدن أنتم ؟ قالت : من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ، وإذا بها تجلس على الأرض ، فتساءلت منها عقيلة الهاشميين عليها السلام قائلة : لماذا جلست على الأرض ؟ قالت : احتراماً لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ أنّها قالت : بالله عليك أخبرني أتعرفين أحداً من محلّة بني هاشم ؟

فقالت السيّدة زينب عليها السلام : لقد ترعرعت وكبرت في محلّة بني هاشم . فتأوّهت الجارية وقالت : لقد زدتني همّاً فوق همّي أُقسم عليك بالله العظيم ألم تمرّي بدار مولاي أمير المؤمنين عليه السلام أو زرتي سيّدتي ومولاتي زينب بنت علي عليهما السلام ؟ فلم تطق العقيلة تحمّل كلامها وأجهشت بالبكاء وقالت : حقّك ألّا تعرفيني أنا زينب بنت علي عليه السلام .

ثمّ إنّها قالت : أتسألين عن الحسين عليه السلام فذاك رأسه منصوباً على دار يزيد ، وإذا

بالدنيا تضيق في عيني المرأة ويرتفع صوتها بالبكاء والعويل ، بل إنّها أخذت تصيح كما يصيح المجانين ثمّ خرجت إلى قصر يزيد حاسرة الرأس مذهولة وهي تصيح قائلة : يابن معاوية ! رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منصوباً على باب داري ، وا حسيناه ، وا مظلوماه ، وا قتيل أولاد الأدعياء ، والله يعزّ ذلك على رسول الله وعلى أمير المؤمنين عليهما السلام .

فاضطرب الطاغية يزيد ولاحظ أنّ الجميع قد سخطوا عليه حتّى أهله وعياله فأخذ يتظاهر بالندامة من أفعاله الضالّة ويقول : مالي ولحسين بن علي ؟!

ولذا فإنّه لم يجد بدّاً من أن يغيّر طريقة تعامله مع أهل البيت عليهم السلام فقال لزوجته : اذهبي واسكنيهم في منزل أفضل من الخرابة التي هم فيها ، فأسرعت المرأة إلى العقيلة زينب عليها السلام وهي تقول : ليتني عميت ولم أراكم على هذه الحالة .

ثمّ إنّها أخذتهم إلى منزل آخر وأوصت النساء قائلة : يانساء بني مروان ويابنات بني سفيان لا أراكم بعد اليوم تضحكون فرحاً ، فوالله إنّ هؤلاء ليسوا بخوارج بل إنّهم ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاد فاطمة وعلي المرتضى عليهم السلام[1].

رؤيا السيّدة سكينة عليها السلام

يقول الشيخ ابن نما ، رأت السيّدة سكينة في منامها وهي بدمشق كأنّ خمسة نجب من نور قد أقبلوا وعلى كلّ نجيب شيخ ، والملائكة محدقة بهم ومعهم وصيف يمشي فمضى النجب وأقبل الوصيف إليّ وقرب منّي وقال : ياسكينة إنّ جدّك يسلّم عليك ، فقلت : وعلى رسول الله السلام أيا رسول رسول الله من أنت ؟ قال : وصيف من وصائف الجنّة . فقلت : من هؤلاء المشيخة الذين جاءوا على النجب ؟ قال : الأوّل آدم صفوة الله عليه السلام ، والثاني إبراهيم خليل الله عليه السلام والثالث موسى كليم الله عليه السلام ، والرابع عيسى روح الله عليه السلام ، والخامس جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : وأين هم قاصدون ؟ قال : إلى أبيك الحسين عليه السلام فأقبلت أسعى في طلبه لأُعرّفه ما صنع بنا الظالمون بعده ، فبينا أنا كذلك إذ

---

(١) رياحين الشريعة ج ٣ ص ١٩١ .

أقبلت خمسة هوادج من نور في كلّ هودج امرأة ، فقلت : من هذه النسوة المقبلات ؟ قال : الأوّل حواء أُمّ البشر ، والثانية آسية بنت مزاحم ، والثالثة مريم بنت عمران ، والرابعة خديجة بنت خويلد ، والخامسة الواضعة يدها على رأسها تسقط مرّة وتقوم أُخرى جدّتك فاطمة بنت محمّد أُمّ أبيك ، فقلت : والله لأخبرنّها ما صنع بنا ، فلحقتها فوقفت بين يديها أبكي ، وأقول : ياأُمّاه جحدوا والله حقّنا ، ياأُمّاه بدّدوا والله شملنا ، ياأُمّاه استباحوا والله حريمنا ، ياأُمّاه قتلوا والله الحسين أبانا . فقلت : كفّي صوتّك ياسكينة فقد أحرقت كبدي وقطعت نياط قلبي . هذا قميص أبيك الحسين معي لا يفارقني حتّى ألقى الله به . ثمّ انتبهت وأردت كتمان ذلك المنام وحدّثت به أهلي فشاع بين الناس[1]_[2].

وقد نظم النيلي هذه القضيّة في أبيات له فقال :

حتّى إذا أبرزت للسبي جارية	كأنّها البدر من حسن إذا اتّسقا
فقال من هذه قالوا سكينة بنت	الخارجي الذي عن حكمنا أبقا
فقال كيف رأيت الله مكّنني	رقابكم إذ لنا صرتم من العتقا
أخذت ثأري من ابن النبي ومن	غدا من أسلافنا من جدّكم سبقا
هناك قالت أُمّه إنّي ثكلتك يا	أردى الأنام ويامن ليس فيه تقا
اسمع مناماً رأت عيناي بارحتي	يزيد قلبك همّاً عندما طفقا
فقال قصّي لنا رؤياك فابتدرت	تقصّ والدمع منها يسبق النطقا
فبينما أنا إذ صلّيت نافلتي	أثنى عليَّ خالقي والليل قد غسقا
إذ الحسين أبي قد جاء ملتثماً	فرقى وقد مدّ لي كفّيه معتنقا
وعاينت مقلتي من بعد ذاك إلى	قصر من النور يزهو أبيضاً يققا

---

(١) راجع : مثير الأحزان ص ١٠٤ ، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٤٠ ، الملهوف ص ٨٢ .

(٢) إلى هذا الحدّ من البحث كان تنضيد الحروف على يد الأخ العزيز عاشق أهل البيت عليهم السلام الشهيد حبيب الله كيكاوسي المعروف بـ(محمّد ربّاني الخلخالي) وقد ذكرته هنا لتكون له حصّة في هذا الكتاب .

عــال شــرانـفه اليـاقوت حـمرتها للــناظرين إليــها يــدهش الامـقا

فــبينما أنــا نــحو القــصر نـاظرة إذ شرع الباب لي مـن بـعد مـا غـلقا

وعاينت مـقلتي خـمساً وقـد بـرزوا مــن المشـايخ فـي تـرتيبهم نسـقا

ومن بين أيـديهم شـخص فـقلت له والقلب منّي لمّـا عـاينت قـد خـفقا

لمن ترى يافتى ذا القـصر قـالوا لمـو لاك الحســين ولولاه لمــا خــلقا

وهــــذه الخــــمسة الأشــباح آدم ثمّ الطهر نوح الذي فـي حـبّكم سـقا

وذا الخــليل وهــناك الكـليم وذا عيسى النـبي الذي يـبرئ بـغير رقـا

وعــاينت مــقلتي شـخصاً لطـلعته نور عـلا الشـمس لمّـا تـبلغ الأُفـقا

وكــفّه قــابض مــن فــوق لمّــته بــاك بـعبرته قـد صـار مـختنقا

وقد قـطعت زفـرات الحـزن مـهجته والقــلب مــنه لمـا قـد نـاله حـنقا

فــقلت مـن ذا فـقالوا يـاسكينة ذا النــبي جــدّك يـنجو مـن بـه عـلقا

فــقمت أســعى إليــه ثـمّ قـلت له يــاجدّ لم يــبق مـنّا مـن بـه وثـقا

يـاجدّنا لو تـرى بـالطف قـد قـتلت رجــالنا وابـنك السـبط الشـهيد لقـا

يــاجدّنا لو تــرانـا نسـتغيث فـلا نغاث قـد قـطعوا مـن دونـنا الطـرقا

يــاجدّنا لو تــرانـا إذ نـحثّ عـلى الأقتاب نطلب مـن أعـدائـنا الرفـقا

فــعندها ضــمّني جــدّي وقــبّلني وخـرّ مـن عـظم مـا حـدّثته صـعقا

ومـدّ كـفّي وصـيف القـوم أدخـلني في القصر وهو بطيب المسك قد عبقا

وفــيه خــمس نسـاء لو بـرزن إلى الشمس الظهيرة خـلتنا نـورها شـفقا

وبين تـلك النسـاء الخـمس بـاكـية قـد أكـثرت دونـهنّ النـوح والحـرقا

أثوابـها مـن سـود قـد صـبغن وفـي أزياقها الدمع فـي الأردان قـد خـرقا

وشــعرها فــوق كــتفيها تــنشره على الحسين ومنها الجيب قـد مـزّقا

فـقلت أخـبرني يـاذا الوصـف فـمن هذي النساء فـقل لي لا لقـيت شـقا

فــقال هــاتيك يــاسكينة و الأُخرى خديجة أو في العالمين تـقا

وهـــذه مـــريم أيـــضاً وســـارتها ... مع هاجر قد مـلكن الخـلق والخـلقا

وذي القميص الذي قـد ضـمّخته دماً ... بـنت النـبي الذي فـوق البـراق رقـا

فـقمت أسـعى إليـها ثـمّ قـلت لهـا ... أُخـــبرك أنّ أبـي بـالبيض قـد مـزّقا

يـــاجدّنا لو تـــرى عـــيناك ابـــنك ... بين الرأس منه وبين الجسم قد مـزقا

يـــاجدّنا لو رأيـــتنا وليس لنـــا ... عن أعين الناس من فوق المطى وقـا

وأقبلت وهي تشكي تسـتغيث عـلى ... قتل الحسين وتـذري الدمـع مـندفقا

وا لهــفتاه لحــزني فــيك يـاولدي ... وا حسرتا يـاقتيل الصـحب والرفـقا

وا طول لهفي عـليك اليـوم يـاولدي ... لأهـــجرنّ ســهادي فــيك والأرقـا

وظلّ من حـولها النسـوان فـي ثكـل ... يـــندبن للســـبط لا لهـــواً ولا مـلقا

هـــنا قـــامت وضـــمّتني بـــراحــتها ... لصـــدرها فسكـــبت الدمـع مـندفقا

وأقبلت وهي تـذري الدمـع تسألنـي ... عن الحسـين وعـن طـاغ بـه طـرقا

وتســـتغيث وتـــدعو يـاسكينة مَـن ... أضـحى يـغسل ابـني مَـن بـه رفـقا

ويـــلاه ويـــلاه مـن أضـحى يكـفّنه ... ومـــن رأى وجـهه والنـحر والحـدقا

ويـــلاه ويـــلاه مـن أضـحى يكـفّنه ... ومـــن رأى وجـهه والنـحر والحـدقا

ويـــلاه ويـــلاه مـن عـبّى الحـنوط ... ومن ترى سار حول النعش وانـطلقا

ويلاه ويلاه مـن صـلّى عـليه ومـن ... أيضاً تـرى للـثرى فـي لحـده طـبقا

ومن ترى يكفل الأيتام ويـحك بـعد ... ابني الحسين ومن فـي حـبّنا صـدقا

وكـيف خـلف زيـن العـابدين ومَـن ... أوصى إليـه مـن الأصـحاب والرفـقا

رؤيا هند زوجة يزيد

نقل عن هند زوجة يزيد أنّها قالت : أخذت مضجعي فرأيت باباً من السماء وقد فتحت والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلى رأس الحسين عليه السلام وهم يقولون : السلام عليك ياأبا عبدالله السلام عليك يابن رسول الله ، فبينا أنا كذلك إذ نظرت إلى سحابة قد نزلت من السماء وفيها رجال كثيرون وفيهم رجل درّي اللون قمري الوجه ، فأقبل يسـعى حـتّى

انكبّ على ثنايا الحسين عليه السلام يقبّلها وهو يقول : ياولدي قتلوك أتراهم ما عرفوك ومن شرب الماء منعوك ، ياولدي أنا جدّك رسول الله وهذا أبوك علي المرتضى وهذا أخوك الحسن وهذا عمّك جعفر وهذا عقيل وهذان حمزة والعبّاس . ثمّ جعل يعدّد أهل بيته عليهم السلام واحداً بعد واحد . تقول هند : فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة وإذا بنور قد انتشر على رأس الحسين عليه السلام ، فجعلت أطلب يزيد وهو قد دخل إلى بيت مظلم وقد دار وجهه إلى الحائط وهو يقول : ما لي وللحسين ، وقد وقعت عليه الهموم فقصصت عليه المنام وهو منكّس الرأس .

ولمّا أصبح الصباح استدعى حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لهنّ : أيّهما أحبّ إليكنّ ، المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة ولكم الجائزة السنيّة . قالوا : نحبّ أوّلاً أن ننوح على الحسين عليه السلام قال : افعلوا ما بدا لكم . ثمّ أخليت لهنّ الحجر والبيوت في دمشق ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلّا ولبست السواد على الحسين عليه السلام وندبوه على ما تقل سبعة أيّام[١].

يقول ابن نما : وكنّ النساء مدّة مقامهنّ بدمشق ينحن عليه بشجو وأنّة ويندبن بعويل ورنّة ومصاب الأسرى عظم خطبه والأسى لكم الثكلى عال طبه ، وأسكن في مساكن لا يقين من حرّ ولا برد حتّى تقشّرت الجلود وسال الصديد بعد أن كنّ في الخدور وظلّ الستور ، والصبر ظاعن والجزع مقيم والحزن لهنّ نديم[٢].

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص١٩٦ .

(٢) راجع : بحار الأنوار ج ٤٥ ص١٩٦ ، نور الأبصار ص ١٣٥ .

الفصل السابع

من حياة الإمام زين العابدين عليه السلام

إنّ الإمام علي بن الحسين عليهما السلام الملقّب بزين العابدين والسجّاد هو الابن الأرشد للإمام الحسين عليه السلام وأُمّه ابنة ملك الفرس يزدجر وتدعى بـ(شاه زنان)[١]، وهو الولد الوحيد الذي بقي من أبناء الإمام الحسين عليه السلام الثلاثة . إذ أنّ بقيّة أُخوته ـ علي الأكبر وعلي الأصغر وعبدالله الرضيع ـ قد استشهدوا يوم عاشوراء .

ولا يخفى أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قد رافق الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء إلّا أنّ المصلحة اقتضت أن يتمرّض بشدّة حتّى كلّ وعجز عن حمل السلاح والخروج إلى ميدان الشهادة فبقي بعد أبيه يكفل الأُسارى والعيال حيث أُخذ أسيراً إلى الشام وجرى عليه ما جرى من المصائب والويلات ثمّ عاد مع قافلة الأُسارى إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله .

الجدير ذكره أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قد أُخذ أسيراً مرّة أُخرى إلى الشام في عهد الطاغية عبدالملك حيث قادوه عليه السلام مغلولاً بالقيود والحبال ثمّ رجع إلى وطن جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وحيث إنّ الأوضاع السياسية في عهده عليه السلام كانت مضطربة وشديدة فقد

---

(١) حسب المصادر الموجودة لدينا أنّ أسماء والدة الإمام السجّاد هي : شهربانو ، شهربانويه ، شاه زنان ، جهان شاه ، شهرناز ، جهان بانويه ، خولة ، بزه ، سلافة ، غزالة ، سلامة ، حرار ، مريم ، فاطمة ، ومن بين هذه الأسماء فإنّ اسم شهر بانو هو المشهور .

وقد بلغت هذه الشهرة حدّاً أن يوجد مزار لها بالقرب من مدينة « شهر ري » في أحد الجبال يعرف بمقام السيّدة « شهربانو » .

وقد ذكر الشيخ الصدوق فقال : إنّ والدة الإمام زين العابدين عليه السلام توفّيت أثناء الوضع وقد ربّته عليه السلام أمة من اماء سيّد الشهداء عليه السلام .

وجد في ذلك فرصة سانحة للانشغال بالعبادة وطاعة الله تعالى والاقتصار على لقاء بعض الخواص من الشيعة أمثال « أبو حمزة الثمالي » و « خالد الكابلي »[١].

بطبيعة الحال فإنّ أمثال هؤلاء الخواص كانوا يتصلون بالإمام عليه السلام ويـنزلون إلى الميدان وينشرون معارف أهل البيت عليهم السلام وأحكامهم التي كانوا يتلقّونها من الإمام عليه السلام الأمر الذي ساهم في نشر التشيّع آنذاك كثيراً .

ولادة الإمام السجّاد عليه السلام

اختلف العلماء والمحقّقون بشدّة في تعيين تاريخ ميلاد الإمام زين العابدين عليه السلام ، فقد ذهب كلّ من الشيخ المفيد والطوسي والسيّد ابن طاووس أنّ ميلاده كان في وسط شهر جمادى الأُولى سنة ٣٦هـ بينما ذهب ابن صبّاغ المالكي في الفصول المهمّة وصاحب الدروس أنّ ميلاده كان في الخامس من شعبان سنة ٣٨هـ[٢]، وقال الطبرسي في أعلام الورى أنّ ولادته كانت من النصف من شهر جمادى الآخرة والأصحّ حسب ما أعلم هو القول الأوّل والله العالم .

وقد ولد سلام الله عليه في المدينة المنوّرة وسبق منّا أن تطرّقنا إلى اسم والدته سلام الله عليها .

آثار الإمام زين العابدين عليه السلام

من بركات الإمام زين العابدين عليه السلام التي وصلت إلى أيدينا هي رسالته المباركة المسمّاة بـ« رسالة الحقوق » وهي رسالة عظيمة عالية المضامين وحقيق بكلّ مـوالي ومحبّ للحقيقة أن يدقّق فيها ويتمعّن في حكمها الإلهية ومواعظها الرفيعة التي تتكفّل ببناء المجتمع الفاضل وتهذيب الأفراد كما أراد الشارع المقدّس .

كما أنّ من آثار هذا الإمام المظلوم الباقية هي الصحيفة السجّادية الحاوية لأهمّ

---

(١) راجع تذكرة الخواص ص ٣٢٤ ، إثبات الهداة ج ٥ ص ٢٤٢ .

(٢) الفصول المهمّة ص ٢١٢ .

كنوز المعارف الإلهية ولكن بأُسلوب الدعاء ومناجاة الله عزّوجلّ .

وقد اشتهرت هذه الصحيفة بين العلماء والعظماء بـ « انجيل أهل البيت عليهم السلام » و « زبور آل محمّد عليهم السلام » فكما أنّ انجيل نبي الله عيسى عليه السلام وزبور نبي الله داود عليه السلام يحتويان على الحكم وكنوز المعارف الإلهية كذلك هي الصحيفة السجّادية ، فهي تضمّ بين طيّاتها للعديد من المعارف الإسلامية الكفيلة بتحقيق التوفيق والسعادة للبشرية على مرّ التاريخ .

الملفت للانتباه أنّ الكثير من العلماء الأعلام في اجازاتهم كما أشار إلى ذلك المحدّث النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل ـ يعبّرون عن الصحيفة السجّادية بـ « أُخت القرآن » وعن نهج البلاغة بـ « أخ القرآن » إذ أنّ هذين الكتابين بمكانة من القداسة .

ألقاب الإمام زين العابدين عليه السلام

إنّ أشهر كنى الإمام السجّاد عليه أفضل الصلاة والسلام هما : أبو الحسن وأبو الحسن ، أمّا ألقابه فهي كثيرة منها : زين العابدين ، سيّد الساجدين والعابدين ، الزكي ، الأمين ، السجّاد ، وذو الثفنات .

وقد كان نقش خاتمه كما ورد في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام هو : « الحمد لله العلي » ، وفي رواية الإمام الباقر عليه السلام أنّ نقشه كان هو : « العزّة لله » و « شقي قاتل الحسين ابن علي عليهما السلام » وفي الخبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : كان لأبي عليه السلام في موضع سجوده آثار ناتئة وكان يقطعها في السنة مرّتين في كلّ مرّة خمس ثفنات ، فسمّي ذو الثفنات لذلك[1] .

النسب الشريف

جمع الإمام السجّاد عليه السلام نجابت العرب والعجم ، فهو ابن الخيرتين أباً وأُمّاً وإلى ذلك يشير رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً : إنّ لله من عباده خيرتين ، فخيرته من العرب قريش ومن

(١) علل الشرائع ص ٢٣٢ ح ١ ، بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٦ ح ١٠ .

العجم فارس[١]، ولذلك لقّب عليه أفضل الصلاة والسلام بابن الخيرين.

ومن نسل هذا الإمام الطاهر كانت ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا كانوا يطلقون عليه بـ « آدم بني الحسين عليه السلام ».

وهو أوّل من اختار الخلوة والعزلة والتفرّغ لله عزّوجلّ، وأوّل من اتّخذ المسبحة والسجّادة من تربة سيّد الشهداء عليه السلام وقد كان معروفاً ببكائه حتّى سمّي برئيس البكّائين الأربعة وهم: آدم، ويعقوب، ويوسف، وهو بأبي وأُمّي.

أين زين العابدين ؟

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ أين زين العابدين ؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يخطر بين الصفوف[٢].

وفي كشف الغمّة أنّه كان سبب لقبه بزين العابدين، أنّه كان ليلة في محرابه قائماً في تهجّده، فتمثّل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه، فجاء إلى ابهام رجله فالتقمها فلم يلتفت إليه فآلمه فلم يقطع صلاته، فلمّا فرغ منها وقد كشف الله له فعلم أنّه شيطان فسبّه ولطمه وقال له: اخسأ ياملعون فذهب وقام إلى تمام ورده، فسمع صوت قائل يقول: « أنت زين العابدين حقّاً » ثلاثاً، فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له[٣].

الشكر على النعم

روى ابن بابويه عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: إنّ أبي علي بن الحسين عليهما السلام ما ذكر نعمة الله عليه إلّا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عزّوجلّ فيها سجود إلّا سجد، ولا دفع الله تعالى عنه سوء يخشاه أو كيد كايد إلّا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلّا سجد،

---

(١) بحار الأنوار ج٤٦ ص٤.

(٢) علل الشرائع ص٢٣٠، بحار الأنوار ج٤٦ ص٢.

(٣) كشف الغمّة ج٢ ص٢٨٦.

ولا وفّق لإصلاح بين اثنين إلّا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمّي السجّاد لذلك[١].

عبيدك ببابك

جاء في كتاب حديقة الشيعة أنّ طاووس اليماني قال: دخلت حجر إسماعيل ليلة فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام في السجود وهو يكرّر كلاماً فأصغيت جيّداً فإذا هو يقول: إلهي عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك» فما أصابني بلاء أو مرض أو ألم فصلّيت وسجدت وقلتها إلّا كشف عنّي وفرّج بي.

والفناء في اللغة فضاء البيت أي عبدك ومسكينك والمحتاج إليك واقف ببابك منتظر رحمتك ورأفتك، فمن قالها بإخلاص رأى أثرها وقضيت حاجته[٢].

حاله في عبادته

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يصلّي في اليوم والليلة الف ركعة كما كان يفعل أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت له خمس مائة نخلة فكان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين، وكان إذا قام في صلاته عشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، كانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّوجلّ، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبداً[٣].

أنت حرّ لوجه الله

روي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه وأجابه في الثالثة، فقال له: يابني أما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما لك لم تجبني؟ قال: أمنتك، قال:

---

(١) علل الشرائع ص ٢٣٢ باب ١٦٦ ح ١.

(٢) منتهى الآمال ج ٢ ص ٢٠.

(٣) منتهى الآمال ج ٢ ص ١٣ ـ ١٤.

الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[١].

وفي رواية أُخرى : أنّ الإمام عليه السلام كان عنده قوم ضيوف ، فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور ، فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بني للإمام عليه السلام تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله ، فقال الإمام السجّاد عليه السلام للغلام : وقد تحيّر واضطرب : أنت حرّ فإنّك لم تتعمّده ثمّ أخذ في جهاز ابنه ودفنه[٢].

ونقل صاحب المناقب عن المدائني : أنّه لمّا انتسب الإمام السجّاد عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله قال يزيد لأحد جلاوزته : أدخله في هذا البستان واقتله وادفنه فيه ، فأدخله البستان وجعل يحفر القبر والإمام السجّاد عليه السلام يصلّي ، فلمّا همّ بقتله ضربته يد من الهواء فخرّ لوجهه وشهق ودهش ، فرآه خالد بن يزيد ، فانقلب إلى أبيه فقصّ عليه الخبر ، فأمر يزيد بدفن الرجل في الحفرة ، قال المدائني : وموضع حبس زين العابدين عليه السلام هو اليوم مسجد[٣].

وصيّة الإمام السجّاد عليه السلام

روى الإمام الباقر عليه السلام قال : أوصاني أبي فقال : يابني لا تصحبنّ خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق ، فقلت : جعلت فداك ياأبة من هؤلاء الخمسة ؟ قال : لا تصبحنّ فاسقاً فإنّه يبيعك بأكلة فما دونها ، فقلت : ياأبة وما دونها ؟ قال : يطمع فيها ثمّ لا ينالها ، قال : قلت : ياأبة ومن الثاني ؟ قال : لا تصحبنّ البخيل فإنّه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه ، قال : فقلت : ومن الثالث ؟ قال : لا تصحبنّ كذّاباً فإنّه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرّب منك البعيد ، قال : قلت : ومن الرابع ؟

قال : لا تصحبنّ أحمق فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك ، قال : قلت : ياأبة من

---

(١) كشف الغمّة ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٢) كشف الغمّة ج ص ٢٩٣ .

(٣) المناقب ج ٤ ص ١٧٣ .

الخامس ؟ قال : لا تصحبنّ قاطع رحم فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله ثلاثة مواضع[١].

وقال عليه السلام لرجل شكى إليه حاله : مسكين ابن آدم في له كلّ يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهنّ ولو اعتبر لهانت عليه المصائب وأمر الدنيا .

فأمّا المصيبة الأُولى فاليوم الذي ينقص من عمره ، قال : وإن ناله نقصان في ماله اغتمّ به ، والدرهم يخلف عنه والعمر لا يردّه شيء .

والثانية : أنّه يستوفي رزقه فإن كان حلالاً حوسب عليه وإن كان حراماً عوقب عليه ، قال : والثالثة أعظم من ذلك ، قيل : وما هي ؟ قال : ما من يوم يمسي إلّا وقد دنى من الآخرة مرحلة لا يدري على الجنّة أم على النار[٢].

أبناء الإمام السجّاد عليه السلام

قال الشيخ المفيد وصاحب الفصول المهمّة : أنّ ولد الإمام علي بن الحسين عليهما السلام خمسة عشر ولداً وهم : محمّد المكنّى بأبي جعفر الباقر عليه السلام أُمّه أُمّ عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، عبدالله ، الحسن ، الحسين ، وأُمّهم أُمّ ولد ، زيد ، عمر ، وهما لأُمّ ولد ، الحسين الأصغر ، عبدالرحمن ، سليمان ، لأمّ ولد ، علي وكان أصغر ولد الإمام السجّاد ، خديجة وأُمّها أُمّ ولد ، محمّد الأصغر ، وأُمّه أُمّ ولد ، فاطمة ، عليّة ، أُمّ كلثوم وأُمّهنّ أُمّ ولد[٣].

وقد نقل المحدّث القمّي رحمه الله حول عليّة فقال : أنّ عليّة هي التي ذكر اسمها في كتب علماء الرجال ، وقالوا أنّها جمعت كتاباً ينقل زرارة عنه[٤].

---

(١) كشف الغمّة ج٢ ص٢٩٣ .

(٢) بحار الأنوار ج٧٨ ص١٦٠ .

(٣) الإرشاد ص٢٦١ .

(٤) منتهى الآمال ج٢ ص٦٥ .

الشهادة المؤلمة

اعلم أنّه وقع اختلاف كبير بين العلماء في وفاة الإمام السجّاد عليه السلام والمشهور أنّه استشهد في أحد الأيّام الثلاثة التالية وهي : إمّا الثاني عشر من محرّم أو الثامن عشر أو الخامس والعشرون منه في السنة الخامسة والتسعين أو الرابعة والتسعين للهجرة ، وسمّيت سنة وفاته عليه السلام بـ« سنة الفقهاء » لكثرة موت الفقهاء والعلماء فيها .

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : لمّا كان الليلة التي وعدها علي ابن الحسين عليهما السلام قال لمحمّد : يابني أبغي وضوءاً ، قال : فقمت فجئت بوضوء ، قال : لا ينبغي هذا فإنّ فيه شيئاً ميّتاً ، قال : فخرجت بالمصباح فإذا فيه فأرة ميتة ، فجئته بوضوء غيره .

قال : فقال : يابني هذه الليلة التي وعدتها[1].

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال : لمّا حضر علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة أُغمي عليه ثلاث مرّات فقال في المرّة الأخيرة : الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ، وفي الكافي أضاف على الخبر أنّه عليه السلام قرأ سورة الواقعة وسورة الفتح ثمّ تلا الآية الكريمة[2].

ونقل أنّه عليه السلام في ساعات الاحتضار دعا الإمام الباقر عليه السلام وضمّه إلى صدره وأوصاه بوصيّه أبيه الحسين عليه السلام فقال : إيّاك وظلم من لا ناصر له سوى الله[3].

وعن الراوندي أنّ علي بن الحسين عليهما السلام كان يقول عند الموت : اللهمّ ارحمني فإنّك كريم ، اللهمّ ارحمني فإنّك رحيم ، فلم يزل يردّدها حتّى توفّي عليه السلام[4].

وبعد أن توفّي الإمام عليه السلام حضر الجميع جنازته ما عدا « سعيد بن المسيّب »

---

(١) منتهى الآمال ج٢ ص٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) جلاء العيون ص٥٠٠ .

(٣) الكافي ج٢ ص٢٤٩ .

(٤) دعوات الراوندي ص٢٥٠ ح٧٠٤ .

فشيّعوا جثمانه إلى البقيع ودفنوه إلى جوار جدّه المظلوم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام .

وفي الخبر أنّه عليه السلام لمّا وضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين .

وكان له عليه السلام ناقة ذهب بها إلى الحجّ ٢٢ عاماً ومع ذلك لم يضربها سوطاً واحداً ، ولمّا دفن عليه السلام جاءت الناقة إلى قبره الشريف وجلست عنده وأخذت تحنّ وتأنّ وتبكي .

وفي بعض الأخبار أنّ الإمام الباقر عليه السلام أتى إليها وقال لها : اسكتي وارجعي بارك الله فيك ، فعادت إلّا أنّها عادت بعد مدّة من الزمن وأخذت تبكي وتنوح إلى ثلاثة أيّام وفي اليوم الثالث ماتت(١).

وكما يستفاد من الأخبار الكثيرة أنّ سبب وفاة الإمام عليه السلام كانت لسقيه السمّ الفتّاك ، فقد ذهب ابن بابويه وجمع آخر أنّ الوليد بن عبدالملك هو الذي دسّ السم إليه ، وقيل هشام بن عبدالملك(٢).

وقد اختلف في مدّة حياته إلّا أنّ أكثرهم قالوا أنّه عمره المبارك حين وفاته كان ٥٧ سنة(٣).

ونقل الكليني رحمه الله بسند معتبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : قبض علي بن الحسين عليهما السلام وهو ابن سبع وخمسين سنة ، في عام خمس وتسعين للهجرة ، وقد عاش بعد الإمام الحسين عليه السلام خمساً وثلاثين سنة(٤).

وقد نسب للإمام عليه السلام بعض الأبيات منها قوله أيّام أسره :

أُقاد ذليلاً في دمشق كأنّني ... من الزنج عبد غاب عنه نصيره

---

(١) منتهى الآمال ج ٢ ص ٦٠ .

(٢) منتهى الآمال ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) منتهى الآمال ج ٢ ص ٥٧ .

(٤) الكافي ج ١ ص ٣٦٠ .

وجدّي رسول الله في كلّ موطن وشيخي أمير المؤمنين وزيره

أبيات الفرزدق

لعلّ خير ما قيل في الإمام زين العابدين عليه السلام هو ما أنشده الفرزدق عندما تساءل هشام عن الإمام عليه السلام فأجابه الفرزدق قائلاً:

ياسائلي أين حلّ الجود والكرم عندي بيان إذا طلّابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقيّ النقيّ الطاهر العَلَم
هذا الذي أحمد المختار والده صلّى عليه إلهي ما جرى القلم
لو يعلم الركن مَن قد جاء يلثمه لخرّ يلثم منه ما وطى القَدَم
هذا علي رسول الله والده أمست بنور هداه تهتدي الأُمم
هذا الذي عمّه الطيّار جعفر وا لمقتول حمزة ليث حبّه قسم
هذا ابن سيّدة النسوان فاطمة وابن الوصي الذي في سيفه نَقَم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلّم إلّا حين يبتسم
ينجاب نور الدجى عن نور غرّته كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
بكفّه خيزران ريحه عبق من كفّ أروع في عرنينه شمم
ما قال لا قطّ إلّا في تشهّده لولا التشهّد كانت لاءه نعم
مشتقّة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم
حمّال أثقال أقوام إذا قدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم
إن قال قال بما يهوى جميعهم وإن تكلّم يوماً زانه الكلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختموا

الله فضله قدماً وشرفه ... جرى بذاك له في لوحه القلم

من جدّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمّته دانت له الأُمم

عمّ البرية بالإحسان وانقشعت ... عنها العماية والإملاق والظلم

كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... تستوكفان ولا يعروهما عدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزيّنه خصلتان الحلم والكرم

لا يخلف الوعد ميموناً نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعترم

من معشر حبّهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبّهم ... ويستزاد به الإحسان والنعم

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كلّ فرض ومختوم به الكلم

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل مَن خير أهل الأرض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى هضم

لا يقبض العسر بسطاً من أكفّهم ... سيّان ذلك إن أثروا وإن عدموا

إنّ القبائل ليست في رقابهم ... لأوّلية هذا أوّله نعم

من يعرف الله يعرف أوّلية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأُمم

بيوتهم في قريش يستضاء بها ... في النائبات وعند الحلم إن حلموا

فجدّه من قريش في أزمتها ... محمّد وعلي بعده عَلَم

بدر له شاهد والشعب من أحد ... والخندقان ويوم الفتح قد علموا

وخيبر وحنين يشهدان له ... وفي قريضة يوم صيلم قتم

مواطن قد علت في كلّ نائبة ... وعلى الصحابة لم أكتم كما كتموا

الفصل الثامن

انتقام الحقّ

نقل أنّ الأمير قطب الدين تيمور الگورگاني كان في التسلّط والهيمنة كالاسكندر حيث سيطر على الكثير من البلاد وفرض على الكفّار الجزية .

وفي عام ٨٠٣ ذهب إلى الشام وقاتل أُمراءها في حدود حلب فانتصر عليهم وأسر قادتهم ودخل حلب منتصراً ظافراً بأهلها .

ثمّ إنّه جهّز جيشاً عظيماً من حلب وتوجّه نحو الشام وفتحها وقتل أُمرائها حتّى أنّ ملك مصر السلطان فرّخ .

وكما في التاريخ أنّه لمّا فتح الشام كانت الغنائم التي حصّلها لا تعدّ ولا تحصى ، وفي نفس تلك السنة أباح تيمور بغداد لمخالفة أهلها له وأعطى الإذن العامّ في قتلهم .

على كلّ فبعد أن سيطر أمير الدين على الشام ثارت في نفسه الغيرة لمصاب أهل البيت عليهم السلام وما جرى من الصعوبات على المخدّرات في الشام فأراد أن ينتقم لهم ولثارهم فعمد إلى الخطّة التالية .

فقد خطب ابنة ملك الشام وكانت من المحتشمات وأمر أن تزيّن المدينة ويحتفل الناس بهذا الزفاف ، ثمّ إنّه بعثها إلى الماشطات ليزيّنها ويأخذوها إلى الحمّام ، ولمّا أخذوها أمر أن يأتوا بها على ناقة هزيلة عارية ليس فيها هودج ويطوفوا بها مكشوفة أمام الناس . وما أن رأى أهل الشام هذه الحالة اعترض كبيرهم وصغيرهم على ظلم تيمور وشجبوا عمله ، فنظر إليهم الأمير تيمور والحسرة تتكسّر في قلبه وقال : ما هذه الضجّة ؟ ولماذا تعترضون ؟

أنا لم أرد ظلم أي أحد بل ظننت أنّ رسمكم هكذا تطوفون بأبناء العظماء في

بلادكم حواسر .

فاندهش أهل الشام وقالوا : وأي فاسق يرضى أن يعمل بأعراض المسلمين هكذا ؟

فتأوّه الأمير تيمور وانحدرت دموعه على خدّيه وقال : لا دين لكم ، أما تستحون ؟! فأي أبناء الملوك أقدس من ذرّية رسول الله ﷺ ؟! ومن أعظم من ابنة الصدّيقة الزهراء عليها السلام حتّى تقودها على النياق الهزلة وتطوفون بها حاسرة في الأسواق بعد أن حرقتم خيامها وسبيتم بنات الرسول ﷺ من بلد إلى آخر .

ثمّ أنّه قال لهم : لا غيرة لكم ، أما تستحون ، تعلمون بقتل ذرية الرسول ﷺ ظلماً وعدواناً ثمّ تعيّدون بدخول بناته في بلادكم أُسارى ؟!

فوا أسفاه ، ثمّ وا أسفاه ، فلو إنّني كنت في ذلك اليوم لأنتقمت من أُولئك الظلمة ولمحوتهم من الوجود ، فوالله ياأهل الشام لا أنسى كيف أُدخل أهل البيت عليهم السلام مجلس يزيد الطاغية مقيّدين كأنّهم عبيد من الروم أو الفرنج دون أن ينبس أحد ببنت شفة بينما يغار ذلك الفرنجي[1] على عيال الرسول ﷺ وأطفاله . ألا لعنة الله على آبائكم وأجدادكم .

فبقي الشاميون حائرين ماذا يجيبونه .

ولمّا وجد أن لا جواب لهم التفت إليهم ثانية وقال : ياأعداء الله وأعداء رسوله ، لقد عزّ عليكم أن تأسر امرأة من أهل الشام ولا يعزّ على رسول الله ﷺ أن يطاف ببنات فاطمة عليها السلام في بلادكم ؟! ثمّ أنّه أمر قادة جيشه أن يفتكوا بهم ويبيحوا دمهم ويضرموا النيران في بلادهم فبقت الشام على ذلك الحال إلى العصور الأخيرة حيث عمّرها بعض السلاطين وأعادوا بناءها[2].

---

(١) هذه إشارة إلى مبعوث ملك الروم مع يزيد وقصّته مشهورة في الكتب .

(٢) قصص التاريخ لحجّة الإسلام غلام حسين عابدي ج١ ص١٨٧ .

الفصل التاسع

١ ـ الشجرة الطيّبة

إحدى المقامات المعروفة والمشهورة في دمشق ، هو مقام ومرقد السيّدة رقيّة يتيمة الإمام الحسين عليه السلام التي استشهدت في السادس من سفر المظفّر عام ٦١هـ في إحدى خرابات الشام من شدّة الفراق والشوق إلى والدها سيّد الشهداء عليه السلام .

أبناء الإمام الحسين عليه السلام

إنّ الذي يراجع الكتب والأقوال المختلفة يجد أنّ البنات التي نسبن إلى سيّد الشهداء عليه السلام ثمانية وهم : فاطمة الكبرى ، فاطمة الصغرى ، زبيدة ، زينب ، سكينة ـ وهي التي توفّيت في خرابة الشام ، وقد قال البعض أنّ اسمها زبيدة بينما ذهب البعض الآخر أنّ اسمها رقيّة ـ وأُمّ كلثوم وصفية .

كما نسب للإمام الحسين عليه السلام من الذكور ثمانية أولاد وهم : ١ ـ علي الأكبر ، ٢ ـ علي الأوسط ، ٣ ـ علي الاصغر ، ٤ ـ محمّد ، ٥ ـ جعفر ، ٦ ـ القاسم ، ٧ ـ عبدالله ، ٨ ـ المحسن ، ٩ ـ إبراهيم ، ١٠ ـ الحمزة ، ١١ ـ عمر ، ١٢ ـ زيد ، ١٣ ـ عمران بن الحسين عليه السلام ، وقد نقل أنّ عدد الأولاد الذكور لسيّد الشهداء عليه السلام أكثر من ذلك وهو قول ضعيف جدّاً .

فمن كلام لآية الله الحاج ميرزا حبيب الله الكاشاني بعد تعرّضه إلى أولاد سيّد الشهداء عليه السلام قال فيه : باعتقادي على تقدير صحّة ما ذكر ، أنّ التعدّد كان في الأسماء وليس في المسمّين ، إذ أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان معروفاً بقلّة الأولاد ، ولذا نستطيع القول إنّ هذه أسماء متعدّد لأشخاص معدودين بحيث يكون لكلّ ولد من أولاد سيّد الشهداء عليه السلام أكثر من اسم ، أو أنّ هذه أسماء لذرّية الإمام الحسين عليه السلام .

ويحتمل أن يكون بعض هؤلاء ينسبون إلى سيّد الشهداء عليه السلام عن طريق بني هاشم إذ أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان أبو الأيتام وكافلهم[١]، وقال آية الله الميرزا حبيب الله أيضاً حول يتيمة الشام التي توفّيت في الخرابة : ربما كان اسمها رقية وقد كانت من بنات سيّد الشهداء عليه السلام إذ أنّ المزار العظيم الذي هو في خرابات الشام ينسب إليها وهو معروف بمزار السيّدة رقيّة[٢].

تحقيق مختصر حول السيّدة رقيّة

إنّ كلمة رقيّة في الأصل مأخوذة من الارتقاء بمعنى الصعود إلى الأعلى والترقّي . وقد كان هذا الاسم قبل الإسلام موجوداً أيضاً ، ففي التاريخ أنّ اسم إحدى بنات هاشم ـ جدّ الرسول ـ كان رقيّة ، وهي عمّة والد النبي صلى الله عليه وآله[٣] والمرأة الثانية التي كان اسمها رقيّة هي ربيبة النبي صلى الله عليه وآله من السيّدة خديجة بنت خويلد ، ناهيك عن بنات الأئمّة عليهم السلام اللواتي سمّين برقيّة ومنهنّ ابنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام[٤] وابنتين للإمام الكاظم عليه السلام وهما رقيّة ورقيّة الصغرى .

وينبغي الاشارة أنّ أكثر المحدّثين أشاروا أنّ لسيّد الشهداء ابنتين هما فاطمة والسيّدة سكينة إلّا أنّ ابن شهر آشوب ومحمّد بن جرير الطبري الشيعي أشارا أنّ للإمام الحسين عليه السلام ثلاث بنات وهنّ : سكينة ، وفاطمة وزينب .

ومن المحدّثين القدماء فقط علي بن حسين الإربلي صاحب كتاب « كشف الغمّة في معرفة الأئمّة » والذي ألّفه عام ٦٨٧هـ نقل عن « كمال الدين » فقال : إنّ للإمام

(١) تذكرة الشهداء آية الله الملّا حبيب الكاشاني ص١٩٣ .

(٢) منتخب التواريخ ص٢٩٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ١٥ ص٣٩ .

(٤) ترجمة الإرشاد للمفيد ج ٢ ص١٦ .

الحسين عليه السلام ستّة أولاد ذكور وأربعة أُناث إلّا أنّه أيضاً عند ذكره لأسمائهنّ ذكر ثلاثة وهنّ : زينب وسكينة ، وفاطمة ولم يتطرّق إلى اسم الرابعة أبداً .

ومن المحتمل أن يقال أنّ ابنة سيّد الشهداء عليه السلام الرابعة هي السيّدة رقيّة عليها السلام ، فمن كلام للعلّامة الحائري في كتابه « معالي السبطين » قال : كتب محمّد بن طلحة الشافعي وغيره من علماء الشيعة والسنّة أنّ للإمام الحسين عليه السلام ستّة أولاد وأربعة بنات .

ثمّ تطرّق إلى أسماء البنات فقال : أمّا البنات فهنّ : سكينة ، فاطمة الصغرى ، فاطمة الكبرى ، ورقيّة عليهنّ السلام .

وأضاف أيضاً فقال : أمّا السيّدة رقية عليها السلام فكان عمرها خمس أو سبع سنوات وقد توفّت في الشام وأُمّها « الشاه زنان » ابنة يزدجر ، وبهذا تكون السيّدة رقـيّة عليها السلام أُخت الإمام السجّاد عليه السلام[1].

سؤال وجواب

الكثير من الناس يتساءلون قائلين : الكثير من المصنّفات القديمة مثل الإرشاد للشيخ المفيد ، وأعلام الورى للطبرسي ، وكشف الغمّة للإربلي ، ودلائل الإمامة للطبري لا يوجد فيها ذكر للسيّدة رقيّة أصلاً وهذا خير دليل على عدم وجودها ؟

وفي جواب مثل هذا السؤال نقول :

١ ـ في تلك العصور التي كانت الإمكانات قليلة جدّاً ، وكثرة أولاد الأئمّة عليهم السلام من جانب آخر وشدّة مضايقة حكّام بني أُميّة للكتّاب وتتبّعهم لما يكتبون فضلاً عن عدم الاهتمام الزائد بضبط وتدوين كلّ صغيرة وكبيرة من حياة الأئمّة عليهم السلام ضيّع علينا الكثير من حياة الأئمّة وأخفى على البشرية الكثير من الحقائق ، ولهذا يمكن أن يقال : إنّ عدم ذكر أمثال العلماء الأعلام مع التوجّه إلى ما ذكرنا لا يكون دليلاً على عدم وجود السيّدة رقيّة عليها السلام .

(١) سرگذشت جانسوز حضرة رقيه عليها السلام ص ٩ نقلاً عن معالي السبطين ج ٢ ص ٢١٤ .

٢ ـ لعلّ الكتّاب في تلك العصور مع قلّة الإمكانات ووجود أكثر من طفلة آنذاك باسم رقيّة عاقهم عن التطرّق إلى هذه السيّدة الجليلة .

٣ ـ قد يكون لبعض بنات سيّد الشهداء عليه‌السلام اسمين ، فمثلاً هناك الكثير من القرائن القويّة الدالّة على أنّ السيّدة رقيّة عليها‌السلام هي نفسها فاطمة الصغيرة وربما كان هذا هو السبب الرئيسي للغفلة عن اسم السيّدة رقيّة عليها‌السلام .

٤ ـ ذكرنا قبلاً أنّ بعض العلماء الأعلام من القدماء ذكروا أنّ هناك طفلة لسيّد الشهداء باسم السيّدة رقية كانت قد استشهدت في خرابة الشام .

ومن تعرّض هؤلاء البعض للسيّدة رقيّة عليها‌السلام يتّضح أنّه كانت في أيديهم دلائل اعتمدوا عليها في ذكرهم للسيّدة رقية عليها‌السلام ولم تصل ـ هذه الدلائل ـ إلى أيادي الغير حتّى يومنا هذا .

وعلى أيّة حال فإنّ عدم ذكر بعض القدماء للسيّدة رقيّة عليها‌السلام في مصنّفاتهم لا يكون دليلاً على عدم وجودها .

فكما أنّ عدم ذكر الكثير من الأحداث ووقائع عاشوراء وما جرى على أهل البيت عليهم‌السلام في طريقهم عندما كانوا في الأسر لا يكون دليلاً على عدم وجودها ، كذلك الحال بالنسبة إلى قضية السيّدة رقيّة عليها‌السلام [1].

والد السيّدة رقيّة

إنّ والد السيّدة رقيّة عليها‌السلام هو سيّد الشهداء عليه‌السلام ولا يحتاج أن نعرّفه لأحد فما عساني أنا القاصر أن أُعرّف عظيماً مثل الإمام الحسين عليه‌السلام .

والدة السيّدة رقيّة

إنّ اسم والدة السيّدة رقيّة عليها‌السلام حسب نقل البعض هو « أُمّ إسحاق » وكانت زوجة للإمام الحسن عليه‌السلام ثمّ أوصى سلام الله عليه أخيه سيّد الشهداء عليه‌السلام عند شهادته أن

(١) نفس المصدر ص١٣ .

يتزوّجها . وقد ذكر لها الكثير من الفضائل والمناقب .

وقيل أنّ والدتها هي « أُمّ جعفر القضاعية » إلّا أنّه لا دليل على هذا القول[١].

علماً أنّ الشيخ المفيد رضوان الله عليه أشار في « الإرشاد » أنّ والدة فاطمة بنت الحسين عليهما السلام هي أُمّ إسحاق بنت طلحة[٢].

عمرها المبارك

كان عمر السيّدة رقيّة عليها السلام حين شهادتها حسب بعض الروايات ثلاث سنين ، وفي البعض الآخر أنّ عمرها كان أربع سنين ، ونقل في بعض الأخبار أنّ عمرها كان خمس سنين وفي بعضها سبع سنين .

وقد ذكر في كتاب « وقائع الأيّام والشهور » للعلّامة البيرجندي : أنّ طفلة صغيرة للإمام الحسين عليه السلام توفّيت في الخامس من شهر صفر سنة ٦١هـ، كما نُقل نفس هذا المطلب في كتاب « رياض القدس » .

٢ ـ السيّدة رقيّة في عاشوراء

نقل في بعض الأخبار : أنّ السيّدة سكينة عليها السلام قالت لإحدى خواتها ـ ويحتمل أن تكون هي السيّدة رقيّة ـ يوم عاشوراء : هلمّي نأخذ برداء والدي ونحول بينه وبين الذهاب إلى الميدان .

وعندما سمع سيّد الشهداء عليه السلام صوتهنّ بكى كثيراً ، وإذا بالسيّدة رقيّة تناديه قائلة : أبتاه ! لن أحول دون ذهابك إلى الميدان ولكن قف لي هنيئة لأراك وأتزوّد منك .

فأخذها سيّد الشهداء عليه السلام في حضنه وجعل يقبّلها ويصبّرها وإذا بها تقول له : أبتاه ، العطش العطش ، فإنّ الظمأ قد آلمني .

فأشار عليها الإمام الحسين عليه السلام أن تدخل الخيمة ليذهب إلى الميدان ويطلب لها

---

(١) السيّدة رقيّة عليها السلام تأليف عامر الحلو ص٤٢ .

(٢) ترجمة الإرشاد ج٢ ص١٣٧ .

ماءً وما أن أراد سيّد الشهداء عليه السلام الذهاب إلى الميدان إذا بالسيّدة رقية عليها السلام تأخذ بأذياله من جديد وهي تقول: أبتاه أين تمضي عنّا؟

فأخذها الإمام الحسين عليه السلام في حضنه ثانية وطيّب خاطرها وهدّأ من روعها ثمّ ودّعها بقلب حزين(١).

وا إمـاماه إذ يـودّع أهـليه ... ويـرمي بـطرفه للـخيام
زيـنب أُخـته تـنوح بشـجو ... ثـمّ تـدعو لواحـد العـلّام
وتـناديه يـاأخي يـابن أُمّـي ... أظـلمت بـعد فـقدكم أيّـامي
يـاأخي هـذه سكـينة تـبكي ... قـد أهـلّت دمـوعها بـالسجام
تسـتجير العـدا بـطرف كـليل ... وفـؤاد مـؤله مسـتهام
يـاأخي فـاطم تـدور وتـرتاع ... لمـا نـالها مـن الآلام
خـانها دهـرها فأضـحت بـذلّ ... بـعد عـزّ ونـعمة واحـتشام
يـاأخي هـذه بـناتك بـالذلّ ... أُسـارى ومـا لهـنّ مـحامي
يـاأخي هـذه الأسـارى حـيارى ... سـاترات الوجـوه بـالأكـمام
كـم حسـان وكـم ربـيبة خـدر ... صـرن مـن غـير بـرقع ولثـام
يـاأخي لو تـرى عـلياً بـقيد ... نـاكس الرأس ذلّـة للـرغام
يـاأخي هـدّ حـزن فـقدك ركـني ... وكسـاني النـحول ثـوب سـقام
يـاأخي خـانني الزمـان بـصبري ... وجـفا عـن جـفون عـيني مـنام
يـاأخي أظـلم الزمـان عـلينا ... بـعدما كـان ضـاحكاً بـابتسام

اللقاء الأخير

على الرغم أنّ كلّ وقائع وداع سيّد الشهداء عليه السلام مع أهل بيته عليهم السلام مؤلمة ومحزنة إلّا أنّ الوداع الأخير وهو وداعه مع عزيزة قلبه الصغيرة السيّدة رقيّة عليها السلام أكثر حزناً وأشدّ

---

(١) وقائع عاشوراء للسيّد محمّد تقي مقدّم ص ٤٥٥، حضرة رقية للشيخ علي الفلسفي ص ٥٥٠.

إيلاماً على قلوب المؤمنين :

فمن كلام لهلال بن نافع الذي كان في جيش عمر بن سعد قال فيه : كنت واقفاً خلف صفوف العسكر فرأيت الإمام يتقدّم نحو الميدان بعد أن ودّع عياله وأهل بيته ، وفي ذلك الأثناء شاهدت طفلة خرجت من الخيمة ورجلاها ترجفان فأخذت تعدو خلف الإمام الحسين عليه السلام حتّى وصلت إليه وتشبّثت بأذياله وهي تقول : أبتاه انظر إليّ فإنّي عطشانة .

وما أن سمع سيّد الشهداء عليه السلام هذه الكلمات المشجية من عزيزة قلبه رقيّة عليها السلام إذا به ينقلب حاله ويجهش بالبكاء فخاطبها بدموع جارية وقال : الله يسقيك فإنّه وكيلي عليكم .

يقول هلال بن نافع : سألت من هذه الطفلة ؟ وما هي علاقتها بالإمام الحسين عليه السلام ؟ فقالوا لي : إنّها السيّدة رقيّة صغيرة الإمام الحسين عليه السلام(١).

مواساة السيّدة رقيّة لعطش الإمام الحسين عليه السلام

عندما حمل أزلام يزيد وجلاوزته على حرم الرسول صلى الله عليه وآله وأخذوا يحرقون الخيام وجدوا ما يقارب ٢٣ طفلاً كلّهم يصيحون واعطشاه ، فأخبروا عمر بن سعد بالأمر وقالوا له : إذا أردت حفظ هؤلاء الأطفال من الموت فابعث الماء لنسقيهم .

وبالفعل فقد أذن عمر بن سعد لهم أن يسقوهم الماء فجاءوا إليهم بالماء وجعلوا يسقونهم واحداً بعد الآخر .

ولمّا وصل الساقي إلى السيّدة رقيّة عليها السلام وناولها قدح الماء أخذته وهرولت نحو الميدان ، فتساءل منها الرجل وقال : إلى أين تذهبين ؟ فقالت : أمضي إلى والدي لأسقيه الماء .

فأجابها اللعين : دعي عنك هذا واشربي الماء فقد قتل أباك ظمآناً .

---

(١) سرگذشت جانسوز حضرة رقيّه ص ٢٢ نقلاً عن الوقائع والحوادث لمحمّد باقر مليوبي ج ٣ ص ١٩٢ .

وبمجرّد أن سمعت منه هذا الكلام التفت إليه بدموع جارية وقالت: إذن لن أشرب الماء أبداً(١).

وفاطمة الصغرى تعانق أُختها سكينة خوف السبي وهو مكيد
وزينب ما بين النساء وقلبها قريح وبالأحزان فهو كميد
تقول وللأحزان في القلب مبدع ومبد لأسرار الهموم معيد
أخي يابن أُمّي ياشقيقي وسيّدي ومن لي من دون الأنام عميد
عليك جفوني الذاريات ذوارف وأمّا دموعي المرسلات تجود
أخي مهجة الإسلام مقضي كآبة ومتن الهدى قد قدّ وهو عميد
أخي شلّ عرش الدين وانهدّ ركنه وعطل منه إذا أصيبت حدود
أخي من يلئم الشمل بعد شتاته ومن لبناء المكرمات يشيد
أخي من ترى للجود والندى إذا سار وفد أو أقام وفود
فأنت لمن يبغي الوفادة والجدي بأنفس ما يسخو المفيد تفيد
وإن أجدبت أرض فأنت ربيعها وإن ضنّ صوب المزن أنت مجيد
وكلّ مصاب جاء بعدك هيّن وما هان في هذا المصاب شديد
فياشيعة المختار نوحوا لمصرع الشهيد وبالدمع الغزير فجودوا
تطأه خيول المجريات تجبّراً ويسفي عليه بعد ذاك صعيد
وآل رسول الله يشهرن في الملأ وآل ابن هند في الخدور رقود
يسار بآل المصطفى فوق ضمر وترفعهم بيد وتخفض بيد
ورأس إمام السبط في رأس ذابل طويل على رأس السنان يميد
وينكثه بالخيزران شماتة به وسروراً كافر وعنيد
ويؤتى بزين العابدين مصفّداً وفي قدميه للحديد حدود

(١) سرگذشت جانسوز حضرة رقيه عليها السلام ص٢٩ نقلاً عن ثمرات الحياة ج٢ ص٣٨.

فقوموا بأعباء العزاء فإنّه جليل وأمّا غيره فزهيد
لأي مصاب يذرف الشأن ماءه وتقضى نفوس أو تفت كبود
لأعظم من هذا المصاب وخطبه عظيم على أهل السماء شديد
مصاب له في كلّ قلب مصيبة سهام لحبّات القلوب تبيد
وللهم هم والرزايا رزية وللحزن حزن زائد ويزيد
إليكم يابني الزهراء يامن سمت بهم إلى المجد آباء لهم وجدود

ونقل ابن الجوزي في كتابه « مفاتيح الغيب » أنّ صالح بن عبدالله قال : عندما أحرقوا الخيام وفرّ أهل البيت عليهم السلام في كلّ مكان رأيت طفلة قد أخذت النيران بأطرافها وهي تبكي وتفرّ من الأعداء فرقّ قلبي لها ودنوت منها لأخمد النيران ، ولمّا سمعت صهيل فرسي اشتدّ خوفها وارتاعت أكثر فقلت لها : لا بأس عليك بنيّة لا تخافي إنّما هي النيران قد علقت بأطرافك وأردت أن أخمدها .

وبينما كنت أطفأ النيران في أذيالها التفت إليّ وقالت : ياشيخ أنا عطشانة ، فهل إلى شربة من الماء سبيل ؟ فرقّ قلبي لها وناولتها قدحاً من الماء .

فأخذت القدح وجعلت تتمعّن وتحقّق النظر فيه وهي تتحسّر ، ثمّ أنّها تركتني وجدّت في السير ، فتساءلت منها وقلت : إلى أين تريدين ؟ فقالت : إنّ أُختي الصغيرة هي أشدّ منّي عطشاً .

فقلت لها : لا تخافي ، فلن يمنعوكم من الماء بعد اليوم ، وريثما أخبرتها بذلك التفت إليّ والحزن والألم بادي على وجهها وقالت : أسألك ياشيخ ، لقد كان والدي عطشاناً حينما ذهب إلى الميدان ، فهل سقوه ماءً ؟

فقلت لها : بنيّة والله لقد سمعته إلى اللحظات الأخيرة وهو ينادي : اسقوني شربة من الماء ، فلم يسقه أحد حتّى قضى عطشاناً .

فانتحبت لعطش والدها وامتنعت عن شرب الماء .

وقد نقل بعض الفضلاء أنّ هذه الطفلة كانت السيّدة رقيّة عليها السلام [١].

مأساة تمضّ القلوب

نقل البعض عن كتاب « سرور المؤمنين » فقال : إنّ السيّدة رقيّة عليها السلام كانت كلّ يوم في أوقات الصلاة تفرش سجّادة سيّد الشهداء عليه السلام ليصلّي عليها .

وفي يوم عاشوراء لمّا حان وقت صلاة الظهر جاءت وفرشت السجّادة وجلست تنتظر والدها ليأتي ويصلّي ، وفيما هي على ذلك الحال إذا بشمر اللعين يدخل الخيمة فتساءلت منه السيّدة رقيّة وقالت : ألم تر والدي ؟ فلم يجيبها اللعين إلّا أنّه أمر غلام له أن يأتي ويضربها فامتنع الغلام فجاء اللعين بنفسه ولطمها على وجهها لطمة علم الله مـاذا صنعت هذه اللطمة بأهل السماء [٢].

في ليلة الحادي عشر

وجدت في كتاب « مبكي العيون » أنّ السيّدة زينب عليها السلام في ليلة الحادي عشر من محرّم جمعت العيال في خيمة قد احترق نصفها ، وبقيت تحرس النساء والأطفال طيلة تلك الليلة وبينما هي كذلك أخذتها غفوة فرأت والدتها الصدّيقة الزهراء عليها السلام وقالت لها : أُمّاه أما تدرين بما جرى علينا ؟

فأجابتها الصدّيقة الزهراء عليها السلام : لا تحرقي قلبي بعتابك يـابنية ، قـالت العـقيلة زينب : إذن لمن أشكو شجوني ؟

فتأوّهت الصدّيقة الزهراء عليها السلام وقالت : لقد كنت حاضرة عندما حزّ اللعين رأس ولدي وفصل رأسه عن بدنه ، ثمّ أنّها عليها السلام قالت : والآن ابحثي عن عزيزة الحسين رقيّة .

فاستيقظت السيّدة زينب عليها السلام من النوم وأخذت تـدعو السـيّدة رقـيّة عليها السلام فـلم تجبها ، فخرجت مع السيّدة أُمّ كلثوم تبكيان يبحثن عنها ، وبينما هما كذلك صوت السيّدة

---

(١) حضرة رقيّه عليها السلام للشيخ علي الفلسفي ص١٣.

(٢) سرگذشت جانسوز حضرة رقيّه عليها السلام ص٢٦ نقلاً عن حضرت رقيّه تأليف الشيخ علي الفلسفي ص٧.

رقيّة عليها السلام بين القتلى .

فتوجّهنا نحو القتلى وإذا بالسيّدة رقيّة عليها السلام قد ألقت بنفسها على جسد أبيها وهي تشكو إليه ما جرى عليهم .

فهدّأتها السيّدة زينب عليها السلام ورفعتها عن جسد والدها .

ولم تمض لحظات إذا بالسيّدة سكينة تأتي فرجعوا معاً ، وفي أثناء الطريق التفت السيّدة سكينة إلى السيّدة رقيّة عليها السلام وقالت : كيف وجدت جسد أبي ؟ فأجابتها السيّدة رقية : بينما كنت أصيح في البيداء أبتاه .. أبتاه .. إذا بصوت والدي يتهادى إلى سمعي قائلاً : بنيّة إليّ إليّ ..[1].

رأت زينب صدر الحسين مرضضاً	فصاحت ونار الحزن في القلب تضرم
وصكّت من الضرب المبرح وجهها	ولم تر صبراً من جوى الثكل يعصم
تقول أخي قد كنت نوراً لشملنا	فياسورنا لِمَ أنت فينا مهدم
أخي ياأخي قد كنت كنزاً لفقرنا	فها أنت في أيدي العدى تتقسّم
أخي ياأخي قد كنت كهفاً لعزّنا	ألم ترنا بالذلّ نسبى ونشتم
أخي زوّد الأطفال وعداً وأوبة	فليس سوى الباري وإيّاك يرحم
أخي زوّد الولهى سكينة نظرة	فمهجتها حرّى وعبرتها دم
أخي تهتوي التقبيل منك سكينة	وشمر لها بالسوط ضرباً يؤلم
أخي فاطم الصغرى تحبّ التفاتة	وحقّك هذا قلبها فيك مغرم
أخي بنتك الأُخرى رقيّة ضمّها	إليك فأحشاها من الوجد تضرم
تقولا هلمّي ياسكينة نرتمي	على والدي دعنا من الموت نسلم
وإلّا فقومي ودعيه فإنّه	يروم ارتحالاً بعده ليس يقدم
ولم أنس وجداً أُمّ كلثوم تشتكي	إلى جدّها ياجدّ لو كنت تعلم

---

(١) سرگذشت جانسوز حضرة رقيّه عليها السلام ص٢٧ .

أيا جدّ هل تنظر حسيناً مرمّلاً ... لأضلعه خيل العدة تحطّم
وهل تنظر السجّاد بالقيد موثّقاً ... يضربه التكبيل سحباً ويشتم
أيا جدّنا هذي بناتك حسرا ... أُسارى قرط ابن بنتك تقسم
أيا جدّنا ساقوا علياً مكبّلاً ... لينظره الطاغي يزيد المزنم
فياعترة الهادي خذوها بمدحكم ... مدبّجة كالدرّ حين ينظم
على كلّ بيت للمديح يتيمة ... بأسماع من يهواكم تتقسّم
تزفّ إليكم كلّ عشر محرّم ... يتوق إليها الشاعر المترنّم
مديحاً لمحمود العزيزي عبدكم ... له بأعاديكم من اللعن أسهم
موالي مواليكم معادي عدوّكم ... مودّته في حبّكم لا تكتم
ويرجي بها يوم القيامة شربة ... من الحوض ياأهل الشفاعة منكم
خذوا لي وآبائي وأُمّي ووالدي ... أماناً من أذى النار وأرحم
ورهطي واخواني وقارئ مدحتي ... ومستمعيها واعطفوا وترحّم
وفي الخلد نرجو تدخلونا بجاهكم ... فليس لنا إلّا النبي وأنتم
صلاة وتسليم مساءً وبكرةً ... من الله عدّ الذرّ تترى عليكم

الفصل العاشر

شهادة السيّدة رقيّة

نقل المحدّث الخبير سماحة الشيخ عبّاس القمّي ﷺ عن كتاب «الكامل» للبهائي: أنّ نساء أهل البيت ﷺ أخفين على الأطفال شهادة آبائهم وقلن لهم: أنّ آباءكم قد سافروا إلى كذا وكذا وكان الحال على ذلك المنوال حتّى أمر يزيد أن يدخلن داره وكان للإمام الحسين ﷺ بنت صغيرة لها أربع سنين قامت ليلة من منامها وقالت: أين أبي الحسين ﷺ فإنّي رأيته الساعة في المنام مضطرباً اضطراباً شديداً.

ولمّا سمعت النسوة ذلك بكين وبكى معهنّ سائر الأطفال وارتفع العويل، فانتبه يزيد من نومه وقال: ما الخبر؟ ففحصوا عن الواقعة وقصّوا عليه، فأمر أن يذهبوا برأس أبيها إليها، فأتوا بالرأس الشريف وجعلوه في حجرها، فقالت: ما هذا؟ قالوا: رأس أبيك، ففزعت الصبية وصاحت فمرضت وتوفّيت في أيّامها بالشام[1].

وقال البعض: لعلّ القضيّة التالية كانت ليلة دفن هذه الطفلة المظلومة وهي: أنّ أهل البيت ﷺ رأوا السيّدة أُمّ كلثوم ﷺ مضطربة فزعة لا قرار لها، تبكي بكاءً مرّاً وتنوح بحرقة شديدة، وكلّما حاولوا إسكاتها وتهدأتها كانت لا تهدأ، فتساءلوا عن السبب في ذلك، فقالت: في الليلة الماضية كانت الطفلة في حجري، وكانت تبكي بشدّة ولا يهدأ لها بال، فتساءلت منها: ممّ بكاءك؟ قالت: عمّتي ألا يوجد في هذه المدينة يتيم أو أسير غيري؟ عمّتي ألا يعلم هؤلاء أنّنا مسلمون؟!

وإذا كانوا يعملون فلماذا يضيّقون علينا في الطعام والشراب ويحرمون الأيتام

---

(١) راجع كامل البهائي ج ٢ ص ١٧٩، معالي السبطين ج ٢ ص ١٧٠.

منهما ؟

تقول السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام : منذ أن سمعت مصيبتها المشجية ودموعي تجري بلا انقطاع وقد فارق النوم عيناي .

السيّدة رقيّة عليها السلام ترى والدها في المنام

نقل صاحب كتاب « مصباح الحرمين »[١] القضية التالية فقال : رأت طفلة للإمام الحسين عليه السلام في إحدى الليالي والدها في عالم الرؤيا فاسترّت برؤياه وتنعّمت بلقاءه خلال تلك اللحظات القصيرة التي وفّقت فيها لرؤيا سيّد الشهداء عليه السلام بعد شهادته .

وعندما استيقظت الطفلة من منامها ـ وللأسف الشديد ـ أحسّت أنّ كلّ ما رأته كان مجرّد رؤيا ولذلك فإنّها لم تتحمّل الواقع ، فقد غاب عنها والدها العزيز التي تنعّمت برؤياه قبل لحظات . فبقيت الطفلة تبكي بشدّة ، وكلّما حاول أهل البيت عليهم السلام تهدأتها لم يتمكّنوا ، ولمّا تساءلوا منها عن سبب بكاءها قالت : أين أبي ايتوني بوالدي وقرّة عيني .

آنذاك عرف الجميع أنّها رأت والدها في المنام فضجّ الجميع بالبكاء والعويل ونشرن العلويات شعورهنّ وأخذن يلطمن على وجوههنّ ويحثن التراب على رؤوسهنّ حزناً على سيّد الشهداء عليه السلام حتّى وصل صوت النائحة إلى أسماع يزيد الطاغية .

وفي رواية أُخرى أنّ طاهر بن عبدالله الدمشقي نديم يزيد الطاغية قال : كنت في أكثر الليالي أجلس مع يزيد وأُحدّثه واشغله بأحاديثي ، وفي إحدى الليالي بينما كنت أُحدّثه وقد مضى قسطاً من الليل التفت إليّ وقال : طاهر ! أشعر بالوحشة والاضطراب والحزن وليس لي مزاج للحديث ، فادنوا منّي وخذ برأسي ولا تحدّثني عن أفعالي وجرائمي القبيحة . يقول طاهر : أخذت رأسه النحس وجعلته في حجري فنام اللعين وكان رأس سيّد الشهداء عليه السلام موضوعاً أمامه في طشت من ذهب .

ولم تمض ساعة إذا بصياح وبكاء أبناء الحسين عليه السلام يتعالى من خرابة الشام ، إلّا أنّ

---

(١) مؤلّف مصباح الحرمين هو عبدالجبّار بن زين العابدين الشكوئي .

اللعين لم يحسّ بشيء وبقيت مشدوهاً حائراً أُقلّب فكري وأتأمّل في عظمة الظلم الذي صبّه هذا الطاغية على ذرّية أمير المؤمنين عليه السلام ، التفت إلى الرأس الشريف فوجدت الدموع تنهمر من عينيه ، تعجّبت كثيراً ، ثمّ أنّ الرأس الشريف نطق بصوت عالي يسمعه من كلّ على بعد أربعة أذرع وقال : اللهمّ هؤلاء أولادنا وأكبادنا وهؤلاء أصحابنا .

يقول طاهر : حينما شاهدت هذا المنظر غلبتني الوحشة والدهشة وأخذت أبكي ، ثمّ إنّني أشرفت من قصر يزيد ـ وقد كانت الخرابة خلفه ـ لأرى ما الحدث ، فلعلّ أحد أهل البيت عليهم السلام توفّي فأخذ البقية يبكون عليه .

حقّقت النظر فوجدت الأسارى محدقين بطفلة صغيرة كانت تحثو التراب على رأسها وتقول ، ياعمّتي وياأُخت أبي أين أبي ؟ أين أبي ؟

تساءلت منهم ما الخبر ؟ قالوا : طفلة للإمام الحسين عليه السلام رأت والدها في المنام والآن تبكي وتنوح وتقول : أُريد والدي . وهي لا تهدأ أبداً .

يقول طاهر : بعد أن شاهدت هذا المنظر المشجي رجعت إلى يزيد فوجدته قد استيقظ وهو ينظر إلى رأس سيّد الشهداء عليه السلام وهو يرجف كالورقة في الريح الشديدة من شدّة الخوف .

وفي ذلك الأثناء التفت الرأس الشريف إلى يزيد وقال : يابن معاوية ، ماذا صنعت لك حتّى تظلمني هكذا وتودع أهل بيتي في خرابة الشام .

ثمّ إنّ الرأس الشريف توجّه إلى الله الخبير اللطيف وقال : اللهمّ انتقم منه بما عمل بي وظلمني وأهلي ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (١) .

كان الرأس يتحدّث بهذه الكلمات ويزيد اللعين يرتعد ويرجف حتّى كادت أضلاعه تلتصق ببعضها من شدّة الخوف .

ثمّ إنّ الطاغية تساءل عن بكاء أهل البيت عليهم السلام فأخبرته بالحدث ، فأشار على

---

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

جلاوزته أن يأخذوا رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى الطفلة الصغيرة لتتسلّى به .

فأخذ جلاوزته الرأس المبارك إلى الخرابة وإذا بجميع النساء والأطفال يقبلون نحوهم ويأخذون الرأس منهم ثمّ جلسوا يبكون عليه خاصّة عقيلة الهاشميين زينب عليها السلام التي كانت تحوم حول الرأس الشريف كما تحوم الفراشات حول الشمعة .

وبينما هم كذلك إذا بالسيّدة رقيّة تشاهد رأس أبيها وتقول : ما هذا الرأس ؟ قالوا : هذا رأس أبيك فحملت الطفلة الرأس من الطشت وجعلته في حجرها وهي تبكي وتقول : أبتاه ، ليتني مت دونك ، أبتاه ليتني عميت قبل أن أراك على هذه الحالة ، أبتاه ليتني مت وكنت تحت التراب ولا أرى محاسنك مخضوبة بدمك ، فبقيت الطفلة تبكي وتقبّل الرأس وتنوح حتّى أُغمي عليها .

ولمّا حرّكوها وجدوها قد فارقت الدنيا وارتحلت إلى الملأ الأعلى مع جدّتها الطاهرة الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام .

وبوفاة الطفلة ضجّ كلّ من كان في الخرابة وتجدّد مصابهم من جديد .

أقول : ربما كانت هذه الطفلة التي ماتت في خرابة الشام هي السيّدة رقيّة عليها السلام بنت الإمام الحسين عليه السلام إذ أنّ المزار الشريف الموجود اليوم في خرابات الشام ينسب إليها وهو معروف بمزار السيّدة رقيّة عليها السلام .

ولا يخفى أنّ وفاة هذه الطفلة وجميع القضايا المتعلّقة بها مثل أحاديثها مع السيّدة زينب عليها السلام وكيفية شهادتها ، وطريقة غسل السيّدة زينب وأُمّ كلثوم لها وغير ذلك قد دوّنت وحفظت للأجيال على مرّ الزمان لتبقى هذه المصيبة التي تهدّ الجبال وتصدع الصخور الصمّاء خالدة إلى يوم القيامة[١].

وقد ذكر البعض أنّ اسم هذه الطفلة كان زينب وقال البعض الآخر أنّ اسمها رقية وذهب جماعة أنّ اسمها سكينة . وذكر البعض أنّ يزيد اللعين أمر عمّاله أن يشيدوا عمارة

---

(١) منتخب التواريخ الباب الخامس ص٢٩٩ .

وينقشوا على جدرانها أحداث يوم عاشوراء وما جرى على الشهداء في ذلك اليوم العصيب فضلاً عن حال الأسارى والأطفال بعد استشهاد رجالهم وقد أسكنوا الأسارى فيها . فإن صحّ هذا القول فالله وحده أعلم ما هو حال أهل البيت عليهم السلام عندما شاهدوا هذه العمارة(١).

حـرّ قـلبي لزيـنب فكـم مـصابٍ	حـملته بـقلبها المسـتظام
طـلب الطـفلة التـي أثكـلتها	حـين نـادت بـلهفة المستهام
أخـبريني أبـي بأيّ مكـان	ولمـاذا هـنا يكـون مـقامي
فـزعت مـن منامها وهـي تـدعو	والدي قـد رأيـته بـالمنام
فـبكت زيـنب وضـجّ اليـتاما	والأيـامى مـن شـدّة الآلام
وقـال الرجس يـاقوم مـاذا	حـلّ إنّ البكـاء نـغّص جـامي
قـالوا للسـبط طـفلة طـلبته	إذ رأتـه بـعالم الأحـلام
قـال سـيروا لهـا بـرأس أبـيها	كـي تـراه وذا عـظيم اجـترام
ولهـا أقـبلوا بـرأس ابـن بـنت الـ	ـمصطفى سـيّد الأُبـاة الكـرام

حديث الرأس الشريف

يقول آية الله ميرزا حبيب الله شريف الكاشاني المتوفّى سنة ١٣٤٠هـ: أنّ امرأة من أهل الشام حملت حجراً ورمت رأس سيّد الشهداء عليه السلام وهو على الرمح وإذا بالرأس الشريف ينطق بلسان فيصيح ويقول : أنا المظلوم .

وقال الميرزا حبيب الله أيضاً : بينما كانت السيّدة زينب تنظر إلى رأس أخيها الحسين عليه السلام وإذا به يناديها قائلاً : أُختاه ، اصبري فإن الله معنا .

وفي كتاب سرّ الأسرار للشيخ عبدالكريم ص٣٠٦ ، ومنهاج الدموع ص ٣٨٥ ، وكتاب العوالم ص١٦٩ أنّ المنهال قال : أُقسم بالله تعالى أنّني رأيت رأس الإمام

(١) ناسخ التواريخ ـ حياة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام ج٢ ص٤٥٦ .

الحسين عليه‌السلام وهو مرفوع على القنا في الشام يقول أكثر من مرّة : لا حول ولا قوّة إلّا بالله .

محادثة بين الرأس والسيّدة رقيّة

ورد في كتاب « بحر الغرائب » قريب من المضامين التالية : أنّ الحارث وهو أحد قادة جيش يزيد نقل فقال : أمر يزيد أن نوقف أهل البيت عليهم‌السلام أمام دروازة الشام ثلاثة أيّام حتّى ينتهي الناس من تزيين المدينة ، وفي الليلة الأُولى وبعد أن خيّم الظلام ونام الجميع تظاهرت أنّني قد نمت فشاهدت طفلة صغيرة قد وقفت وهي تنظر العسكر فوجدتهم متعبين من الطريق وبعد المسافة فجلست على الأرض لحظات وهي خائفة ثمّ وقفت ثانية وتقدّمت خطوات نحو رأس الإمام الحسين عليه‌السلام الذي كان منصوباً على شجرة بالقرب من خرابة الشام ثمّ عادت خائفة وقد استمرّت على ذلك الحال تقوم وتقعد ، تتقدّم خطوات ثمّ ترجع إلى أن وقفت في الأخير تحت الشجرة وهي تنظر إلى الرأس وتخاطبه ودموعها تجري .

وما هي إلّا لحظات قليلة إذا بالرأس ينزل من على الشجرة حتّى وصل إلى مقابل الطفلة فخاطبته قائلة : السلام عليك ياأبتاه ، وا مصيبتاه بعد فراقك ، وا غربتاه بعد شهادتك .

وإذا بالرأس المقدّس يجيبها بلسان فصيح قائلاً : بنيّتي ، إنّ مصيبتك وشدّة المحن وضرب السياط وعذاب الأسر تنقضي بعد أيّام قليلة ، فإنّك صائرة إلينا عن قريب فاصبري لتنالي مقام الشفاعة : يقول الحارث : إنّ منزلي قريب من خرابة الشام لذلك كنت أنتظر متى ترحل هذه الطفلة من الدنيا إلى أن سمعت في إحدى الليالي صراخ وعويل وبكاء من خرابة الشام ، فتساءلت ما الخبر ؟ قالوا : إنّ السيّدة رقية عليها‌السلام قد ماتت[1].

كما نقل حجّة الإسلام والمسلمين صدر الدين القزويني في الجلد الثاني من كتابه القيّم « ثمرات الحياة » فقال : إنّ السيّدة رقيّة عليها‌السلام جعلت فمها على فم سيّد الشهداء عليه‌السلام

---

(١) نقلاً عن كتاب حضرة رقيّه ص٢٦ .

وكان الرأس يقول لها : إليّ ، إليّ ، هلمّي ، فأنا لك بالانتظار ، ففارقت السيّدة رقيّة عليها السلام الدنيا على هذه الحالة .

سأبكي لبنت السبط فاطم قد غدت ... قريحة جفن وهي تبكيه معولا
تحنّ فيشجي كلّ قلب حنينها ... وتصدع من صمّ الصياخيد جندلا
تقول أبي أبكيك ياخير من مشى ... ومن ركب الطرف الجواد المحجّلا
أبي كنت للدين الحنيفي موضّحاً ... ومذ ثكلتك البيض أصبح مشكلا
أبي ياثمال الأرملات وكهفها ... إذا عاينت خطباً من الدهر معضلا
أبي ياربيع المجد بين ومن به ... يغاث من السقيا إذا الناس أمحلا
أبي ياغياث المستغيثين والذي ... غدا لهم كنزاً وذخراً وموئلا
أبي إن سلا المشتاق أو وجد العزى ... فإنّ فؤادي بعدك ما سلا
سأبكيك تبكيك المحارب شجوها ... وقد فقدت مفروضها والتنفّلا
سأبكيك تبكيك العقائد والنهى ... سأبكيك تبكيك المحارم والعلا
سأبكيك تبكيك المناجاة في الدجى ... سأبكيك يبكيك الكتاب مرتّلا
سأبكيك إذ تبكي عليه سكينة ... ومدمعها كالغيث جاد وأسبلا
ونادت رباب اُمّتاه فأقبلت ... وقد كضّها فقد الحسين وأثكلا
وقالت لها ياأُمّنا ما لوالدي ... مضى مزمعاً عنّا الرحيل إلى البلا
أُنادي به ياوالدي وهو لم يجب ... وقد كان طلقاً ضاحكاً متهلّلا
أظنّ أبي قد حال عمّا عهدته ... وإلّا فقد أمسى بنا متبدّلا
ألا أبتا قد شقّت البين شملنا ... وجرعنا في الكأس صبراً وحنظلا
ونادى المنادي بالرحيل فقرّبوا ... من الهاشميات الفواطم نزلا
وصار بها الحادي يغنّي مغرّداً ... سل الدار عمّن قد نأى وترحّلا
تسير ورأس السبط يسري أمامها ... كبدر الدجى وافى السعود فأكملا
فلهفي لها عن كربلا قد ترحّلت ... مخلّفة أزكى الأنام وأنبلا

ولهــفي لهــا بــين العـراق وجـلق إذ هــو جـلا خـلفن قـابلن هـوجلا
ولهفي لها في أعنف السـير والسـرى تأمّ زيــنب بـــالشآم مــضلّلا
فـلمّا رآهــا فــي حـبائل سـرّه تـهلّل مســروراً وأبـدى التـغزّلا
ونـادى بـرأس السـبط يـنكث ثـغره ويـنشد أشـعاراً بـها قـد تـمثّلا
نـفلّق هــاماً مــن رجــال أعــزّة عـلينا وهـم كـانوا أحـقّ وأجـملا
ألا فـاعجبوا مـن نـاكث ثـغر سـيداً له أحـمد يـمسي ويـضحى مـقبلا
له عـذّب الرحـمن مـاسح وابـل وعـذّب أصـحاب السـقيفة أوّلا
أُولئك فــي يـوم السـقيفة أفسـدوا جميع الورى جـيلاً فـجيلاً لهـم تـلا

سجن أهل البيت عليهم السلام

في الخبر عن الشيخ الصدوق رحمه الله أنّه عبّر عن خرابة الشام بالحبس والسجن إذ أنّ أهل البيت عليهم السلام حصروا فيها ومنعوا من ملاقاة الناس.

ونقل الشيخ الصدوق رحمه الله في موضع آخر فقال: إنّ يزيد أمر بنساء الحسين عليه السلام، فحبسن مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لا يكنّهم من حرّ ولا قرّ، حتّى تقشّرت وجوههنّ[(١)].

والمشهور أنّ السيّدة رقيّة عليها السلام استشهدت في هذه الخرابة، أمّا كم عاشت فيها إلى يوم شهادتها فهذا ممّا لم يحرزه المؤرخون.

نعم، إنّ ورود أهل البيت عليهم السلام الشام كما صرّح الكثير من المؤرخين كان في غرّة شهر صفر وشهادة السيّدة رقيّة عليها السلام في الخامس من صفر ممّا يدلّ على أنّها بقيت في الخرابة أربعة أيّام إلّا أنّ هناك أقوالاً أُخرى.

وقال الإمام السجّاد عليه السلام: عندما أودعونا خرابة الشام صبّوا علينا أنواع العذاب، ففي أحد الأيّام رأيت عمّتي زينب عليها السلام قد جعلت «القدر» على النار فتساءلت منها

(١) أمالي الصدوق ص١٠١.

وقلت : عمّة ما هذا القدر ؟ قالت : إنّ الأطفال جياع فتظاهرت لهم بأنّني أصنع الغذاء لأُصبّرهم وأُخفّف عليهم آلامهم .

ونقل أيضاً أنّ الأطفال كانوا يطلبون من السيّدة زينب الماء والخبز حتّى رقّت لهم بعض نساء الشام وأتين لهم بالطعام(١).

وبالاضافة إلى كلّ هذه المصائب المؤلمة التي نزلت بالعقيلة زينب عليها السلام في خرابة الشام تأتي مصيبة السيّدة رقيّة عليها السلام التي أحرقت قلوب العلويات وأمضّت أفئدة أهل البيت عليهم السلام خاصّة السيّدة زينب عليها السلام التي تكفّلت بالعائلة بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام .

حديث المغسّلة مع العقيلة زينب عليها السلام

ورد في بعض الأخبار أنّ المغسّلة عندما كانت تغسّل جسد السيّدة رقيّة عليها السلام ، تركت التغسيل فجأة وتساءلت قائلة : من هو كبير هؤلاء الأسرى ؟

فأجابتها السيّدة زينب وقالت : ماذا تريدين ؟

قالت المغسّلة : ماذا كان مرض هذه الطفلة حتّى أصبح جسدها هكذا ؟

فأجابتها العقيلة عليها السلام : إنّ الطفلة لم تكن مريضة أنّها آثار السياط ، وطعنات كعب الرماح(٢).

وفي بعض الروايات أنّ يزيد اللعين أمر أن يأخذوا مصباحاً وصاجة من الخشب ليغسلوا السيّدة رقيّة عليها السلام عليها ويكفّنوها في ثوبها القديم الذي كان عليها(٣).

وفي نفس الوقت خرجت نساء الشام وهنّ لابسات السواد وقد ازدحمن من كلّ حدب وصوب يردن مشايعة أهل البيت عليهم السلام بعد أن علت أصواتهنّ بالنحيب والبكاء والصياح .

---

(١) زينب فروغ تابان كوثر ص٢٦٦ نقلاً عن رياحين الشريعة ج٣ ص١٨٦ ـ ١٩١ .

(٢) زينب فروغ تابان كوثر ص٣٦٦ نقلاً عن الوقائع والحوادث ج٥ ص٨١ .

(٣) زينب فروغ تابان كوثر ص٣٧٠ نقلاً عن الخصائص الزينبية ص٢٩٦ .

آنذاك استفادت العقيلة زينب عليها السلام من هذه الفرصة الذهبية فأخرجت رأسها من المحمل وخاطبت أهل الشام قائلة :

ياأهل الشام ، لقد أودعناكم في هذه الخرابة أمانة ، فالله الله فيها ، ياأهل الشام تعاهدوا قبرها بالزيارة ، فهي غريبة لا أحد لها في هذه الديار ـ ولا تنسوا أن تريقوا الماء وتشعلوا المصابيح عند مرقدها الشريف(١).

سيّدتي جئتك بالكفن

نقل مدّاح أهل البيت عليهم السلام الحاج أسد الله سليماني فقال : إنّ كلّ من شاعر أهل البيت عليهم السلام الحاج غلام رضا سازگار ومدّاح أهل البيت عليهم السلام الحاج حسن ذو الفقاري نقلاً فقالا : سمعت القضية التالية من البعض فقال : خلال سفري إلى زيارة السيّدة رقيّة عليها السلام في الشام شاهدت طفلة صغيرة تقرأ الزيارة بحالة روحانية عجيبة بحيث إنّني توجّهت إليها وبقيت أستمع إلى زيارتها .

وبعد أن فرغت الطفلة من الزيارة جاءت بقماش أبيض وأخذت تلفّه حول الضريح الشريف ثمّ إنّها أخذت ترمي البقية فوق الضريح لتغطّيه بالقماش ولكنّها لم تكن قادرة على ذلك فدنوت نحوها وتساءلت منها وقلت : ماذا تصنعين ؟

وإذا بها تتكلّم باللغة الآذرية ، وبعد قليل جاءت الطفلة مع والديها فتساءلت منها وقلت : إنّ الجميع يأتون بالألعاب للسيّدة رقية عليها السلام ، فلماذا جئت أنت بالقماش ؟

فقالت الطفلة : لقد سمعت من والديَّ أنّ السيّدة رقيّة عليها السلام ليس لها كفن فأتيت لها بالكفن .

سيّدتي طابت جروحك أم لا ؟

نقل سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد عسكر الحيدري وهو من طلّاب

---

(١) زينب فروغ تابان كوثر ص ٣٧٠ نقلاً عن رياض القدس ج ٢ ص ٢٣٧ .

الحوزة الزينبية[1] في سوريا فقال : في عام ١٣٥٦ شمسي كنت أُصلّي في حرم السيّدة رقيّة عليها السلام وبعد الصلاة راعني الموقف التالي :

فقد شاهدت رجلاً طاعناً في السنّ من الأتراك التبريزيين وقد ألقى بنفسه على الضريح المبارك وهو يبكي وينوح حتّى ضجّ الناس لبكائه واعتلى صياحهم وبكـائهم بشدّة .

كان الرجل يبكي بحرقة ويخاطب السيّدة رقيّة عليها السلام بلهجة الآذرية ، وحيث إنّني لا أعرف اللغة الآذرية تساءلت من البعض : ماذا يقول هذا الرجل ؟

فقال : إنّه يقول : سيّدتي يارقية ، إنّ أملي الوحيد منذ أمد بعيد أن آتي لزيارتك لا لكي يشفي ولدي أو يتحسّن وضعي المعيشي أو لتأخذي بيدي في يوم القـيامة وإنّـما جئت لأرى كيف حالك ؟

سيّدتي أخبريني هل شُوفِيَ بدنك من الآلام ؟ وهل طابت جروح قدميك ؟ سيّدتي

---

(١) تأسّست الحوزة العلمية الزينبية في الشام على يد الشهيد السعيد سماحة السيّد المجاهد عن العقيدة والدين آية الله السيّد حسن الشيرازي قدس سره .

وقد دعاني سماحته سنة ١٣٥٧هـ . ش في مكّة المكرّمة وقد تشرّفت بخدمته كراراً وكان دائماً يـوصيني بالخدمة الدينية علماً أنّه دعاني للقيام ببعض النشاطات الدينية في الشام إلّا أنّه ومع الأسف الشديد لم يتح أجله للقيام بذلك حيث إنّه قدس سره استشهد على يد البعثيين الذين اغتالوه في ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ في بيروت ثمّ نقل جسده الشريف إلى طهران ومنها إلى قـم فـدفن في الحـرم الشريـف للسيّدة فـاطمة المعصومة عليها السلام .

أقول : في أيّام الفاطمية سنة ١٤١٨هـ وفي يوم ميلاد العقيلة زينب عليها السلام بالذات نقل أحد المقيمين في الشام المجاورين للسيّدة زينب عليها السلام لأحد مراجع قم فقال : رأيت في عالم الرؤيا أنّ السيّدة زينب عليها السلام جالسة في مكان ما بينما كان الشهيد السيّد حسن الشيرازي قدس سره يمرّ من جانبها ، فأشارت إليه العقيلة زينب عليها السلام وقالت : هذا الذي أخرجني من غربتي .

ويمكن أن يكون مرادها عليها السلام أنّ هذا السيّد بتأسيسه للحوزة العلمية وتشويقه على إحياء الشعائر في سوريا أخرجني من غربتي . (علي ربّاني الخلخالي) .

فداك روحي ونفسي أخبرني هل طابت جروحك ، فأنا ذاهب إلى ايـران ومـن ثـمّ إلى تبريز ، فإذا طابت جروحك أُخبر الناس ليجمعوا الذهب ويأتوا بـه إلى حـرمك فـرحاً بذلك .

وبقي ذلك الرجل يصيح ويبكي ويخاطب السيّدة رقيّة عليها السلام بمثل هذه الكلمات فقلت في نفسي : ياليت لي مثل هذه العقيدة والإخلاص .

أهل البيت عليهم السلام يقيمون العزاء في الشام

نقل أبو مخنف وغيره من المؤرخين : أنّ يزيد الطاغية بعد أن افتضح بجرائمه غيّر نهجه في تعامله مع أهل البيت عليهم السلام وخيّر الإمام زين العابدين عليه السلام بين البقاء في الشام والرحيل إلى مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال الإمام عليه السلام : لابدّ أن أُشاور في ذلك عمّتي زينب فهي كفيلة الأيتام والأرامل ، وبعد أن خيّر الإمام السجّاد عمّته زينب بين الرحيل والبقاء قالت عليها السلام : والله لا أختار شيئاً على البقاء في مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكن قل ليزيد أن يفرغ لنا الدار وأن لا يمنعوا أحداً من الدخول معنا لنقيم العزاء على قتلانا ، فلمّا خرجنا من كربلاء منعونا من البكاء وقادونا عنوة إلى الكوفة والشام ولم يتركونا كي نقيم العزاء على قتلانا .

وحيث إنّ يزيد خيّر الإمام السجّاد عليه السلام وتظاهر أنّه يريد الخير لأهل البيت عليهم السلام لم يكن له بدّ من الاستجابة لطلب العقيلة عليها السلام ، وإلّا فهو يعرف أنّ هذا المجلس لن يخلو من ذكر فضائل أمير المؤمنين وإحياء مناقب أهل البيت عليهم السلام والتسقيط من بني أُميّة قاطبة وبالتالي فإنّ الزحمات الكثيرة التي بذلها هو ووالده معاوية من أجل مـحو ذكـر أهـل البيت عليهم السلام في الشام ستذهب هدراً .

وبالفعل فقد أمر الطاغية أن تفرغ لأهل البيت عليهم السلام داراً وسيعة وأمر المنادي ينادي من أراد أن يشارك في عزاء أهل البيت عليهم السلام ويعزّي السيّدة زينب بمصابها فليأت .

وما أن انتشر الخبر ـ كما في كتاب العوالم ـ لم تبق هاشمية في الشام إلّا وشاركت في المجلس بل حتّى نساء بني أُميّة وبني مروان جئن إلى المجلس وكنّ مزيّنات بزينتهنّ

إلّا أنّهنّ لمّا رأين حال المجلس انكسرت قلوبهنّ فنزعنّ زينتهنّ ولبسن السواد وجلسن مع النساء الشاميات يبكين ويطلمنّ على وجوههنّ بل ونشرن شعورهنّ وأخذن يحثن التراب على رؤوسهنّ حتّى ضجّ المجلس بالبكاء .

آنذاك ـ وكما في البحار ـ وقفت العقيلة زينب وجعلت ترثي أخاها الحسين عليه السلام فأنشدت بعض الأبيات أحرقت بها قلوب العالمين من الأوّلين والآخرين إلى يوم القيامة .

ومن المصائب الموجعة التي ذكرتها السيّدة زينب عليها السلام في ذلك المجلس هي مخاطبتها نساء الشام فقالت : انظروا ماذا صنع الأشقياء بذرّية أمير المؤمنين عليه السلام وأي بلاء صبّوه على عترة الرسول صلى الله عليه وآله .

يانساء الشام ! أنّكم لا تدرون ماذا صنعوا بنا يوم عاشوراء ؟ فقد قتلوا أخي وأهل بيته وأصحابه والرضّع عطاشى .

وأنّكم لا تدرون كيف ماذا جرى على أهل البيت عليهم السلام من ظلمة الكوفة وأعوان ابن زياد الذين ساقوا الأطفال والمخدّرات يقدمهم الإمام السجّاد عليه السلام حجّة الله على الخلق طيلة هذا الطريق ؟

فبقيت العقيلة تعدّد المصائب والنساء يبكين ويندبن الشهداء وقد استمرّ المجلس مدّة اسبوع على هذا المنوال في كلّ يوم تذكر العقيلة مصائب أهل البيت عليهم السلام وتنال من يزيد وأعوانه الظلمة الذين لم يتورّعوا عن سفك دم سيّد الشهداء عليه السلام[١] وفي كتاب « بحر المصائب » : أنّ العقيلة زينب عندما عادت إلى مدينة جدّها رسول الله صلى الله عليه وآله ذهبت إلى قبر والدتها في البقيع وأنشدتها بعض الأبيات أبكت بها أهل السماء والأرض .

وفي نظري أنّ الأشعار التالية تنسب إلى العقيلة زينب وهي :

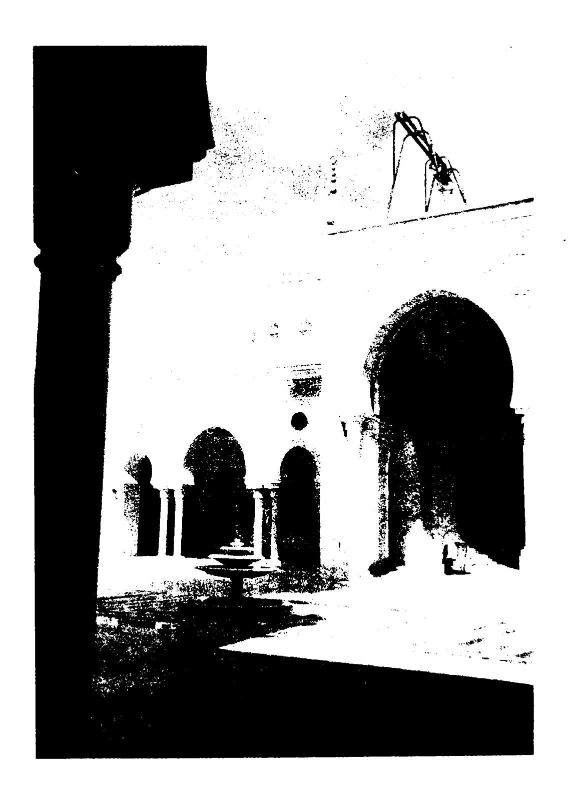
أيــا أُمّ قــد قــتل الحسـين بكـربلا	أيــا أُمّ ركـــني قـد هـوى وتـزلزلا
أيــا أُمّ قــد ألقــى حــبيبك بـالعرا	طــريحاً ذبــيحاً بــالدماء مــغسّلا

---

(١) رياحين الشريعة ج ٣ ص ١٩٣ .

أيـا أُمّ نـوحي فـالكريم عـلى القـنا يـلوح كـالبدر المـنير إذ انـجلا
ونوحي على النحر الخضيب واسكبي دمـوعاً عـلى الخـدّ التـريب مـرمّلا

وحينما سمعت نساء الشام هذه الأبيات أقبلن من كلّ جـانب وأخـذن يسـلّين العقيلة زينب عليها السلام[1].



(١) رياحين الشريعة ج٣ ص١٩٥.

الفصل الحادي عشر

حرم السيّدة رقيّة عليها السلام

أشرنا في بداية الكتاب أنّ عبدالوهاب بن أحمد الشافعي المصري المشهور بالشعراني والمتوفّى سنة « ٩٧٣هـ ق » ذكر في كتابه « المنن » الباب العاشر فقال : وبالجنب من المسجد الجامع في دمشق يوجد مرقد بمرقد السيّدة رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام وقد كتب على باب هذا المرقد العبارة التالية هذا البيت بقعة شرّفت بآل النبي صلى الله عليه وآله وبنت الحسين الشهيد رقية عليها السلام[1].

وقد عمّر مرقد السيّدة رقيّة في القرون الأخيرة أكثر من مرّة ، ففي سنة ١٢٨٠هـ عمّر الحرم الشريف على يد أحد السادة الأجلّاء باسم السيّد مرتضى وقد ذكرنا قصّته في الفصل الأوّل من الكتاب .

وقبل التعمير الأخير الذي حصل في السنين الأخيرة عمّر المرقد الشريف على يد الميرزا علي أصغر خان أتابك أمين السلطان الأعظم الصدر الأعظم لايران سنة ١٣٢٣هـ وقد نظم السيّد محسن الأمين العاملي المتوفّى عام ١٣٧١هـأشعاراً ذكرهما في كتابه القيّم « أعيان الشيعة » منها هذين البيتين واللذين ذكر فيهما تاريخ تعمير المرقد الشريف علماً أنّ البيتين مكتوبين على باب الحرم الشريف وهما :

له ذو الرتبة العليا عليّ   وزير الصدر في ايران جدّد

وقد أرّختها تزهو بناءً   بقبر رقيّة من آل أحمد

وفي السنين الأخيرة نظراً لتوافد محبّي أهل البيت عليهم السلام إلى قبر السيّدة رقيّة عليها السلام

---

(١) معالي السبطين ج ٢ ص ١٦٢ .

وضيق المحل تصدّى المرحوم المغفور له الشيخ نصر الله الخلخالي لتوسعة الحرم الشريف وبمساعدة العديد من الخيّرين والموالين وفّق لشراء البيوت المجاورة للحرم الشريف علماً أنّ البعض من أصحاب البيوت لتعصّبهم الشديد وكثرة أطماعهم الدنيوية رفضوا بيع بيوتهم .

وحيث إنّ تشييد هذا المرقد المبارك هو لإقامة العبادات وإحياء الشعائر وطاعة الله عزّوجلّ لم يلجأ المتصدّون في تعاملهم مع الذين رفضوا بيع بيوتهم إلى القوّة بل اشتروا البيوت منهم بأضعاف مضاعفة من قيمتها الواقعية .

الجدير بالذكر أنّ مساومة المتصدّين لتوسعة الحرم مع أصحاب هذه البيوت استمرّت مدّة طويلة وهم يماطلون ويعارضون بحيث إنّ جميع المنازل المحيطة بالحرم كانت قد هدّمت ما عدا هذه البيوت القليلة التي رفض أصحابها بيعها وتخريبها .

على كلّ ففي سنة ١٣٦٤هـ المصادف لسنة ١٩٨٤ ميلادي شرع في تشييد الحرم الجديد للسيّدة رقيّة عليها السلام وذلك بمحضر بعض المسؤولين والوجهاء في الحكومة السورية فضلاً عن بعض العلماء ورجال الدين الذين شاركوا في افتتاح تشييد الحرم الشريف .

وحتّى يكون البناء محكماً فقد غيّر مسير النهر الذي كان يمرّ داخل الحرم الشريف وجه إلى خارج المرقد وقد استغرق ذلك خمسة أشهر ومن بعدها شرعوا بتثبيت القواعد الأساسية للبناء .

وبانتهاء التعمير الأخير للحرم أصبحت مساحة البناء ٤٥٠٠ متر مربّع تقريباً منها ما يقارب ٦٠٠ متر مربع بناء باحة الحرم ، والباقي البناء الداخلي ، ففي الجهة الجنوبية للبناء بني مسجداً تقارب مساحته ٨٠٠ متر مربع (٢٠ × ٤٠) ، وأمّا سعة الحرم بالاضافة إلى الأروقة في البناء الجديد فهي ٢٦٠٠ متر مربّع تقريباً جزى الله تعالى كلّ من سعى في تعميره وزاد الله في توفيقاتهم إله الحقّ آمين .

زيارة السيّدة رقيّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلَامُ عَلَيْكِ يَاسَيِّدَتَنَا رُقَيَّةَ عَلَيْكِ تَحِيَّةٌ وَالسَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَابِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَابِنْتَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَابِنْتَ خَدِيجَةَ الْكُبْرىٰ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَابِنْتَ وَلِيِّ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَاأُخْتَ وَلِيِّ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكِ يَابِنْتَ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الصِّدِّيقَةُ الشَّهِيدَةُ السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الرَّضِيَّةُ الْمَرْضِيَّةُ السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الزَّكِيَّةُ الفَاضِلَةُ السَّلَامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْمَظْلُومَةُ الْبَهِيَّةُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْكِ وَعَلىٰ رُوحِكِ وَبَدَنِكِ فَجَعَلَ اللَّهُ مَنْزِلَكِ وَمَأْوَاكِ فِي الْجَنَّةِ مَعَ آبَائِكِ وَأَجْدَادِكِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْمَعْصُومِينَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الْحَافِّينَ حَوْلَ حَرَمِكِ الشَّرِيفِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

عودة السبايا إلى المدينة

اختلف المؤرخون والكتّاب في مدّة بقاء أهل البيت عليهم السلام في الشام ، فذهب كلّ واحد منهم إلى رأي وقول واستقرب كلّ منهم مدّة معيّنة حسب بعض القرائن التي يرتضيها .

ففي « طراز المذهب » نقل عن السيّد الطباطبائي أعلى الله مقامه أنّه قال في حاشية رياض المصائب : أنّ مدّة بقاء أهل البيت عليهم السلام في الشام أربعين يوماً ، وذهب الميلاني نقلاً عن الكاشفي أنّهم عليهم السلام بقوا ستّة أشهر ونسب ذلك إلى ابن بابويه رحمه الله .

وقال مؤلّف « مفتاح البكاء ومهيّج الأحزان » أنّهم بقوا ثمانية عشر يوماً ، وقال البعض : إنّهم لم يبقوا إلّا عشرة أيّام والله العالم .

وعلى أيّة حال ، فإنّ يزيد اللعين حينما أحسّ بالخطر وتوقّع الفتنة حيث أخذ أهل الشام يلعنونه عمد إلى تخيّر أهل البيت عليهم السلام بين البقاء في الشام والرحيل إلى مدينة

جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله فأشارت عليه العقيلة زينب عليها السلام وقالت : ردّنا إلى المدينة فـإنّها محلّ هجرة جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله .

فأشار يزيد اللعين على صحابي رسول الله صلى الله عليه وآله النعمان بن بشير ومعه ثلاثة رجال أن يرافقوا قافلة أهل البيت عليهم السلام في مسيرها إلى المدينة ، وفي بعض الأخبار أنّه بعث مع النعمان خمسمائة فارس من جنوده وأمرهم أن يوصلوا أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة .

كما هيّأ يزيد وسائل السفر واحتياجاته وأشار على جماعته أن يسمعوا لأهـل البيت عليهم السلام في سفرهم ويكونوا تحت اختيارهم ، فمتى أرادوا النزول ينزلوا معهم ، ومتى أرادوا المسيرة يسيروا ، وقد أمر رجاله أن يبتعدوا في مسيرهم عن القافلة كي لا يزاحموا العلويات المخدّرات(١) .

من جانب آخر فإنّ يزيد اللعين أمر أن يعطى أهل البيت عليهم السلام الكثير من الأموال والابل ثمّ خاطب العقيلة زينب عليها السلام وأُمّ كلثوم وقال : هذه الأموال عوض دماء الإمـام الحسين عليه السلام فأجابته العقيلة في نفس الوقت وقالت : ويلك يا يزيد : ما أقلّ حياءك وأقسى قلبك وأصلب وجهك تقتل أخي وتقول : خذوا عوضه مـالاً ، لا والله لا يكـون ذلك ، فخجل يزيد .

وقال أبو مخنف وغيره من المؤرخين : أنّ يزيد طـيّب رأس سـيّد الشـهداء عليه السلام بالمسك والكافور وأعطاه للإمام زين العابدين عليه السلام فأخذه معه إلى كربلاء المقدّسة ودفنه إلى جانب الجسد الشريف .

وفي الأمالي للشيخ الصدوق رحمه الله قال : بعد أن قتل الإمام الحسين عليه السلام بقيت الآثار السماوية ولم تذهب هذه الآثار إلى أن خرج أهل البيت عليهم السلام من الشام وأعادوا الرأس الشريف وألحقوه بالجسد الشريف .

وقال أبو إسحاق الاسفرايني في كتاب « نور العين » وغيره من أمثاله من الموالين

---

(١) ناسخ التواريخ للمؤرخ الشهير عبّاس علي خان سبهر ج ٢ ص ٤٧٣ .

الخلّص : أنّ الرأس الشريف أُعيد إلى كربلاء وأُلحق بالجسد الطاهر .

وبالجملة : فقد أمر يزيد أن تزيّن محامل أهل البيت عليهم السلام بالديباج بعد أن أوقفهم ثلاثة أيّام على بوّابة قصره تحت حرّ الهجير الحارقة حتّى تساقطت جلودهم ولحومهم من الحرّ والبقاء على المحامل الهزيلة وهم مقيّدين بالقيود والحبال .

فلمّا أحسّ يزيد اللعين بالخطر وشدّة الموقف تظاهر على أنّه يريد تلافي ما صنعه في البداية بأهل البيت عليهم السلام من التعذيب والإيذاء وذلك بعد أن أبرد غليله وأطفأ نار أحقاده الدفينة ضدّ الرسول صلى الله عليه وآله وعترته الطاهرة عليهم السلام .

وفي واقع الأمر أنّ سخط الناس على يزيد بما فيهم المقرّبين من أهل بيته وعياله وغلمانه هو الذي جعله يتظاهر بالمحبّة والعطف لأهل البيت عليهم السلام ويقدّم لهم الأموال الطائلة ويوصي قادة القافلة أن يوصلوهم إلى المدينة معزّزين مكرّمين .

ولذلك فإنّ يزيد أرسل مع أهل البيت عليهم السلام من يرافقهم بعد أن أوصاه أن لا يقصّر لحظة عن خدمتهم واحترامهم في مسيرهم حتّى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله .

ناهيك أنّه هيّأ لهم مستلزمات السفر على أحسن وجه وسمح لنساء الشام أن يرتدين السواد ويخرجن مع الرجال لمشايعة القافلة .

وبعد أن خرج الإمام زين العابدين عليه السلام من مجلس يزيد أمر القافلة أن تخرج فخرجت العلويات المخدّرات وخرجت نساء آل أبي سفيان وبنات يزيد وزوجاته صارخات باكيات بأعلى أصواتهنّ .

يقول البعض : عندما رأت العقيلة زينب عليها السلام المحامل المزيّنة تأوّهت وجذبت في قلبها حسرة وقالت : ماذا نصنع بالمحامل المزيّنة ؟!

فأمروا بالمحامل وضربوا عليها السواد وضجّ الناس لهذا المنظر واعتلى بكاءهم وعويلهم حزناً لمصاب أهل البيت عليهم السلام .

وقيل : إنّ أهل البيت عليهم السلام عندما أرادوا أن يركبوا المحامل تذكّروا يوم خروجهم من المدينة ، وبكوا بشدّة وكان الإمام السجّاد عليه السلام يصبّرهم ويسلّيهم .

وحقيقة كان ذلك اليوم صعب على أهل البيت عليهم السلام إذ أنّ كلّ واحد منهم راح يظهر شجونه وآلامه بلسان خاصّ إلى أن خرجوا من دروازة الشام .

أمّا أهل الشام الذين خرجوا لمشايعة أهل البيت عليهم السلام فلم يهدأ ضجيجهم وبكائهم إلّا بعد أن غابت أشخاص أهل البيت عليهم السلام عن الشام فعادوا إلى ديارهم باكين مهمومين .

وعلى خلاف مسير أهل البيت عليهم السلام إلى الشام حيث كانوا يسوقونهم بلا هوادة رجعوا إلى مدينة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله معزّزين أحراراً ، متى أرادوا المسير ساروا ، ومتى ما أحبّوا البقاء والمكوث بقوا ، بل وفي أي مدينة يريدون الدخول يسمح لهم بكلّ حرّية ، فكان أهل البيت عليهم السلام يدخلون المدن ويقيمون العزاء على سيّد الشهداء عليه السلام وينصبون له المآتم طيلة سفرهم .

وفي طيلة مسيرهم إلى المدينة كان النعمان بن بشير يرافقهم بكلّ احترام وتوقير ، ومتى ما نزلت القافلة كان يبتعد هو وجماعته عن الحرم لتطمئنّ العلويات ويهدأ بالهنّ ولا يضطرب خاطر أحد منهم ، وقد استمرّ الوضع على هذا الحال إلى أن قربت القافلة من العراق .

يبقى القول إنّ مسيرة السبايا من أوّلها إلى آخرها حيث عاد أهل البيت عليهم السلام إلى مدينة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ستبقى شاهد صدق على مرّ التاريخ يشهد للأجيال على مرّ الزمان ويشيد ببطولة عقيلة الهاشميين السيّدة زينب عليها السلام التي هدّت عرش الطاغية يزيد ، وقلبت عاصمته رأس على عقب حتّى جعلت ذلك الأرعن يسمح لها بإقامة مجلس العزاء في دياره ولا يمنع أحداً من الدخول إلى هذا المجلس علماً أنّه يعلم أنّ العقيلة لم تعقد المجلس إلّا لتشيد بفضائل أهل البيت عليهم السلام وتنال من آل أبي سفيان .

فلولا السيّدة زينب عليها السلام لما افتضح يزيد الطاغية بهذه الكيفية بحيث إنّ أهل الشام ينصبون أعلام السواد حزناً على سيّد الشهداء عليه السلام ، وبالطبع فإنّ هذا غير مقتصر على الشام فقط ، بل في كلّ مكان نزلت به العقيلة زينب عليها السلام كانت تشيد بفضائل أهل البيت عليهم السلام وتبذل مساعيها الجبّارة من أجل اعلاء كلمة الحقّ خفّاقة .

ولذا فإنّ العالم اليوم مدين في عقيدته لمواقف العقيلة زينب عليها السلام التي حفظت الشريعة من الضياع وأوصلت صوت سيّد الشهداء عليه السلام إلى العالم عبر مرّ التاريخ، وهذا خير شاهد على عظمتها وجلالة شأنها وعلوّ همّتها وشرافة فضلها وارتفاع مقامها الذي حباها الباري تعالى به حيث منحها كلّ هذه الصفات حتّى حقّقت ما حقّقته بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام (١).

مصيبة السيّدة رقيّة في المدينة

ينقل أنّ أهل البيت عليهم السلام حينما رجعوا إلى المدينة أقبلن نساء المدينة ليواسين العلويات في مصابهنّ.

وقد كانت العقيلة زينب عليها السلام تحدّث النساء بما جرى عليهم في كربلاء والكوفة والشام من مصائب وآلام وتعدّد لهنّ الرزايا المؤلمة التي نزلت بهم وكان النساء يبكين ويندبن سيّد الشهداء عليه السلام.

ولمّا وصلت العقيلة زينب عليها السلام إلى مصيبة السيّدة رقيّة عليها السلام تأوّهت وقالت: أمّا مصيبة رقية في خرابة الشام فقد أحنت ظهري وشيّبت رأسي، فارتفع صوت نساء المدينة بالبكاء واعتلى أنينهنّ وعويلهنّ لمصاب يتيمة سيّد الشهداء عليه السلام (٢).

---

(١) رياحين الشريعة ج٣ ص١٩٨.

(٢) حضرة رقيه عليها السلام تأليف حجّة الإسلام الشيخ علي الفلسفي ص٤٨ نقلاً عن ناسخ التواريخ ص٥٠٧.

الفصل الثاني عشر

كرامات السيّدة رقيّة

لقد ظهرت للسيّدة رقيّة عليها السلام كرامات عديدة تدلّ على قداستها وجلالة قـدرها وعلو مكانتها الرفيعة عند الله عزّوجلّ علماً أنّنا أشرنا إلى بعضها في طيّات البحث سابقاً إلّا أنّنا في هذا الفصل نذكر البقية ليطلع القارئ الكريم عليها ولتقام الحجّة على أُولئك المشكّكين الذين يشكّكون في المقامات العالية التي أولاها الله تعالى لأهل البيت عليهم السلام .

١ ـ اقرأ مصيبة ابنتي رقيّة عليها السلام

يقول الشيخ علي نجل المحدّث العظيم الشيخ عبّاس القمّي رحمه الله والذي يعدّ من أكابر الخطباء المشهورين في مدينة طهران : ابتليت في إحدى السنوات بمرض في حنجرتي بحيث عجزت عن ارتقاء المنبر والوعظ والإرشاد .

لذلك وكسائر المرضى عندما يصابون بالمرض فقد راجعت طبيباً متخصّصاً وقد أخبرني بعد المعاينة قائلاً : إنّ مرضك بلغ من الشدّة بحيث أنّ بعض أوتارك الصوتية قد شلّت ، ومن الصعب جدّاً معالجتها ، وربما يكون علاجها بلا فائدة . إلّا أنّ الطبيب كتب لي وصفة ببعض الأدوية ونصحني بالاستراحة التامّة والتجنّب من صعود المنبر بل منعني من التحدّث مع الناس حتّى زوجتي وأطفالي ، وإذا احتجت إلى شيء عليَّ أن أستفيد مـن الكتابة علّ ذلك يجدي في خلاصي من هذا المرض الصعب العلاج .

وفي واقع الأمر كان هذا العلاج صعباً جدّاً لأنّ الإنسان لا يستغني عن الحديث والتحدّث مع الناس ، فكيف يمكنني تحمّل كلّ هذه المدّة دون أن أتحدّث على أنّ الأمل في الشفاء قليل جدّاً ؟

لقد شعرت أنّ جميع الأبواب أُغلقت في وجهي وأدركت بكلّ كياني أنّ قـدرات

الناس العاديين لا يمكن أن تخلّصني من هذا الابتلاء الشديد وليس هنا من حيلة سوى التوسّل بباب نجاة الأُمّة أبي عبدالله عليه السلام .

وبالفعل في أحد الأيّام بعد انتهائي من صلاة الظهر والعصر شعرت بانكسار عجيب فبكيت بكاءً مرّاً واعتلى أنيني وحنيني ولا شعورياً أخذت أتوسّل بأبي عبدالله الحسين عليه السلام وأقول له : سيّدي ، يابن رسول الله إنّ الصبر على مرض كهذا صعب جدّاً ، علماً أنّ الناس من أهل المجالس يتوقّعون صعودي المنبر .

سيّدي إنّ شهر رمضان المبارك على الأبواب وقد قضيت عمري في خدمتكم فماذا حصل حتّى أقع في مثل هذا المرض المعضل وأحرم من خدمتكم ؟!

سيّدي كن أنت الشفيع إلى الله في خلاصي من هذا المرض الصعب .

وبعد هذه التوسّلات خلدت إلى النوم كعادتي كلّ يوم فرأيت في عالم الرؤيا أنّ شخصاً نورانياً دخل الغرفة بحيث أنّ نورانيّته ملأت أطراف الغرفة .

لا إرادياً شعرت أنّ هذا الشخص هو سيّد الشهداء عليه السلام وقد غمرتني الفرحة وأخذت أُكرّر التوسّلات التي توسّلتها في عالم اليقظة وأخذت أصرّ بشدّة وأتوسّل بإلحاح قائلاً : سيّدي إنّ شهر رمضان على الأبواب وقد دعيت في مساجد متعدّدة ، ومع هذا الحال كيف أستطيع صعود المنبر ؟ وإذا بسيّد الشهداء عليه السلام يشير قائلاً : قل لهذا الجالس عند الباب ـ وقد كان هناك رجل جالس عند الباب ـ أن يقرأ مصيبة عزيزتي رقية وابك أنت وسوف تشافى وتعافى إن شاء الله .

دقّقت النظر عند الباب وإذا به زوج أُختي الحاج مصطفى الطباطبائي القمّي الذي هو من علماء طهران ، فأخبرته بأمر سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أنّه كان يعتذر عن قراءة المصيبة . وإذا بأبي عبدالله عليه السلام يقول : اقرأ مصيبة ابنتي رقية . وبالفعل أخذ الحاج مصطفى يقرأ المصيبة وأنا أبكي . ومع الأسف الشديد استيقظ أبنائي من نومهم ، وأيقظوني فاستيقظت من النوم منزعجاً متأسّفاً على حرماني من مواصلة البكاء في ذلك المجلس النوراني .

وفي اليوم نفسه أو اليوم الذي بعده راجعت المتخصّص نفسه وإذا به يتعجّب كثيراً ويقول : لا يوجد أثر للمرض أصلاً ، ثمّ إنّه أخذ يسألني قائلاً : ماذا تناولت حتّى شفيت بهذه السرعة ؟!

فنقلت له القصّة وكيف أنّني توسّلت بسيّد الشهداء عليه السلام وإذا بالطبيب يتسمّر في مكانه وكان يحمل قلماً فسقط القلم من يده دون إرادة ، وأخذ يبكي بشدّة ويئن بكلّ حرقة بحيث إنّ لحيته ابتلّت بالدموع وقال : إنّ مرضك لم يكن له علاج سوى التوسّل بسيّد الشهداء عليه السلام وقد حصلت على مرادك ببركة هذا التوسّل .

٢ ـ حضور الزهراء في خرابة الشام

كتب سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد مرتضى مجتهدي السيستاني أحد مدرّسي الحوزة العلمية في قم المقدّسة رسالة إلى مكتب انتشارات الإمام الحسين عليه السلام جاء فيها :

نقل العالم الربّاني ومفسّر القرآن الكريم حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسن در افشان[١] بعض كرامات آية الله العظمى السيّد علي السيستاني رحمه الله[٢] فقال :

في أحد الأيّام كنت جالساً عند سماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني وكنت أدرس كتاب قطر الندى ـ في النحو ـ وكان يرتدي ثوباً خشناً وهو مشغول بالمطالعة ، وبينما هو كذلك إذا بالباب تطرق فأخبروه أنّ معتمد الوزراء وراء الباب وهو

---

(١) هو ابن أخ آية الله العظمى السيستاني وقد أدركه عمّه مدّة من الزمن .

(٢) المرحوم آية الله العظمى السيستاني من تلاميذ الميرزا الشيرازي الكبير والسيّد الصدر ، وقد أدرك بعض أيّام الشيخ الأنصاري قدس سره .

ينسب هذا المرجع المرحوم إلى مدينة مشهد المقدّسة وله كرامات عديدة ومعروفة وكان من المعارضين المعروفين للحكومة في زمانه .

ولذا فإنّهم حاولوا اغتياله أكثر من مرّة إلّا أنّ عناية الصدّيقة الزهراء عليها السلام كانت تحفظه ، وقد توفّي في ١٣ من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤١هـ ودفن في حرم الإمام الرضا عليه السلام .

يريد ملاقاتك ، ففتحوا له الباب وأذنوا له بالدخول وإذا به يدخل بحذاءه ، فلم يعتن به آية الله السيستاني للحظات ثمّ التفت إليه وقال : أما تستحي تطأ الفرش النبوي بحذاءك ؟!

فخرج المعتمد وخلع حذاءه ثمّ عاد وأخرج سلاحاً وورقة من جيبه وقال : هذا حكم اعدامك قد صدر من المركز ، فماذا تقول أُنفّذ الحكم أم تسكت وتحترم نفسك ؟!

فكشف آية الله السيستاني عن صدره وقال : يابن الخرابات وربيبها تـهدّدني ؟! اذهب وافرغ السلاح في رأسك !

يقول السيّد حسين در افشان : نظرت إلى المعتمد وإذا بعينيه تدمع ويقول : إنّ أُمّي تعرف ابن من أنا ـ ومراده بذلك أنّني ولد حلال ولست ابن زنا ـ ثمّ وضع سلاحه في جيبه ومضى .

آنذاك التفت ابن عم آية الله السيستاني(١) وقال له : لماذا لم تتق منه ؟ أتريد أن تيتّم العالم ؟!

فقال آية الله العظمى السيستاني : أُدن منّي ، فدنا السيّد محمّد وجلس بالقرب منه ، حينها التفت آية الله العظمى السيستاني إليه وقال : رأيت البارحة إنّني في خرابة الشام وقد كان جميع أُسارى كربلاء فيها وعلى رأسهم جدّتي الصدّيقة الزهراء عليها السلام ، وحينما دخلت الخرابة أشارت عليّ جدّتي الزهراء عليها السلام ودعتني أن أدنو منها ، فدنوت منها حتّى أخذتني في حجرها وجعلت تقبّلني وتقول : ولدي قل ولا تخف فأنا أحفظك .

ثمّ التفت آية الله السيستاني إلى السيّد محمّد وقال : إنّ الذي تحفظه مثل الصدّيقة الزهراء عليها السلام لا يعبأ بمثل هؤلاء الذئاب .

٣ ـ تشيّع امرأة فرنسية

نقل حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد مهدي تاج اللنگرودي فـي كـتابه

---

(١) هو آية الله العظمى السيّد محمّد باقر مجتهدي السيستاني والد المرجع الكبير سماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني دام ظلّه العالي .

« التوسّلات » فقال : ذكر القصّة التالية أحد الوعّاظ المشهورين في فنّ الخطابة والذي سافر أكثر من مرّة لزيارة السيّدة رقيّة عليها السلام في إحدى محاضراته فقال : أهدت إحدى النساء الفرنسيات لحرم السيّدة رقية عليها السلام سجّادتين فاخرتين ممّا أثار تعجّب الناس واستغرابهم ، فهم يعلمون أنّ المرأة مسيحية ، ولا ربط لها بالإسلام ، ومع ذلك تأتي من فرنسا وتقدّم هذه الهدية القيّمة ؟!

بقي الناس يتساءلون بينهم عن سبب الهدية فحملهم الشوق لمعرفة السبب إلى السؤال من المرأة ، فقالت :

كما ترون ، فإنّني لست مسلمة ، إلّا أنّني وقبل سنوات جئت إلى هنا بمهمّة ونزلت في إحدى المنازل القريبة من الحرم الشريف ، وفي أوّل ليلة ـ وكنت متعبة جدّاً ـ أردت النوم وإذا بي أسمع صوت بكاء شديد ، وحيث أنّ بكاء الزوّار لم يكن ينقطع ، تساءلت من البعض وقلت لهم : من أين هذا البكاء ؟ فقالوا : هذا البكاء في حرم طفلة يتيمة مدفونة بالقرب منّا .

في البدء تصوّرت أنّ الطفلة كانت قد ماتت للتوّ والذين يبكون هم أقرباءها إلّا أنّهم قالوا لي : لقد مضى على وفاتها الف عام .

فازداد تعجّبي وتساءلت في نفسي وقلت : لماذا يصنع الناس هكذا بعد مضي مئات السنين على وفاة هذه الطفلة ؟! فتبيّن لي فيما بعد أنّ هذه الطفلة تفرق عن سائر الأطفال العاديين ، إنّها طفلة الإمام الحسين عليه السلام الذي قتل الأعداء والدها ظلماً وعدواناً ثمّ سبوا عياله إلى الشام ـ عاصمة يزيد ـ فماتت الطفلة من غصّة فراق أبيها دفنها أهل البيت عليهم السلام في هذا المحلّ .

وحينما جئت إلى الحرم الشريف وشاهدت العشّاق الذين أقبلوا من مختلف بلاد العالم كيف ينذرون ويقدّمون الهدايا للحرم الشريف ويتوسّلون إلى الله تعالى بمقام السيّدة رقيّة عليها السلام كي يقضي حوائجهم ، وقعت محبّة هذه الطفلة بقلبي وأحسست بالإنشداد العظيم إليها منذ أن شاهدت حرمها المبارك .

وبعد مدّة ـ وكنت حاملة ـ أخذوني إلى المستشفى فأخبرني الأطباء بعد الفحوصات وقالوا : لابدّ من اجراء عملية جراحية لك ، فحالة الطفل غير طبيعية ، فازداد اضطرابي وقلقي وبدأت أتساءل في نفسي قائلة : إلهي ماذا أصنع ؟ وما هي الحيلة ؟! ولا إرادياً أحسست أنّ الحلّ الوحيد لمشكلتي هو التوسّل والدعاء .

آنذاك تذكّرت هذه الطفلة رقيّة عليها السلام وانشددت دون إرادتي إليها وقلت : إلهي أُقسم عليك بحقّ تلك الطفلة التي آلّمتها سياط الظلمة ، وبمظلومية والدها إمام الطاعة ووصي رسولك عليه السلام إلّا ما خلّصتني ممّا أنا فيه .

ثمّ إنّي خاطبت السيّدة رقية وقلت : سيّدتي إن أنقذتيني من هذه الشدّة فإنّي سأهدي سجّادتين فاخرتين لحرمك الشريف .

شهد الله أنّه لم تمض سوى لحظات على توسّلي ومخاطبتي لهذه الطفلة وإذا بي ألد ولدي بكلّ سهولة على خلاف ما توقّع الأطباء والمتخصّصون فأنجاني الله تعالى من الموت الحتمي ببركة التوسّل بهذه اليتيمة ، والآن جئت بهاتين السجّادتين وفاءً بعهدي الذي عاهدت السيّدة رقيّة عليها السلام عليه .

٤ ـ إسلام امرأة مسيحية

ذكر سماحة حجّة الإسلام السيّد عسكر حيدري وهو من طلّاب الحوزة العلمية الزينبية في الشام الكرامة التالية فقال : في أحد الأيّام أقبلت امرأة مسيحية مع طفلتها المشلولة إلى سوريا بعد أن أجابها دكاترة لبنان وأخبروها بأن لا علاج لابنتك .

ولحسن الحظّ أنّها استأجرت منزلاً كان قريباً من حرم السيّدة رقيّة عليها السلام واتّخذته كمقرّ لها أثناء بقاءها في سوريا لمعالجة طفلتها المريضة .

وفي أحد الأيّام شاهدت المرأة أفواجاً من الناس يقبلون إلى الحرم الشريف ممّا أثار تعجّبها وتساءلها فقالت : ما الخبر ؟ ولماذا يأتي هؤلاء الناس إلى هنا ؟ وما هي المناسبة ؟ فقالوا لها : إنّ اليوم هو يوم عاشوراء وهذا حرم السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، والناس يأتون لإقامة العزاء عند مرقدها الطاهر ، وإذا بالمرأة تترك طفلتها

في البيت وتذهب إلى الحرم الشريف وتتوسّل بالسيّدة رقيّة عليها السلام وتلحّ عليها في قضاء حاجتها بكلّ إخلاص إلى أن فقدت الوعي وغشي عليها ، وفيما هي كذلك أحسّت المرأة أنّ شخصاً يقول لها : قومي واذهبي إلى بيتك فإنّ ابنتك بقيت وحيدة ولا أحد معها وقد شافاها الله تعالى .

وبالفعل فقد استيقظت المرأة وذهبت إلى منزلها وإذا بها تجد طفلتها تلعب وكأن لم يكن بها شيء أصلاً ، آنذاك تساءلت الأُمّ من الطفلة وقالت : ما الخبر ؟ وكيف تحسّن حالك ؟ قالت : عندما خرجتي من المنزل دخلت طفلة اسمها رقيّة الدار وقالت لي : قومي لنلعب معاً . ثمّ إنّها قالت لي : قولي بسم الله الرحمن الرحيم لتستطيعي القيام والنهوض على قدميك .

ثمّ إنّها أخذت يدي وأوقفتني وقد أحسست منذ ذلك الوقت إنّني قد شفيت من المرض وبينما كانت الطفلة تحدّثني إذا بك تفتحين الباب فقالت : لقد جاءت أُمّك واختفت .

يقول السيّد الحيدري : على أثر هذه الكرامة للسيّدة رقيّة عليها السلام اهتدت المرأة المسيحية ودخلت في مذهب الحقّ مذهب أهل البيت عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام .

٥ ـ وشفيت من جديد

نقل حجّة الإسلام والمسلمين السيّد شهاب الدين الحسيني القمّي فقال : بعث مدّاح أهل البيت عليهم السلام المخلص الحاج أحمد أكبري إليّ رسالة كتب فيها قصّة شفاءه من الموت الحتمي ببركة يتيمة الإمام الحسين عليه السلام السيّدة رقيّة عليها أفضل الصلاة والسلام جاء فيها :

ابتليت بألم شديد عجز الأطباء عن معالجته وتشخيصه وبعد أن العديد من المعاينات والفحوصات قرّروا أن يجروا لي عملية جراحية ، علماً أنّهم أخبروني قبل ذلك أنّ العملية قد تنجح وربما تفشل .

وبعد إجراء العملية تبيّن أنّها كانت فاشلة فبقوا فترة الزمن يجرون لي الفحوصات ثمّ أخبروني بأن لا أمل من شفاءك وأنّ موتك حال لا محالة ، فاعقد وصيّتك وودّع أطفالك وأهلك ، ففي أي لحظة يمكن أن تفارق الدنيا .

لذلك بعثت خلف عائلتي وبقيّة الأقرباء والأرحام وكنت مسجّاً على الفراش وقد ربطوا يدي وقدماي واستسلمت للموت . وبعد ساعات أقبل الجميع وأخبرتهم بالقضية وأخذت أُوصيهم بوصاياي الأخيرة وأُودّعهم ويودّعوني وقد ضجّ الجميع بالبكاء والنحيب وارتفعت أصوات الحزن والعويل من كلّ جانب ، وأتذكّر أنّ لي طفلة صغيرة قد حضرت لوداعي فضممتها إلى صدري وأخذت أُقبّلها وأُودّعها وداع مفارق لا رجعة له أبداً .

وبعد ساعة خرج الجميع بعيون باكية وقلوب مصدّعة وقد هيّأوا أنفسهم لموتى واستلام جنازتي ليقوموا بواجبات الميّت من الغسل والصلاة والدفن وما شابه ذلك .

آنذاك وبعد أن أغلقت جميع الأبواب في وجهي توجّهت إلى عزيزة الإمام الحسين عليه السلام ويتيمته السيّدة رقيّة وأخذت أتوسّل بها وأقرأ مصيبتها المشجية .

ولم تمض لحظات إذا بطفلة كأنّها القمر تقف أمام السرير وتناديني باسمي وتقول : قم يافلان .

تعجّبت كثيراً واستولت الغرابة عليّ وقلت : ياترى من هذه التي تعرف اسمي ولا أعرفها ؟!

فقلت في نفسي : لعلّها ابنة أحد المرضى النازلين في نفس الغرفة جاءت لتسأل أحوالي ... لحظات قليلة إذا بها تقول ثانية : قم ، فقلت : لا أستطيع إنّ يداي وقدماي مربوطتان وقد منعني الأطباء من الحركة .

قالت : قم ، لماذا تقول أنّ يداك وقدماك مربوطتان ؟!

نظرت إلى يدي وقدمي إذا بهما مفتوحتان ، ثمّ أنّها قالت : لماذا لا تقوم ؟ قلت : لقد أجرى الأطباء لي عملية ومنعوني من الحركة .

قالت : أين هو محلّ العملية ، أرني إيّاه ؟!

فنظرت مكان العملية وإذا بي لا أرى أثراً له أصلاً وقد التأم الجرح تماماً وكأنّني لم أجر عملية جراحية قطّ ، فتعجّبت كثيراً وتساءلت منها وقلت : من أنت ؟

قالت : أليس إنّك توسّلت بي قبل قليل ثمّ اختفت عن أنظاري .

مباشرة قمت من السرير وارتديت ثيابي وهرولت إلى الخارج وأخبرت الجميع بكرامة السيّدة رقيّة عليها السلام ، علماً أنّني أحرص كثيراً على ذكر هذه الكرامة في مجالسي .

٦ـ رفيق الدرب

يقول أحد العلماء الأعلام : عندما رجعت من بيت الله الحرام سنة ١٣٣٥هـ. ش ذهبت إلى الشام لأزور المراقد المقدّسة فيها ومن هناك أذهب إلى العراق لزيارة العتبات المقدّسة ، وحيث أنّني كنت وحيداً في سوريا تمنّيت أن أحصل على رفيق حسن في سفري يرافقني رحلتي ويؤنسني في غربتي .

وفي أحد الأيّام وبعد أن دخلت حرم السيّدة رقيّة عليها السلام وفرغت من زيارتها الشريفة طلبت منها أن تهيّأ لي رفيق درب يشدّ أزري في السفر ويرافقني في زيارتي .

وقبل أن أخرج من الحرم الشريف تعرّفت على أحد التجّار الخيرين من أهالي الكاظمية وأخبرته عن رغبتي لزيارة العتبات المقدّسة في العراق فأبدى استعداده لمرافقتي وبالفعل فقد سافرت مع هذا التاجر إلى العتبات ـ كربلاء والنجف والكاظمين ـ وكان حقيقة نعم الرفيق وخير صديق في السفر حتّى أنّني لم أشعر بالغربة والوحشة بل عشت معه خير أيّام عمري ... وحقيقة كنت دائماً أُلامس بركة توسّلي بعزيزة الإمام الحسين عليه السلام التي هيّأت لي هكذا صديق في سفري إلى العتبات المقدّسة .

٧ـ هكذا وفّقت لشراء الكتب

في ليلة السادسة والعشرين من شهر محرّم الحرام سنة ١٤١٨هـ وفّقت لزيارة آية الله السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي ، وفي أثناء الزيارة تساءلت منه قائلاً : ألا تعرف شيئاً من كرامات عزيزة الإمام الحسين عليه السلام السيّدة رقيّة عليها السلام لأنقله عنك في طيّات كتابي

حول هذه السيّدة الجليلة ؟!

فنقل لي القصّة التالية وقال : في إحدى سفراتي إلى سوريا وبينما كنت أتمشّى مع أحد الأصدقاء بالقرب من المسجد الأموي شاهدت بعض الكتب الخطّية القديمة جدّاً ومنها كتاب نهج البلاغة بخطّ أحد العلماء الأعلام عام (٦٠٠هـ) . وحينما سألت من البائع عن قيمتها طلب مبلغاً كبيراً جدّاً لم أكن أملكه أصلاً ، ولذا ذهبت إلى زيارة السيّدة رقيّة عليها السلام وتوسّلت بها وطلبت منها أن تجعل الكتب من نصيبي ، وفي أثناء عودتي إلى المنزل مررت على نفس بائع الكتب وإذا به يناديني قائلاً : سيّدنا تعال أُريد أن أبيع الكتب وقيمتها باختيارك .

وبحمد الله وعناية السيّدة رقيّة عليها السلام فقد اشتريت الكتب وصارت من نصيبي وهي إلى الآن موجودة عندي في المكتبة ، ولا يخفى أنّ هذه الكرامة هي من أقلّ كرامات السيّدة رقيّة عليها السلام .

٨ ـ توسّل آخر

نقل العالم الجليل الورع سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد مرتضى المجتهدي السيستاني حفظه الله أحد مدرّسي الحوزة العلمية في مدينة قمّ المقدّسة عن الحاج صادق متقيّان أحد خدمة الإمام الحسين عليه السلام المخلصين في مدينة مشهد المقدّسة في شهر محرّم الحرام سنة ١٤١٨هـ أنّه قال : مضت ثمان سنين على زواج ابنتي ولم ترزق بمولود وقد راجعت العديد من الأطباء والمتخصّصين ولكن دون جدوى إلى أن عزمت السفر إلى سوريا في شهر صفر المظفّر سنة ١٤١٧هـ وقبل سفري بقليل أعطتني زوجتي كاروكاً كانت قد أعدّته بيدها وقالت : اعقده بضريح السيّدة رقيّة ليقضي الله حاجة ابنتي وتنظر السيّدة رقيّة عليها السلام نظرة رحيمة . وبالفعل فقد أخذت المهد إلى الشام وحينما ذهبت إلى زيارة عزيزة الإمام الحسين عليه السلام السيّدة رقيّة عليها السلام ودخلت حرمها الشريف أخذتني روحانية عجيبة وغرقت في عالم مليئ بالحزن والمأساة فتوجّهت نحو الضريح الطاهر بروحانية وتوجّه خاص وعقدت « الكاروك » به .

وبينما أنا كذلك إذا بشخص كان ينظر إليّ يقول : أنت أيضاً لماذا تعتقد بمثل هذه العقائد ؟! قلت : إنّ عقيدتي بالسيّدة رقيّة عليها السلام لا بـ« الكاروك » وما هذا « الكاروك » إلّا وسيلة لإظهار عقيدتي بهذه السيّدة الجليلة علّني أنال لطفها وعنايتها ، وكلّ شخص يظهر محبّته وولائه حسب عقيدته ومعرفته ، وهذا هو قدر معرفتي بالسيّدة رقيّة عليها السلام ولا يقدح ذلك بمقامها العالي ومكانتها الرفيعة .

وبعد رجوعي من زيارة العتبات المقدّسة في سوريا لم تمض سوى أيّام قليلة إذا بزوجتي تقول : يجب أن نأخذ « فلانة » إلى المستشفى لتجري الفحوصات ونرى هل أنّ السيّدة رقيّة عليها السلام تشفّعت إلى الله في قضاء حاجتنا أم لا ؟!

وبعد إجراء الفحوصات تبيّن أنّها حامل وأنّنا عبر هذا « الكاروك » الصغير استطعنا أن ننال عناية هذه السيّدة العظيمة الجليلة ونحصل على شفاعتها عند الله في قضاء حاجتنا علماً أنّ ابنتي الآن لديها طفل صغير .

٩ ـ إنّها السيّدة رقيّة عليها السلام

بعث سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد علي برهاني فريدني حفظه الله رسالة لدفتر انتشارات الإمام الحسين عليه السلام ذكر فيها كرامة للسيّدة رقيّة عليها السلام فقال : استجابة لأمر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين ونخبة المتّقين الشيخ علي الربّاني الخلخالي « دامت توفيقاته » أُشير إلى كرامة حصلت في أحد المجالس قبل (٣٤) سنة تقريباً وقد نقلها سماحة الخطيب المشهور السيّد عبدالله تقوي شفاهياً فقال :

من لطف الله تعالى عليّ وتوفيقاته لي أنّه أنعم عليَّ منذ سنين بخدمة سيّد الشهداء عليه السلام من خلال ارتقائي المنبر في مدينة طهران .

وفي إحدى الليالي وبعد أن فرغت من المجلس ورجعت إلى المنزل رنّ الهاتف عند الساعة التاسعة ليلاً تقريباً فرفعت السمّاعة وإذا به أحد الأصدقاء ، وبعد السلام والتحيّة قال : إنّ « فلان » الكاسب قد توفّي وغداً بعد الظهر سيكون مجلس الفاتحة وقد اقترحت على أبناء المرحوم أن ترتقي أنت المنبر .

فلا تنسى أن تعدّ نفسك غداً بعد الظهر عند الساعة الثالثة أو الرابعة .

وفي نفس الوقت تذكّرت أنّني في الليلة الماضية قرأت مجلساً شهرياً ـ أي كلّ شهر يقرؤون ليلة واحدة ـ في أحد المنازل التي نسيت عنوانه وبعد المجلس جاءتني إحدى النساء وتوسّلت بي كثيراً كي أقرأ لها مجلساً يوم غد في نفس ساعة ذلك المجلس وذلك في المنزل المقابل للمنزل الذي قرأت فيه الليلة البارحة .

وقد ذكرت المرأة أنّها لديها نذر وتريد أن تطعم بعد المجلس تبرّكاً باسم السيّدة رقيّة عليها السلام التي سيكون المجلس باسمها ، ولذا طلبت منّي أن أعدّ نفسي لقراءة مصيبة هذه السيّدة المظلومة وأتوسّل بها لقضاء حاجتها .

وعلى كلّ فقد أخبرت صاحبي أنّني وعدت تلك المرأة أن أقرأ لها مجلساً حول السيّدة رقيّة عليها السلام ولذا فإنّني لا أستطيع القراءة في مجلس الفاتحة .

فتأثّر صاحبي كثيراً وقال : إنّك كيف تفكّر ؟! لقد أردت خدمتك .

وبعد لحظات أخذت أُفكّر وأتأمّل وأقول في نفسي : كم مجلس يجب أن نقرأ للسيّدة رقيّة عليها السلام وعلي الأصغر حتّى يعطوني ثلاثين توماناً ؟! أمّا إنّني إذا قرأت مجلس التاجر فإنّهم حتماً سيعطوني مبلغاً جيّداً .

ولذا فقد انصرفت عن الذهاب إلى مجلس المرأة ثمّ ذهبت إلى النوم . وفي عالم الرؤيا رأيت أنّني في نفس الشارع الذي يقع فيه منزل المرأة وكان هناك سيّد نوراني جميل المنظر قد أخذ بيد طفلة عمرها ثلاث سنين ، فسلّمت عليه وسألت أحواله وسألته عن اسمه ومسكنه فقال : إنّني أحضر في كلّ المجالس وهذه ابنتي رقيّة ، فلا تبعنا ياسيّد بمادّيات الدنيا ؟!

كما أضاف ذلك الرجل قائلاً : لماذا تترك تلك المرأة تترقّب حضورك وتنتظر مجيئك بعد أن وعدتها أن تأتي إلى بيتها وتقرأ لها المجلس ؟!

ولماذا تريد تخلف الوعد وترجّح مجلس التاجر ، حتّى يعطوك أموالاً أكثر ؟!

فاستيقظت من النوم فزعاً حزيناً ولا إرادياً أخذت الهاتف واتّصلت بصاحبي

وقلت له ودموعي تجري : « فلان » لا تنتظروني غداً في مجلس التاجر ، فمن المستحيل أن أقرأ لكم هذا المجلس .

وفي اليوم الثاني ذهبت إلى مجلس المرأة وقرأت مصيبة السيّدة رقيّة عليها السلام ونقلت القضية على المنبر فانقلب المجلس وضجّ الحضور بالبكاء بما فيهم أنا وقد عمّت ذلك المجلس حالة من الروحانية لم أر لها مثيلاً بحيث إنّ الحضور بقوا يبكون إلى فترة من ختام المجلس . الجدير بالذكر أنّ رائحة طيّبة انتشرت في المجلس لم استنشم مثلها من قبل قطّ .

١٠ ـ من آثار التوسّل بالسيّدة رقيّة عليها السلام

نقل سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ هادي أشرفي التبريزي فقال : في إحدى سفراتي إلى تبريز وكنت نازلاً ضيفاً عند أُختي دار الحديث حول عزيزة الإمام الحسين عليه السلام السيّدة رقيّة عليها السلام ، فقلت للحضور : إنّ البعض ينفون أن تكون للإمام الحسين عليه السلام طفلة بهذا الاسم ويكذّبون الأخبار الواردة في ذلك .

وفجأة إذا بعمّة أُختي ـ أي أُمّ زوجها ـ تلتفت إليّ وقد بدت حالة العصبانية والغضب على وجهها وقالت : لو أنكر الجميع حقيقة السيّدة رقيّة عليها السلام فلن أعتقد بكلام واحد منهم ، فإنّني ولأكثر من مرّة توسّلت بها وأخذت حاجتي منها ثمّ ذكرت القضية التالية فقالت :

قبل فترة كان ولدي « صابر ريحاني » قد ذهب إلى الجندية في إحدى المقرّات العسكرية في أهواز .

وفي أحد الأيّام مرّ زوجي الذي كان يقود سيارة « الشاحنة » على حادث لناقلة المسافرين كانت تحمل مجنّدين ، والمؤسف أنّ جميع الركّاب قد ماتوا ، فرجع زوجي إلى المنزل قلقاً مضطرباً شاحب اللون .

وبعد أن اتّصلنا بالمقرّ العسكري وسألنا عن « صابر » أخبرونا أنّه ليس موجوداً في المقرّ وإنّه قد أخذ اجازة عن الخدمة فازداد قلقلنا ، وفي نفس اليوم أخبرنا بعض الجيران

أنّ البعض كان يسأل عن منزل أحد الجنود كان اسم والده « قدرة الله » ليخبروا أهله بموته فبدأنا نظنّ بقوّة بل نتيقّن بموت صابر .

آنذاك وفيما كنت مضطربة توجّهت بكلّ إخلاص إلى السيّدة رقيّة عليها السلام وخاطبتها قائلة : سيّدتي أنت تعلمين بضعف حالتي وفقري ولكن إذا بلغني خبر عن سلامة ولدي فسأُطعم الفقراء مقدار من الحليب . وما هي إلّا لحظات إذا بالهاتف يرنّ فرفعت السمّاعة والاضطراب يخيم على كياني وإذا به ولدي صابر ، وما أن سمعت صوته وإذا بي أسقط مغشيّة فهرع ولدي الأكبر وتناول السمّاعة وإذا صابر يخبره أنّه كان في إجازة عندما اتّصلنا به ولمّا عاد إلى المقرّ العسكري أخبروه باتّصالنا فاتّصل بنا ليطمأننا على أحواله .

١١ ـ قلّ له يسمّيه حسيناً

بعث سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمود شريعة زاده الخراساني رسالة إلى مكتب الإمام الحسين كتبها في تاريخ ٢ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ وجاء فيها :

دخلت في أحد الأيّام حرم السيّدة رقيّة عليها السلام فرأيت مجموعة من الناس كانوا واقفين مقابل الضريح المقدّس يقرؤون الزيارة الشريفة بينما كان مدّاح أهل البيت عليهم السلام الحاج نيكوئى يقرأ لهم المصيبة وقد ذكر القضية التالية فقال :

فيما كان مسؤولوا حرم السيّدة رقيّة عليها السلام يشترون المنازل المجاورة لتوسعة المرقد الشريف رفض أحد اليهود أو النصارى المجاورين للحرم أن يبيع منزله وبقي يصرّ على ذلك علماً أنّهم عرضوا عليه أكثر من ضعفي قيمة منزله إلّا أنّه رفض وبقي يعاند بكلّ إصرار .

وبعد مدّة من الزمن حملت زوجة الرجل ، وقبل ولادتها أخذها إلى بعض الدكاترة لمعاينة حالتها فأخبروه أنّ الأُمّ والطفل معرّضان للخطر ولذا من اللازم أن يبقيا تحت إشرافنا هذه المدّة . يقول الرجل : عندما أخذ الطلق من زوجتي مأخذه أخذتها إلى المستشفى ورجعت إلى حرم السيّدة رقيّة عليها السلام وبقيت أتوسّل بها وقد عاهدتها بأنّها إذا تشفّعت لي في سلامة زوجتي وطفلي فإنّني أهدي المنزل إليها .

بقيت فترة أتوسّل بها ثمّ ذهبت إلى المستشفى فوجدت زوجتي جالسة على « سرير » وفي حجرها طفل وهما في أحسن حال وهي تقول : أين ذهبت ؟ قلت : لقد كان لدي أمر مهمّ ذهبت لأداءه ، فقالت : لا ، لقد ذهبت وتوسّلت بابنة الإمام الحسين عليه السلام ، قلت : من أين عرفتي ؟ قالت : عندما كنت أعاني آلام الطلق أُغمي عليَّ وإذا بطفلة صغيرة دخلت الغرفة وقالت : لا تقلقي ، لقد طلبت من الله تعالى سلامتك أنت وطفلك وهو ولد .

ثمّ أنّها قالت : أبلغي سلامي إلى زوجك وقولي له يسمّيه حسيناً ، فقلت لها : من أنت ؟ قالت : أنا رقيّة بنت الإمام الحسين عليه السلام .

ولمّا فرغ المدّاح المذكور « الحاج نيكوئى » من قراءة المصيبة سألت منه : من أين لك هذه القصّة ؟ قال : سمعتها من خادم حرم السيّدة رقيّة عليها السلام وهو من أهل السنّة وكان يفتخر بهذه الخدمة ، وكان أبوه أيضاً يخدم معه في حرم السيّدة رقيّة عليها السلام .

١٢ ـ إنّها الطفلة التي رأيتها في المنام

وذكر حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمود شريعة زاده في نفس الرسالة فقال : سماحة حجّة الإسلام والمسلمين خادم أهل البيت عليهم السلام الشيخ علي الربّاني الخلخالي دام عزّه سمعت القصّة التالية من البعض ، وحيث أنّها قصّة عجيبة وجدت من الجدير بي أن أذكرها لك وهي :

في أحد الأيّام كنت في حرم السيّدة رقيّة عليها السلام مشغولاً بذكر مصيبتها المشجية فسمعت أصوات بعض النساء يصحن بينما كانت إحداهنّ قد أُغمي عليها من شدّة المصيبة .

وبعد المجلس أفاقت المرأة وجاءت إليّ وقالت :

كنت مبتلاة بمرض القلب وقد أجابني الدكاترة بعدم الفائدة من العلاج فيأست من الحياة وسأمتها وقلت لزوجي : أُريد الذهاب إلى حرم السيّدة رقيّة عليها السلام ففي الليلة البارحة رأيت في عالم الرؤيا طفلة صغيرة أعطتني ورقة خضراء وقالت : إذا أردت أن يتحسّن حالك فكلي هذه الورقة ، فسألتها : من أنت ؟ قالت : أنا رقيّة بنت الإمام

الحسين عليه السلام ، واليوم وبعد أن استيقظت من النوم جئت إلى الحرم الشريف فوجدتك تقرأ مصيبة السيّدة رقيّة عليها السلام فشاهدت نفس الطفلة في عالم اليقظة تـقدّم لي نـفس الورقـة الخضراء وقد شاهد الذين كانوا معي هذه القضية ، ولذلك لم أتحمّل ذلك المنظر العجيب وأُغشي عليَّ من شدّة الهول .

والآن وبحمد الله تعالى فإنّ حالي على أحسن وجه وكأنّ المرض قد ذهب عنّي كاملاً .

١٣ ـ بركات التوسّل بالسيّدة رقيّة

بعث سماحة الحاج عبدالحسين الاسماعيلي القمشهاي ـ وهو من الشـخصيات المثقّفة ـ في مدينة « شهر رضا » رسالة إلى مكتب الإمام الحسين عليه السلام ذكر فيها كرامـة للسيّدة رقيّة عليها السلام حصلت له شخصياً وذلك بعد أن سألناه أن يذكر لنـا مـا يـعرفه مـن الكرامات لهذه السيّدة الجليلة فقال : لقد حصلت هذه القضية قبل خمسة عشر سنة تقريباً ـ أي في بدايات الانقلاب الإسلامي في ايران ـ فقد كنت مقيماً في دولة الكويت ، وفي تاريخ ٧ مهر ١٣٦١هـ. ش عزمت الذهاب إلى الكويت ولكن عن طريق سوريا لأبقى فيها يومين وأحظى بزيارة العتبات المقدّسة ، وفي سوريا حصلت لي هذه القضية العجيبة ، فقد كانت لي حاجة مهمّة ولذا فإنّني لمّا دخلت حرم السيّدة رقيّة ألقيت بـنفسي عـلى أعتاب الضريح الطاهر وخاطبت السيّدة رقيّة قائلاً : ياعزيزة الحسـين عليه السلام إنّ أخـذي بأطراف ضريحك هو كناية عن أخذي بأذيالك الطاهرة وإنّك تعرفين حاجتي وعـلمك بحالي يكفيك عن سؤالي ، فبحقّك عند الله تعالى ، وبجاه أجدادك الطاهرين إلّا ما سألت والدك سيّد الشهداء عليه السلام أن يشفع لي عند جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في قضاء حاجتي .

ولمّا عزمت السفر إلى الكويت وقد كانت أيّام الحرب المشؤومة التي شنّها البعثيون ضدّ ايران وكانت الحكومة الايرانية تمنع أن يأخذ المسافر معه أكثر من الفين تومان وهو مبلغ زهيد جدّاً إلّا أنّني كنت أقضي سفرتي بأن أقترض من البعض مقدار من المال لأسدّ به تكاليف السفر كالكراية وما شابه ثمّ أُرجعها لهم في ايران . وعلى كلّ عندما ذهبت إلى

الكويت عرفت أنّ الحكومة الايرانية سمحت للايرانيين المقيمين في الكويت أن يدخلوا ما يعادل مئة الف تومان من البضاعة إلى البلد ولذا فقد وقعت في مضيقة مالية ولم أجد من يقرضني مبلغاً من المال لأقضي به بعض احتياجات سفري إلى ايران كالأُجرة وما شابه .

وفي إحدى الليالي عند السحر توسّلت مرّة أُخرى بالسيّدة رقيّة عليها السلام وقلت لها : سيّدتي أين جواب توسّلي بك ؟

مباشرة وبدون أيّة مقدّمات طرأ في ذهني ما يلي : أن أذهب إلى المدرسة الايرانية وأعمل عندهم كخطّاط ، وبالفعل فقد قضت السيّدة رقيّة عليها السلام حاجتي حيث وافق مسؤولوا لمدرسة على طلبي وحلّت مشكلتي تماماً .

وبعد سنة من القضية ذهبت إلى الكويت بدعوة من وزارة التعليم إلّا إنّني أُخرجت منها لشدّة المضايقات على الايرانيين في الكويت جرّاء الحرب المفروضة على ايران وهذا أيضاً بعناية السيّدة رقيّة عليها السلام وقد أذكر لكم تفاصيله في يوم ما .

١٤ ـ هكذا ذهبت إلى الحجّ

كتب سماحة المحقّق الشيخ علي أبو الحسني (منذر) في مقالة له فقال : طلب سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي ربّاني الخلخالي (دام ظلّه) منّي أن أكتب له شيئاً ممّا رأيته أو سمعته من كرامات يتيمة الشام السيّدة رقيّة عليها السلام لينقلها للقرّاء الكرام فانتخبت له الكرامة التالية :

ففي ليلة السبت الموافقة ٢ آبان ١٣٧٦هـ. ش كنت عند والدتي في منزل والدي حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد أبو الحسني ، وتساءلت منها قائلاً : لقد ذهبت مع الوالد أكثر من مرّة إلى العتبات المقدّسة في العراق وسوريا ، فهل رأيت كرامة للسيّدة رقيّة عليها السلام لينقلها سماحة الشيخ علي الخلخالي في كتابه « السيّدة رقيّة بنت الإمام الحسين » فتأوّهت الوالدة العزيزة وقالت : نعم ، لقد رأيت كرامة للسيّدة رقيّة عليها السلام بعيناي ، ففي بداية حكومة « البازرگان » وفي شهر رجب سنة ١٣٩٩هـ. ش تقريباً

أعطاني والدك صورته وصور اخوانك وقال : اذهبي إلى السفارة العراقية لعلّهم يعطوك « تأشيرة » لنذهب بها إلى زيارة سيّد الشهداء عليه السلام .

فأخذت الصور وذهبت إلى السفارة وكتبت أسمائنا خلفها وقدّمتها إليهم ثمّ رجعت إلى المنزل ، وبقينا ننتظر أن يعلنوا أسمائنا للزيارة . وبعد أشهر ـ وكنّا ننتظر يعلنوا عن أسمائنا بفارق الصبر علّنا نوفّق لزيارة أبا عبدالله عليه السلام ـ وفي شهر رمضان بالذات ، راجعت السفارة أكثر من مرّة علّني أجد خبراً منهم إلّا إنّني في كلّ مرّة أعود خائبة مهمومة .

وفي شهر شوال راجعت السفارة وكانت قد أعلنت عن أسماء البعض إلّا أنّ أسمائنا لم تكن معها ، رجعت إلى المنزل مغمومة حزينة باكية وقد توجّهت إلى الله تعالى وقلت : إلهي إمّا أن تقسم لنا زيارة حجّ بيتك الحرام أو زيارة العتبات المقدّسة ، وحقيقة كنت مشتاقة أيضاً لزيارة بيت الله الحرام إلّا إنّنا لم نكن نملك جواز السفر الخاص لزيارة بيت الله الحرام أيّام الحجّ الأمر الذي جعلني أفقد الأمل في الذهاب إلى بيت الله الحرام .

لحظات قليلة إذا بزوجي يدخل الدار ويقول : ماذا حصل ؟ فهل أعلنوا أسمائنا ؟ قلت : لا ، فاغتمّ هو أيضاً .

وفي تلك الأيّام كان زوجي يرتقي المنبر في منزل آية الله الزنجاني ، ولمّا رآه السيّد الزنجاني مغموماً تساءل منه وقال : ما هي مشكلتك ؟ فنقل والدك له القضية ، وإذا بآية الله الزنجاني يطمئنه ويقول : لا بأس عليك سأكتب لك رسالة للسفارة السعودية ليعطوك تأشيرة الذهاب إلى بيت الله الحرام .

وبالفعل فقد كتب له الرسالة وأخذها والدك إلى السفارة السعودية وتحدّث معهم بالعربية فاستأنسوا به وأعطوه تأشيرة له وحده وهو يتصوّر أنّهم أعطوه تأشيرة لنا جميعاً ... ولمّا عاد والدك إلى المنزل وأخبرنا بالخبر كنّا لا نصدّق من شدّة الفرح خاصّة الأطفال الذين كانوا يذهبون لأوّل مرّة إلى بيت الله الحرام .

وفي نصف شوال تقريباً سنة ١٣٩٩هـ وبعد أن أعدّ والدك لوازم السفر إلى سوريا

لننتقل منها إلى السعودية وكنت قد أعددت للأطفال الإحرام ... وعندما وصلنا إلى سوريا استأجرنا غرفة وكان يسكن في جوارنا شخص عربي وقد تصادق مع والدك .... .

وفي أحد الأيّام طلب ذلك الرجل من والدك أن يرى جواز سفره ، ولمّا أخذ الجواز من والدك وقلّب صفحاته قال : لقد منحوك وحدك تأشيرة السفر إلى مكّة أمّا أبناءك وزوجتك فلم يعطوهم شيئاً .

وحقيقة أنّ الدنيا ضاقت بأعيننا عندما قال هذا الكلام خاصّة الأطفال فقد بلغ من شدّة حزنهم أنّهم أخذوا يبكون بشدّة وكان زوجي يطمأنهم ويقول : لا بأس عليكم ، لماذا تبكون ، إنّني لن أترككم وحدكم ، فلابدّ أن نذهب معاً إلى الحجّ .

آنذاك أشار ذلك الرجل العربي على والدك أن يراجع السفارة السعودية في سوريا أو السفارة الايرانية علّهم يحلّون المشكلة إلّا أنّ والدك رفض ذلك وقال : إنّ السيّدة رقيّة عليها السلام هي التي جاءت بنا إلى هنا وهي التي تهيّأ لنا تأشيرة السفر إلى الحجّ .

وفي اليوم الثاني صباحاً ـ وكان يوم الأربعاء وعند الساعة السابعة صباحاً ـ ذهبنا إلى حرم السيّدة رقيّة عليها السلام وكان الباب مغلقاً فوقفنا خلف الباب وأخذنا نتوسّل بالسيّدة رقيّة عليها السلام ودموعنا تجري على خدّينا .

لحظات قليلة إذا بأحد السادة العلماء وكان شاباً ـ ولعلّ عمره ٢٥ عاماً ـ جاء ووقف خلف الباب بكلّ وقار وأخذ ينتظر أن يفتحوا باب الحرم الشريف وكانت إلى جانبه امرأة محجّبة لم أر وجهها لأنّها كانت ترتدي البوشية ، فذهب والدك إليه وتساءل منه بالعربية وقال : من أين أتيت ؟ فقال السيّد : من النجف الأشرف .

وبعد مدّة من الزمن كان والدك يتحدّث مع ذلك السيّد الوقور وينقل له القضيّة ، ولأنّ والدك والسيّد كان يقفان بعيداً عنّا لم أسمع تفاصيل الحديث إلّا أنّني سمعت السيّد يقول : اعطني جوازك ، فأعطاه والدك الجواز ثمّ جاء الخدم وفتحوا الحرم فدخل السيّد وزوجته أوّلاً ثمّ دخلنا نحن وكان هناك مسجد على اليمين يسمّى بـ « خرابة الشام » ويقال أنّ السيّدة رقيّة عليها السلام استشهدت فيه ، فذهبنا نحن إلى ضريح السيّدة رقيّة عليها السلام بينما

دخل السيّد وزوجته ذلك المسجد .

ولم تمض سوى لحظات قليلة إذا به بالسيّد يرجع الجواز إلى والدك ويقول : لقد أخذنا لك تأشيرة من أهل البيت عليهم السلام لتذهب أنت وعيالك إلى الحجّ ، ثمّ ودّعه وذهب سريعاً .

مباشرة التفت والدك إليّ وقال : بعد أن حصلنا على تأشيرة الحجّ فلنذهب سريعاً إلى مكّة المكرّمة ، فاستأجرنا مع بعض الركّاب سيارة كبيرة للسفر وتحرّكنا يوم الخميس نحو المدينة المنوّرة .

وأتذكّر أنّ والدك قال : ينبغي أن نرافق أحد العرب الذين يعرفون الطريق جيّداً ليصحبنا معه في الطريق ، ثمّ تحرّكنا نحو السعودية عبر الحدود الأردنية إذ أنّ العلاقات بين العراق وسوريا كانت مقطوعة .

ومن نعم الله تعالى وعناية السيّدة رقيّة عليها السلام أنّنا تعرّفنا على شخص عربي كان خبيراً بالطريق وقد قبل أن نرافقه طيلة الطريق .

وما أن تحرّكنا من سوريا وقبل أن نخرج من الحدود إذا بالسيارة تعطّل ، فذهب السائق ليأتي بسيارة أُخرى وبقينا نحن من الساعة السابعة صباحاً إلى الساعة الرابعة بعد الظهر ننتظره دون أن يأتي ، فاتّصل أحد المسافرين معنا بالمرور السوري وأخبرهم بالقضية وطلب منهم أن يبعثوا لنا سيارة لننتقل عبرها إلى مكّة . وما هي إلّا نصف ساعة إذا بالسيارة تأتي وكانت أفضل من السابقة بكثير فركبنا فيها وتحرّكنا بسرعة نحو الحدود السعودية ، وقبل أن نصل إلى الحدود وقفنا عند إحدى المقاهي حيث إنّ والدك طلب من السائق أن ينزل عندها لنستريح قليلاً ، فنزلنا هناك ساعة ثمّ تحرّكنا من جديد حتّى وصلنا إلى الحدود في الساعة الواحدة أو الثانية ليلاً الموافق ٢٩ شوال ١٣٩٩هـ.

وعند الحدود أخذ المسؤولون الحدود يحقّقون في التأشيرات ويجرون الاجراءات اللازمة فقلقنا جدّاً لأنّ تأشيرتنا كانت صادرة من حرم السيّدة رقيّة إلّا أنّ عناية عزيزة الحسين عليه السلام بقيت ترعانا حتّى في تلك اللحظات حيث جاء المفتّش ونظر إلى التأشيرة

ولم يقل شيئاً أبداً .

وياسبحان الله ، فقد دخلنا السعودية وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً من اليوم الثاني كنّا عند قبور أهل البيت عليهم السلام في البقيع بعد أن أجّرنا منزلاً لاستراحتنا في المدينة .

وبالرغم أنّنا دخلنا السعودية إلّا أنّ القلق كان يراودنا كثيراً ، فبعد أن زرنا المدينة وأدّينا بعض الأعمال هناك قال والدك : ربما لا يسمحوا لنا أن نذهب إلى مكّة فمن الأفضل أن نذهب إلى مكّة ونؤدّي أعمال العمرة المفردة قبل أن يذهب الحجّاج ويزدحم الطريق .

ولذلك فقد تحرّكنا في الخامس أو السادس من ذي القعدة نحو مكّة مع أحد الشيعة الذي أخذنا معه في سيارته ـ وقد قام الرجل بجميع مستلزمات السفر ـ وكلّما مررنا على نقطة مرور كان يأخذ الجوازات ويريهم إيّاها ثمّ يعود إلى أن وصلنا إلى مكّة المكرّمة في حدود الساعة الثانية عشرة ليلاً .

بالطبع أنّنا قبل أن ندخل مكّة أحرمنا في « مسجد الشجرة » وأدّينا الأعمال اللازمة في نفس الليلة التي وصلنا فيها إلى أذّن أذان الصبح فصلّينا صلاة الصبح واسترحنا قليلاً ثمّ ذهبنا إلى مقرّ السيارات التي تذهب إلى المدينة . إلّا أنّنا لم نجد أحداً أصلاً فقلت في نفسي : إلهي ، أنت الذي جئت بنا إلى ضيافتك هنا فلا تتركنا في هذه المخمصة لوحدنا . وما هي إلّا لحظات إذا بسيارة حديثة جدّاً تقف أمامنا ، وبعد أن تكلّم السائق مع والدك ببعض الكلمات قال : اركبوا ، وأخذنا معه إلى المدينة وقد رفض أن يأخذ الأُجرة بتاتاً .

وبعد مدّة من إقامتنا في المدينة المنوّرة وكان الحجّاج يتوافدون من كلّ حدب وصوب أخذ رؤساء الحملات والكثير من الحجّاج الذين يعرفون والدك يتوسّلون به ويطلبون منه أن يلتحق بهم كمرشد لحملاتهم فقبل والدك الالتحاق بحملة الحاج سيّد محسن آل أحمد لأنّه كان يصرّ كثيراً على والدك .

واستمرّ الحال على ذلك إلى أن أدّينا أعمال الحجّ كافّة دون أن يتعرّض لنا أحد أصلاً ثمّ ركبنا بالقرب من جسر أبو طالب أحد السيارات في مكّة وعدنا إلى مدينة قم المقدّسة ومنها انتقلنا إلى مدينة طهران .

هذه كرامة للسيّدة رقيّة عليها السلام رأيتها بعيني وعايشتها بنفسي .

١٥ ـ التوفيق لزيارة الإمام الحسين عليه السلام

يقول الشيخ علي أبو الحسين سألت من الوالدة أيضاً أتعرفين كرامة أُخرى للسيّدة رقيّة ؟ فقالت : نعم ، أتذكّر إحدى الكرامات التي حصلت قبل كم سنة وهي :

قبل عشرين عاماً تقريباً عندما كانت حكومة الشاه في قمّة طغيانها ذهبت مع المرحوم والدك إلى سوريا لنأخذ منها تأشيرة لزيارة العتبات المقدّسة في العراق . وفي سوريا بقينا ما يقارب خمسة عشر يوماً تردّدنا أثنائها أكثر من مرّة على لبنان علّنا نحصل على تأشيرة زيارة عتبات العراق من السفارة العراقية ولكن دون جدوى .

وفي الخامس عشر من شهر شعبان المبارك كنت جالسة وحدي في الفندق وقد أغمّني عدم اعتناء أهل لبنان بهذه المناسبة المهمّة فضلاً عن اشتياقي للزيارة فتوجّهت إلى إمام العصر والزمان عليه السلام بقلب منكسر وقلت : ياإمام الزمان ماذا يجري اليوم في ايران بمناسبة ميلادك الميمون ؟

حتماً أنّ الجميع هناك محتفلين بهذه المناسبة أمّا هنا فلا خبر ولا أثر لهذا المولود المبارك ثمّ أخذتني غفوة فرأيت في عالم الرؤيا شاباً حسن المحاسن جميل المنظر طويل القامة يتمشّى يميناً وشمالاً وهو يقول : لقد تهيّأت أسباب سفركم إلى كربلاء .

وبعد أن استيقظت من النوم عاد والدك من السفارة العراقية وقال : لقد كتب أسمائنا ورجعت إلى سوريا إلّا أنّني عرفت ـ بعد أيّام ـ أنّهم رفضوا أن يمنحونا تأشيرة الزيارة .

ولمّا رأيت أن لا فائدة من هذه الطريقة ذهبت إلى أحد الملّاك اسمه « السيّد أنور » وكان خبيراً في المعاملات وله علاقة بالسوّاق الايرانيين وكان يأخذ الجوازات من الزوّار ويبعثها إلى ايران ليأخذوا له معارفه تأشيرة الحجّ للزوّار ثمّ يبعثوا بالجوازات إلى سوريا ثانية .

ومن ضمن الجوازات التي أخذها السيّد أنور هي جوازاتنا وقد بعثها مع جوازات أُخرى إلى ايران ليأخذوا لنا تأشيرة الحجّ وعلماً أنّ الذي أخذ الجوازات رجل أفغاني .

وبعد مدّة قليلة أخبرونا أنّ الرجل قد وقع في يد الأمن الايراني وقد حكموا عليه بالسجن الأمر الذي أدّى إلى قلق الزوّار وحزنهم الشديد إذ أنّهم فضلاً عن حرمان من حجّ بيت الله الحرام سيواجهون مشكلة سياسية في ايران ولذلك اقترح بعضهم أن يبعثوا رسالة إلى زوجة الشاه يطلبون منها أن تحلّ المشكلة إلّا أنّ والدك نهاهم عن ذلك ودعاهم إلى التوسّل بعزيزة سيّد الشهداء السيّدة رقيّة عليها السلام .

ومن هنا فإنّ العديد من الزوّار كانوا يجتمعون كلّ يوم في الحرم الشريف وكان والدك يقرأ لهم مجلس التعزية ويختم مجلسه بالتوسّل بالسيّدة رقيّة عليها السلام .

وبعد عشرين يوماً من التوسّل أخبرنا أنّهم بعثوا بعض الجوازات وتبيّن فيما بعد أنّ الفرد الأفغاني بعد أخذه لتأشيرة الزيارة من طهران شكّ الأمن الايراني به في المطار وأرادوا القبض عليه إلّا أنّه فرّ منهم وفي ذلك الأثناء وقعت بعض الجوازات من جيبه وبقيت البقيّة الباقية ومنها جوازي وجواز والدك .

الملفت للانتباه أنّ الأمن بعد قبضهم على الأفغاني لم يتوجّهوا إلى الجوازات التي في جيبه ... على كلّ بعد أخذنا للجوازات وكانت فيها تأشيرة عرفنا أنّه لم يبق من مدّة التأشيرة إلّا يوم واحد ولذا فقد استأجرة سيارة وتحرّكنا بسرعة فوصلنا في الليل إلى المدينة ، وبعد أداءنا لأعمال الحجّ عدنا إلى ايران دون أن نواجه أيّة مشكلة .

الجدير بالذكر أنّنا عندما أخذنا تأشيرة الحجّ كنت قد توسّلت بالسيّدة رقيّة عليها السلام وقلت : سيّدتي إذا تيسّر أمرنا للسفر إلى كربلاء المقدّسة فسأعود ثانية إلى زيارتك من جديد ... وهذا ما حصل تماماً ، فلمّا رجعنا من الحجّ راجعنا السفارة العراقية في طهران وسجّلنا أسمائنا كما أعطى والدك جوازاتنا لأحد الأشخاص كي يتوسّط لنا في أحد التأشيرة .

مضت ثلاث أسابيع ولم نحصل على أي خبر فانتابنا اليأس وكدنا نأخذ الجوازات من الرجل إلّا أنّه رفض ذلك وقال : لنحاول مرّة أُخرى علّنا نصل إلى نتيجة ، وما هي إلّا أيّام قليلة إذا بهم يعلنون أسمائنا في إحدى الصحف وفي نفس الوقت استطاع ذلك الرجل

أن يأخذ تأشيرة ولكن تختلف عن الأُولى إذ أنّ مدّة المسموحة للسفر في الأُولى سبعة أيّام أمّا الثانية فمدّتها أكثر .

ولذلك قال والدك : أُريد البقاء في كربلاء أكثر ولن أُسافر بالتأشيرة الأُولى . وحيث إنّني تعاهدت مع السيّدة رقيّة عليها السلام أن أزورها إذا وفّقت للذهاب إلى كربلاء فقد ذهبنا إلى سوريا لنتحرّك منها نحو العراق إلّا أنّني خفت من الذهاب عبر السيارات ورفضت بشدّة . ولحسن الحظّ أنّ والدك سأل أحدهم في سوريا ويدعى الحاج محمود الشيرازي ـ كان يؤجّر المنازل للزوّار ـ فقال : ألا يوجد هنا طائرة إلى بغداد فإنّ زوجتي تخشى الذهاب عبر السيارة ؟ فقال الحاج محمود : اليوم ستصل طائرة من فرنسا إلى دمشق سينزل منها شخصان ثمّ تحلّق إلى بغداد فإذا تحبّ أحجز لك مكانهما ، فوافق والدك وأخذ الحاج محمود لنا تذكرتين وحرّكنا في نفس اليوم من مطار دمشق نحو بغداد في الساعة التاسعة ليلاً .

وفي الساعة العاشرة دخلنا بغداد فأشار بعض المسافرين علينا أن نذهب إلى الكاظمين إلّا أنّ والدك رفض وقال : الليلة ليلة الجمعة وهي ليلة زيارة سيّد الشهداء عليه السلام ولذلك سأذهب إلى كربلاء فأخذنا متاعنا وذهبنا إلى كربلاء وكان الوقت بعد منتصف الليل فبقينا نتردّد بين الحرمين إلى الصباح وقد استمرّ سفرنا في العراق أربعين يوماً ثمّ رجعنا إلى ايران سالمين غانمين رزقنا الله تعالى في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم .

١٦ ـ طفلة صغيرة .. ولكنّها باب للحوائج

في أواخر شهر رمضان المبارك سنة ١٤١٧هـ عرضت إحدى القنوات التلفازية في ايران بمناسبة يوم القدس فيلماً بعنوان « الباقي » وقد عرض نفس الفيلم قبلاً في السينما في شتّى أنحاء ايران .

أمّا محور الفيلم فهو يدور حول حياة رجل وامرأة فلسطينيين واسمهما « سعيد ولطيفة » وكانا قد قتلا أيّام الانتهاكات الوحشية والقتل العشوائي الذي كانت تقوم به

اسرائيل ضدّ المسلمين الفلسطينيين عام ١٩٤٨م في مدينة حيفا .

وتشاء إرادة الله تعالى أن يترك هذان الزوجان طفل رضيع اسمه « فرحان » كان قد بقي ثلاثة أيّام بلا طعام أو شراب إلى أن احتلّت أُسرة من اليهود كانت قد هاجرت من أوربا الشرقية إلى فلسطين منزلهما وعثرت على الطفل هناك ففرحا به خاصّة أنّ الأُسرة اليهودية كانت محرومة من الأولاد فأخذوه وغيّروا اسمه من « فرحان » إلى « موشه » وهو موسى بالعبرانية .

وفي طيلة الفيلم سلّطت الأضواء على حياة « فرحان » ومدى بشاعة وطغيان الاحتلال الصهيوني الذي دمّر البلاد وعاث في الأرض الفساد .

وبعد مدّة تأتي جدّة « فرحان » والمسمّاة بـ« صفيّة » إلى الأُسرة اليهودية وتدّعي أنّها مربّية للأطفال ومحافظة لهم علّها تجد فرصة جيّدة لتخلّص حفيدها « فرحان » من يد الصهاينة وما هي إلّا أيّام قليلة إذا بالأُسرة اليهودية تعزم السفر إلى « يافا » وقد صمّموا أن يصحبوا فرحان وجدّته معهم عبر القطار الذي كان ينقل العديد من الجنود والمعدّات العسكرية التي جاءوا بهم لقتل الفلسطينيين ، وفي الطريق وبينما كان القطار يسير في السهول والمرتفعات تنتهي الحلقة الأُولى من الفيلم .

في الحلقة الثانية استعرضوا وبشكل جذّاب كيف أنّ جدّة « فرحان » وبإشارة من زوجها المقاوم « رشيد » أخذت حقيبة المتفجرات إلى القطار ، وكيف أنّها دخلت إحدى الغرف الخالية بحجّة تغيير الطفل فوضعت حقيبة المتفجرات وبقيت تنتظر حتّى انفجرت فحملت الطفل فرحان ورمت بنفسها خارج القطار .

أمّا الجدّة صفيّة فقد ماتت في نفس المكان ، وبقى الطفل فرحان يضجّ بالبكاء إلّا أنّ عناية الله عزّوجلّ كانت ترعاه وتحفظه .

على كلّ فقد مثّل الفيلم في سوريا وكان أبطاله من السوريين والمصريين إلّا أنّ مخرج الفيلم كان ايرانياً واسمه « سيف الله داد » .

أمّا حول نجاح الفيلم فقد عقد في سوريا مهرجان حول الأفلام فنال هذا الفيلم

إعجاب الكثير من الناس ومن شتّى الطبقات خاصّة المقطع الأخير منه وحسب ما قال ممثّلوا الفيلم في إحدى اللقاءات التي أجرتها معهم مجلّة « نيستان سنة ١٣٧٥ شمسي ص ٦٠ : إنّ الفيلم عرض خمس مرّات في قاعة المهرجانات التي تستوعب لما يقارب ٣٠٠ شخص إلّا أنّ كثافة الإقبال على الفيلم جعل المسؤولين يبدّلوا القاعدة بأُخرى تستوعب ١٥٠٠ فرد فضلاً عن تكرار عرض الفيلم في أكثر من مكان كالجامعات وغيرها .

من جانب آخر فإنّ وسائل الإعلام كالصحف وغيرها تداولت أحداث هذا الفيلم واستعرضت وقائعه وأشادت به وأثنت عليه بشدّة ممّا جعل اشتياق الناس يزداد لرؤيته أكثر .

وقد رأيت شخصياً أكثر من مرّة كيف أن النساء كنّ يبكين عندما يصل الفيلم إلى الأحداث الأخيرة المؤلمة فضلاً عن الرجال الذين كانت آثار البغض بادية عليهم بوضوح خاصّة أُولئك الذين تجرّعوا آلام الظلم الصهيوني وعانوا من طغيانهم المستمر .

الملفت للانتباه أنّ المخرج « سيف الله » قال : أنّ موفّقية الممثّلين للتمثيل بهذه الجذّابية هو ببركة التوسّل بالسيّدة رقيّة عليها السلام في دمشق ، وقد أشار إلى تفاصيل ذلك في نفس اللقاء ص٦٧ فقال : إنّ موضوع الفيلم بعد مطالعة التاريخ ومراجعة بعض الأحداث الأُخرى تغيّر كلّياً وأصبح أشبه ما يكون بقصّة نبي الله موسى عليه السلام علماً أنّ كلّ فصل منه أُعيدت كتابته من أوّله إلى آخره ما يقارب أربع أو خمس مرّات ولذا صار الفيلم أكثر تأثيراً وجذّابية .

ففي البداية كنت قد كتبت إلى أحداث الانفجار في القطار وفيما بعد أحسست بالإشكالات ، فمثلاً بالنسبة إلى رشيد جدّ الطفل « فرحان » في البدء كان دوره ينتهي بقتله عند انفجار القطار إلّا أنّنا بعد التعديلات غيّرنا ذلك وجعلناه يمثّل أدواراً أُخرى بعد حادثة انفجار القطار .

ومع ذلك كلّه فقد بقيت حائراً ماذا أصنع في أواخر الفيلم ؟ لقد كان لدي

« سيناريو » ولكنّه غير كافٍ ولذا كنت قلقاً حتّى انقطعنا عن التمثيل للحلقات التي بعد الانفجار مدّة اسبوعين .... .

بل إنّني كنت أكتب كلّ ليلة تفاصيل الأدوار المفترض تصويرها في اليوم الآتي ولكن وبعد أن أجرينا التغييرات وجدت نفسي عاجزاً عن ذلك تماماً فبقيت متحيّراً كتحيّر « صفيّة » إلّا أنّني أخفيت ذلك على البقية إلى أن توجّهت إلى عزيزه سيّد الشهداء السيّدة رقيّة عليها السلام ونذرت لها ممّا جعل الفيلم يوفّق مثل هذا التوفيق العظيم .

وفي دمشق عندما ذهبت للمرّة الأخيرة إلى المهرجان شاهدت كيف أنّ أواخر الفيلم كانت مؤثّرة على الجميع وكان واضحاً جدّاً أنّ هناك عناية خارجية قد تدخّلت في القضية ، ولذا فإنّني بعد المهرجان مباشرة ذهبت إلى حرم السيّدة رقيّة عليها السلام لأتشكّر منها وأفي بنذري .

بالطبع أنّ أهل السينما والفنّانين لا يعتقدون بمثل هذه الأُمور إلّا أنّه في بعض الأحيان ولكرم أهل البيت عليهم السلام يشمل لطفهم وعناياتهم الجميع وإن كانوا غير لائقين لذلك .

وحقيقة لامست قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1] ورأينا جميعاً تأثير الفيلم على حتّى غير المتديّنين الذين كانت تنقلب أوضاعهم ويتأثّرون بشدّة وكلّ ذلك ببركات وعناية السيّدة رقيّة عليها السلام ومن الكفر والجهالة أن نقول : إنّ هذا التأثير من غيرها .

تعليق لابدّ منه

بعد كلّ هذه الكرامات هل فكّرنا قليلاً في عظمة البركات الجليلة التي أنزلها الله تعالى ببركة السيّدة رقيّة وعمّتها عقيلة الهاشميين السيّدة زينب عليها السلام ومنها حفظ المنطقة

---

(١) سورة الطلاق : ٣.

من اعتداءات الصهاينة في القرون الوسطى والإحالة دون وصول اليهود لمخطّطهم الشيطاني ـ من النيل إلى الفرات ـ في العصر الحاضر ؟ وهل توسّل أحد بقلب محروق بهاتين السيّدتين المقدّستين لنجاة القدس الأسير وخلاصه من يد اليهود الطغاة ؟

فهذا المخرج « سيّد الله داد » الذي توسّل بعزيزة الإمام الحسين عليه السلام شاهد بأُمّ عينيه بركات هذه السيّدة رقيّة عليها السلام يقول : والآن توجّهت كيف يمكن حاجتك من البعض والحال أنّك غير مستحقّ لذلك أصلاً ، ولذا فمن المفترض على جميع المسلمين أن يدركوا أنّ السيّدة رقيّة عليها السلام طفلة صغيرة إلّا أنّها باب عظيم من أبواب الحوائج .

الفصل الثالث عشر

الشام في القرآن والروايات

إنّ من يراجع الآيات والروايات الواردة في مدح الشام خاصّة دمشق يجد لهذه الأرض قداسة عظيمة في الإسلام ، فمن الآيات الواردة في مدح أرض الشام هي قوله تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾(١).

وقد نصّت روايات العامّة والخاصّة على أنّ المراد من الأرض المقدّسة هي بلاد الشام ، فقد نقل المحدّث الجليل الفيض الكاشاني في تفسيره « الصافي » اثر تفسير للآية الكريمة نقلاً عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : الأرض المقدّسة يعني الشام(٢).

أمّا شيخ المفسّرين الطبرسي رحمه الله فقد قال في تفسير الآية : وهي ـ الأرض المقدّسة ـ دمشق ، وفلسطين ، وبعض الأردن .... .

والمقدّسة : المطهّرة ، طهرت من الشرك ، وجعلت مكاناً وقراراً للأنبياء والمؤمنين(٣).

وجاء في بعض الكتب أنّ نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله السلام عندما كان مقيماً في بعض جبال لبنان اشتاق إلى رؤية الأرض المقدّسة ، فأوحى الله عزّوجلّ إليه فقال : اصعد على رأس الجبل وانظر ، فما أدرك نظرك فهو مقدّس ، فنظر فانتهى نظره إلى دمشق وفلسطين والأردن .

---

(١) سورة المائدة : ٢١ .

(٢) راجع مستدرك الوسائل ج١٣ ص٢٩١ ح١٥٣٨٥ .

(٣) مجمع البيان ج٦ ج٣ ص٣٠٨ .

ومن الآيات الكريمة الواردة في مدح الشام أيضاً قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[1] فقد قيل أنّ المراد بقوله: باركنا حوله هي دمشق وفلسطين.

أربعة قصور من الآخرة

أمّا الروايات الشريفة الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام في مدح الشام منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: أربعة من قصور الجنّة في الدنيا: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد بيت المقدس ومسجد الكوفة[2].

وقد وردت العديد من الروايات الشريفة المؤكّدة على كثرة الثواب لكلّ من يصلّي في المسجد الأقصى منها ما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: صلاة في بيت المقدس تعدل ألف صلاة وصلاة في المسجد الأعظم تعدل مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجد القبلة تعدل خمساً وعشرين صلاة، وصلاة في مسجد السوق تعدل اثنتي عشرة صلاة، وصلاة الرجل في بيته تعدل صلاة واحدة[3].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: صلاة في بيت المقدس ألف صلاة، وصلاة في المسجد الأعظم مائة صلاة وصلاة في مسجد القبيلة خمس وعشرون صلاة وصلاة في مسجد السوق إثنا عشر صلاة، وصلاة الرجل في بيته وحده صلاة واحدة[4].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الصلاة في المسجد الحرام مائة الف صلاة، والصلاة في المسجد الأعظم مائة صلاة، والصلاة في مسجد القبيلة خمس وعشرون صلاة، والصلاة في مسجد السوق اثنا عشرة صلاة، وصلاة الرجل وحده في بيته صلاة واحدة[5].

---

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) وسائل الشيعة ج٥ ص٢٨٢ ح٦٥٥٦.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٣٣ ح٧٠٢.

(٤) تهذيب الأحكام ج٣ ص٢٥٣ ح١٨.

(٥) مستدرك الوسائل ج٣ ص٤٣٠ ح٣٩٣٣.

وعن ابن عبّاس أنّه قال: فانطلقوا ـ بنو اسرائيل ـ يؤمّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين وإنّما قدسها لأنّ يعقوب عليه السلام ولد بها وكانت مسكن أبيه إسحاق ويوسف ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين[1].

تقديس الامبراطوريتين للبيت المقدس

عندما انتصر الروم على الفرس استرجع الامبراطور «هراكليوس» البيت المقدس من الملك خسرو خرج الامبراطور «هراكليوس» من الحدود الايرانية حافي القدمين إلى البيت المقدس شكراً لله تعالى لهذا النصر بينما كان الناس ينشرون في طريقه الورود والرياحين[2].

وفي «منتخبات التواريخ» للحصني نقل عن السهيلي أنّه قال: أنّ المراد بـ«باركنا حوله» هي الشام، وأنّ المراد بالشام في اللغة السريانية بمعنى النظيفة، ومن هنا قالوا: أنّ أرض الشام نظيفة مليئة بالخيرات والنعم.

وقيل أيضاً أنّ المراد من قوله تعالى «باركنا فيها» في الآية الكريمة: **﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾**[3] وقوله تعالى: **﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾**[4] هي الشام.

وذكر أبو بكر الخوارزمي فقال: جنّات الدنيا أربع: غوطة دمشق وصفد سمرقند وشعب بوان وايلة البصرة. وأفضلها غوطة دمشق.

وفي روايات العامّة ورد الكثير من المدح لأرض الشام خاصّة دمشق وإن كان

---

(١) بحار الأنوار ج١٣ ص١٧٨ ح٧.

(٢) بيت المقدس وتحويل القبلة تأليف آية الله ميرزا خليل كمرهاى ص٥٣.

(٣) سورة الأنبياء: ٦٩ ـ ٧١.

(٤) سورة الأنبياء: ٨١.

يقوى الظنّ أنّ معظمها قد جعلت من وعّاظ السلاطين ليرضوا رؤوساءهم ويغطّوا جرائمهم أمثال أبي هريرة وضّاع السنّة الشهير الذي روى العديد من الروايات في مدح أرض الشام ، ومنها قوله : أربع مدن من مدن الجنّة : مكّة والمدينة وبيت المقدس والشام .

وروى أيضاً أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ستكون فتن ، قيل : يارسول الله فماذا تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام .

ونحن نتساءل منه قائلين كيف يكون ذلك والحال أنّ الشام منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليوم محلّ للقردة الأمويين بحيث إنّ الإمام الباقر عليه السلام لا يذكر أهل هذه البلادة إلّا واستاء ؟ ففي الحديث أنّه عليه السلام قال : نعم الأرض الشام ، وبئس القوم أهلها ، وبئس البلاد مصر ؛ أما إنّها سجن من سخط الله عليه ، ولم يكن دخول بني اسرائيل إلّا معصية منهم لله . لأنّ الله قال : ﴿ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾[1]، يعني الشام ، فأبوا أن يدخلوها بعد أربعين سنة . قال : وما خروجهم من مصر ودخلوهم الشام إلّا بعد توبتهم ورضا الله عنهم[2].

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام أنّه لمّا بلغ أمير المؤمنين عليه السلام أمر معاوية ، وأنّه في مائة ألف قال : من أي القوم ؟ قالوا : من أهل الشام . قال : لا تقولوا من أهل الشام ، ولكن قولوا من أهل الشؤم ، هم من أبناء مصر ، لعنوا على لسان داود ، فجعل منهم القردة والخنازير[3].

---

(١) سورة المائدة : ٢١ .

(٢) سفينة البحار ج ٤ ص ٣٦١ .

(٣) سفينة البحار ج ٤ ص ٣٦١ .

الفصل الرابع عشر

الآثار التاريخية في الشام

هناك عدّة أُمور جعلت منطقة الشام خاصّة تنال اهتمام الطواغيت الذين أخذوا يتنافسون لبسط قدراتهم عليها منها نقاء هواءها ولطافت الجو وكثرة نعمها وموقعها السياسي الحسّاس فضلاً عن الآثار التاريخية والمشاهد العظيمة والمزارات المباركة، فمن أهم تلك الآثار التاريخية هو:

آثار الشام في عهد الأنبياء عليهم السلام

نقل محمّد أديب الحصني في كتابه «منتخبات التواريخ» عن رحلة ابن بطوطة فقال: قاسيون هو اسم لجبل يقع في شمال دمشق، والصالحية تقع في ساحل هذا الجبل، وهو جبل معروف بالبركة إذ أنّ الأنبياء كانوا يتسلّقون عليه. ومن المشاهد المقدّسة في هذا الجبل هو غار نبي الله إبراهيم عليه السلام الذي ولد فيه وهو غار ضيّق، كما يوجد على الجبل مسجد كبير وصومعة، وقيل إنّ نبي الله إبراهيم عندما كان يشكّك في الآلهة المزيّفة ـ كما هو مذكور في القرآن الكريم ـ إنّما شكّك فيها في هذا الغار.

وفي خلف الغار يقع مقام نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث كان يجلس فيه عندما يخرج من الغار، ناهيك عن «مغارة الدم» التي تقع بالقرب من الغار وعليها صخرة حمراء يقال إنّ قابيل عندما قتل أخيه هابيل أخذ يجرّ جسده إلى هذا الغار فحفظ الله تبارك وتعالى دم هابيل وأبقاه كعبرة على هذه الصخرة.

ويقال إنّ في هذا الغار صلّى نبي الله إبراهيم وموسى وعيسى وأيّوب ولوط عليهم السلام، وفي نفس الغار وعندما يصعد الإنسان بعض الدرجات يوجد مسجد وبعض البيوت والحجر التي كانوا يسكنون فيها.

بالاضافة إلى ذلك هناك كهف فوق الجبل ينسب لنبي الله آدم عليه السلام وله بناء لا بأس به ، وبالأسفل منه يقع « غار الجوع ».

ونقل القزويني وابن الوردي بشكل مختصر عن هذه الآثار فقالا : جبل قاسيون يطلّ على دمشق وفيه آثار الأنبياء فضلاً عن الغارات والكهوف ومنها غار « الدم » الذي نقل أنّ قابيل قتل هابيل فيه ، وهناك صخرة يقال إنّ قابيل هشّم رأس أخيه هابيل بها ، ويوجد أيضاً غار يسمّى بغار الجوع .

ونقل شهاب المينني فقال : يطلّ جبل قاسيون على مدينة دمشق ، وعلى ساحل الجبل هناك مدينة الصالحية وكانت تسمّى قديماً بـ« قرية النخل » أو « قرية الجبل » . وعلى ساحل الجبل هناك قبور لا تحصى للأنبياء والصلحاء وقد اندرس أكثرها ولم يبق منها سوى قبر ذي الكفل عليه السلام .

ومن الآثار التاريخية أيضاً هو الكهف الذي أُشير إليه في القرآن الكريم كما نقل البعض ، إلّا أنّ الأصحّ أنّ هذا الكهف هو كهف طرطوس ، وفي هذا الجبل مقام بعض الصالحين كانوا يتعبّدون ويدعون الله تعالى هناك ، وبالجنب من هذا المقام يوجد « غار الدم » وبالأعلى من هذا المقام هناك مكان يستجاب فيه الدعاء يقال له « المستغاث » يقصده أصحاب الحوائج ويدعون فيه ويتوسّلون .

الآثار التاريخية في عهد الإسلام

١ ـ **المسجد الجامع** : من الأبنية التاريخية في الشام هو مسجد الجامع في دمشق الذي يعدّ من عجائب هذه البلاد .

شيّد هذا المسجد الوليد بن عبدالملك سنة ٨٦ أو ٨٧ أو ٨٨ بعد أن صرف عليه خراج البلاد لمدّة سبع سنين وقد بالغ المؤرخون في الحديث عنه ، فمن كلام لابن بطوطة قال فيه : أنّ مسجد دمشق هو من أكبر مساجد الدنيا من حيث السعة ومن أقواها بناءً وأبدعها جمالاً فهو مسجد عديم النظير ولا شبيه له ، ثمّ أخذ يشرح خصوصيات بناءه

وخال أعمدته ومحرابه وقبّته المسمّاة بالنسر .

وعلى أيّة حال فالإنصاف أنّ المسجد هو في غاية الجمال والدقّة خاصّة أحجار المحراب والمنبر التي تجذب الأنظار وتنال اعجاب كلّ من ينظر إليها .

ففي وسط المسجد هناك قبّة تسمّى بـ « قبّة النسر » فضلاً عن الأعمدة الحجرية الجميلة والتي يصل عددها إلى أربعين عموداً .

وفي القسم الغربي من المسجد يوجد بئر فوقه حوض حجري قد غطّى فم البئر فمن كلام للحموي في معجم البلدان قال فيه : مسجد دمشق ... وكان قد بناه الوليد بن عبدالملك بن مروان ... وكان الابتداء بعمارته في سنة ٨٧، وقيل ٨٨ .

وقال أيضاً : وعمل له أربعة أبواب : في شرقيه باب جيرون ، وفي غربيّه باب البريد ، وفي القبلة باب الزيادة وباب الناطفانيين مقابله وباب الفراديس في دبر القبلة[١].

احتراق المسجد الجامع في دمشق

أشار أحمد غسّان سباكو في كتابه « دمشق في دوائر المعارف العربية والعالمية » ص١١٩ إلى المسجد الجامع في دمشق فقال : لقد صرف من خراج الشام لمدّة سنتين أو أكثر ـ كما في بعض الأقوال ـ في تشييد المسجد الجامع حتّى صار من أجمل المساجد في العالم الإسلامي . وبقي المسجد على ذلك الحال إلى عام ٤٦ ، وفي ذلك العام ـ وكان في عهد الفاطميين ـ اندلع حريق عظيم في المسجد ... وقد احترق المسجد بعد ذلك ما يقارب ست مرّات آخرها كانت سنة ١٣١٠هـ، وكما يشير الكاتب ، أنّ المسجد كان في البداية عبارة عن كنيسة بناها الامبراطور « كليودسيوس »[٢].

أمّا ابن عساكر الذي ألّف ثمانين كتاباً في تاريخ دمشق قال : إنّ أصل المسجد الجامع كان كنيسة للنصارى ، وبعد أن فتح المسلمون الشام أخذوا يصلّون في زاوية منه

---

(١) معجم البلدان ج٢ ص٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

(٢) مراقد أهل البيت عليهم السلام ص١٤ .

بينما كان النصارى يصلّون في القسم البقيّة إلى أن استولى الوليد بن عبدالملك بن مروان على البقية وصار المسجد كلّه للمسلمين(١).

وقد وصف صاحب كتاب « زيارات الشام » مسجد الجامع في دمشق، ومن ضمن الأُمور التي أشار إليها في كتابه هي « صخرة القربان » فقال: بالقرب من « باب الساعات » صخرة كبيرة كانوا يجعلون القرابين عليها.

ومن كلام لابن عساكر في تاريخه قال فيه: كانوا يجعلون القربان على الصخرة فإذا كان مقبولاً فإنّ النار تنزل من السماء وتحرقه، أمّا إذا لم يكن مقبولاً فيبقى على حاله(٢)، وقد ذكر ياقوت الحموي صاحب كتاب « معجم البلدان » هذا الكلام أيضاً.

ومن كلام لابن عساكر أيضاً في هذا المقام قال فيه: أنّ مسجد علي بن الحسين عليهما السلام معروف في مسجد الجامع وكان عليه السلام يصلّي في القسم الشمالي الشرقي من المسجد في كلّ يوم وليلة ألف ركعة(٣).

باحة المسجد

إنّ مساحة باحة المسجد في العصر الراهن تسع ١٥٣٢ متر مربع، وفي هذه الباحة يوجد ٤٤ عموداً وبناء مكوّن من طبقتين، وتنقسم هذه الباحة إلى ثلاثة أقسام في القسم المتوسّط منها هناك قبّة كبيرة تسمّى بـ« العقاب ».

وهناك منبر داخل المسجد مشهور بأنّ الإمام السجّاد عليه السلام ارتقاه وخطب الناس خطبته المعروفة عندما أُدخلوا على الطاغية يزيد بن معاوية، وفي الناحية الأُخرى من المسجد توجد قبّة صغيرة تعتمد على أربعة أعمدة ويعرف هذا المكان بمقام الإمام زين العابدين عليه السلام حيث نقل إنّه عليه السلام كان يستريح في هذا المكان.

---

(١) مهذّب تاريخ دمشق لابن عساكر ج١.

(٢) مهذّب تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ ص١٩٧.

(٣) مراقد أهل البيت في الشام ص٧ ـ ١٥.

وإلى جنب المسجد المذكور ـ في الجهة الشرقية منه ـ يقع مقام رأس الإمام الحسين عليه السلام ـ وهو موضع زيارة يقصده الشيعة الموالون والمحبّون من شتّى أطراف العالم[١].

مقامات الأنبياء

١ ـ مقام رأس نبي الله يحيى عليه السلام : وفي هذا المسجد يوجد مقام رأس نبي الله يحيى عليه السلام ، أمّا موضع جسده الشريف كما في « منتخبات التواريخ » فهو في مسجد القلب في الزبداني وهي إحدى مدن سوريا .

ونقل صاحب « منتخبات التواريخ » أيضاً عن زيد بن واقد أنّه قال : عندما أرادوا بناء المسجد شاهدت رأس نبي الله يحيى عليه السلام أخرجوه من تحت أحد أركان القبّة وكانت محاسن الرأس الشريف بما فيها الشعر لم تتغيّر أصلاً .

وقال زيد بن واقد أيضاً : كنت مشرفاً على العمّال من قبل الوليد أيّام تشيّد المسجد ، وفجأة عثرنا على غار فنقلنا الخبر إلى الوليد وكان الوقت ليلاً فأخذوا الشموع أمامه ودخل الغار فوجدنا آثار إحدى الكنائس ومعها مصلّى صغيرين لعلّ مساحتهما ثلاث أذرع في ثلاثة أذرع ، وفي هذه الكنيسة يوجد صندوق صغير فتحه الوليد فوجد رأس نبي الله يحيى عليه السلام وقد وضع في سلّة وجعلت داخل الصندوق وكتب على السلّة : « هذا رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام » فأمر الوليد أن يرجع الرأس الشريف مكانه ويبنو فوق عموداً يتميّز عن بقيّة الأعمدة[٢].

ولا يخفى أنّ القرآن أشار إلى هذا العبد الصالح في بداية سورة مريم حيث قال

---

(١) شام سرزمين خاطرهها ص٦٣ .

(٢) من أراد الاطّلاع أكثر فليراجع كتاب مراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام تأليف آية الله السيّد أحمد الفهري الزنجاني .

تعالى : ﴿كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ...﴾ (١) الخ ، وقد أُوتي هذا العظيم النبوّة في طفولته فقال عزّ من قائل : ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ (٢) ، وكان لنبي الله يحيى عند الله عزّوجلّ مقام عظيم ، وكما يشير الإمام الباقر عليه السلام في « الكافي » أنّه كلّما ذكر الله تعالى أجابه بـ« لبّيك يا يحيى » (٣).

وقد بكى هذا النبي عليه السلام من خشية الله تعالى إلى أن تساقط لحم وجهه فكان يضع القماش على وجهه حتّى لا تؤذيه الدموع إذا بكى (٤).

وبالاضافة إلى مرقد رأس نبي الله يحيى هناك الكثير من قبور الأنبياء في مسجد الشام ، وكما نقل صاحب « منتخب التواريخ » عن مؤلّف « روضة الأنام » أنّه قال : إنّ قبر نبي الله هود عليه السلام في الحائط الجنوبي من المسجد الجامع في مقابل مقام رأس نبي الله يحيى عليه السلام إلاّ أنّه ليس له علامة ظاهرة تدلّ عليه وقد ذكر الكثير من مؤرخين الشام ذلك .

٢ ـ قبر نبي الله هود عليه السلام : نقل الهروي أيضاً في « الاشارات » أنّ قبر نبي الله هود عليه السلام في حائط في جهة قبلة المسجد ، وحسب قول البعض أنّ هناك حجراً بالقرب من قبره مكتوب عيه : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ (٥) أنا هود بن الجلود ابن عاد بن عوص بن سام بن نوح ، جئتهم بالرسالة وبقيت فيهم مدّة عمر فكذّبوني فأخذهم الله بالريح العظيم (٦).

٣ ـ مقام الخضر عليه السلام :

كان نبي الله الخضر عليه السلام يصلّي دائماً في هذا المسجد ، وهو يقع من الجهة الشرقية

---

(١) سورة مريم : ١ .

(٢) سورة مريم : ١٢ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٥٣٤ ح ٣٨ .

(٤) للاطّلاع على المطلب أكثر راجع مراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام .

(٥) سورة الإسراء : ٢٣ .

(٦) مراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام ص ٢٤ .

للقبلة بالقرب من المنارة الشرقية.

أمّا الآن فهو يقع بالقرب من المحراب الأصلي للمسجد موازياً لمقام نبي الله هود عليه السلام وقد كتب على جدار القبلة: «هذا مقام خضر النبي عليه السلام».

وكما في الأخبار الشريفة أنّ نبي الله الخضر عليه السلام سيبقى حيّاً إلى عصر ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف ثمّ يظهر ويقتدي هو وجماعته بالإمام الحجّة عليه السلام ويصلّون خلفه.

٤ ـ مكان نزول نبي الله عيسى عليه السلام: ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام ينزل بالجنب من المنارة الشرقية في دمشق ـ أي في المسجد الجامع ـ يوجد حجر كان نبي الله موسى عليه السلام قد ضربه بعصاه فانفجرت عنه اثنتا عشرة عيناً[١].

مراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام

١ ـ حرم السيّدة زينب عليها السلام:

تفيد الدلائل الكثيرة أنّ القبر الموجود في الجنوب الشرقي من العاصمة السورية والذي عمّر في السنوات الأخيرة وأُعيدت توسعته من جديد هو قبر عقيلة الهاشميين السيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام إلّا أنّ البعض من الأعلام ذهبوا أنّ القبر الموجود في الغوطة هو قبر «أُمّ كلثوم»، كما ذهب البعض الآخر أنّه قبر للسيّدة زينب عليها السلام.

ولكي يتّضح المطلب فإنّ أقوال المؤرخين حول القبر الموجود في سوريا اليوم هي:

١ ـ قبر السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام.

٢ ـ قبر السيّدة زينب وكنيتها أُمّ كلثوم وأضافوا بأنّها بنت السيّدة الزهراء عليها السلام.

---

(١) تاريخ الأماكن السياحية في سوريا ص ٩٢ ـ ٩٣، ومراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام ص ٢٤.

٣ ـ قبر السيّدة زينب الصغرى عليها السلام ، كنّاه بأُمّ كلثوم زوجة محمّد بن عقيل وكانت أُمّها جارية .

٤ ـ ذهب عدّة من الشيعة والسنّة أنّ القبر هو للسيّدة زينب الكبرى بنت الإمام علي عليه السلام ووالدتها الصدّيقة فاطمة عليها أفضل الصلاة والسلام .

ويمكن الجمع بين الأقوال أنّ السيّدة زينب عليها السلام الموجودة في سوريا تكنّى بأُمّ كلثوم فينتفي التنافي بين القول الأوّل والثاني والرابع ، ومع الالتفات أنّ القول الثالث لا دليل تاريخي معتبر له ، فيكون القبر للسيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام والصدّيقة الزهراء عليها السلام .

أمّا كيف جاءت هذه السيّدة الجليلة إلى الشام ولماذا ؟ وأيّهما أصحّ أنّها سافرت إلى سوريا مع زوجها عبدالله بن جعفر في إحدى السنين المجدبة أم أنّها هاجرت من المدينة أيّام واقعة الحرّة الأليمة عندما أباح يزيد اللعين المدينة المنوّرة ؟

فهذا وللأسف الشديد ما لم يتطرّق إليه التاريخ ، نعم كتب بعض المتأخرين حول سفر العقيلة إلّا أنّهم لم يعتمدوا في ذلك على مصادر تاريخية .

فقد نقل أنّ الحافظ شمس الدين محمّد بن طولون الدمشقي المتوفّى سنة ٩٥٢هـ ذكر في كتابه حول حياة السيّدة زينب عليها السلام أنّها سافرت إلى الشام أيّام واقعة الحرّة سنة ٦٢هـ.

أمّا العلّامة الأمين رحمه الله فقد نقل عن كتاب « تحيّة أهل القبور بالمأثور » أنّها عليها السلام سافرت في عهد عبدالملك بن مروان سنة القحط ليتفقّد عبدالله بن جعفر مزارعه التي في الشام ، فماتت العقيلة ودفنت في ذلك المكان .

وكتب اعتماد الدولة أيضاً في كتابه « خيرات الحسان » حول ذلك فقال : أمّا قبر السيّدة زينب عليها السلام ـ أصحّ الروايات ـ فهو في إحدى قرى الشام ، فلمّا أصابت المجاعة أهل المدينة أخذ عبدالله بن جعفر أهله إلى الشام ، وفي أثناء توقّفه في إحدى القرى ـ

والتي قبر السيّدة موجود فيه اليوم ـ استمرضت العقيلة وماتت ودفنت في نفس القرية[١].

ميلاد السيّدة زينب

فتحت العقيلة زينب عينيها المباركتين في المدينة المنوّرة في الخامس من جمادى الأُولى السنة الخامسة أو السادسة للهجرة، وحينما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بولادتها جاء إلى منزل الصدّيقة الزهراء عليها السلام وقال: ايتوني بالمولودة لأراها، فجاءته الصدّيقة عليها السلام بها فأخذها في حضنه وهو ينظر إليها ودموعه تنحدر على خدّيه، فتوجّهت الصدّيقة الزهراء عليها السلام إلى ذلك وهاج بها الحزن بها وقالت: ممّا بكاءك ياأبة ؟! قال صلى الله عليه وآله: إنّ بكائي لما يجري على هذه الطفلة بعدنا من المصائب.

فقد عرضت عليّ مصائب كربلاء وما يجري على ابنتي هذه يوم عاشوراء بعد قتل أخيها الحسين عليه السلام وكيف أنّها ستصبر على قضاء الله تعالى وقدره، ثمّ مكث رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر إليها مليّاً ويبكي مدّة إلى أن قال صلى الله عليه وآله ما مضمونه: يافاطمة ! كلّ من بكى لمصائب زينب ينال ثواب من بكى على الحسن والحسين عليهما السلام.

الاسم المبارك

جرياً على العادة، فإنّ أمير المؤمنين والصدّيقة الزهراء عليهما السلام لم يكونا يسبقا رسول الله صلى الله عليه وآله في تسمية أبناءهما، ولذا فإنّهما عند تسمية عقيلة الهاشميين بقيا ينتظران رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان ينتظر السماء ماذا تسمّيهم.

وعندما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله عليهما الدار هبط الأمين جبرئيل عليه السلام وأشار عليه أن يسمّيها بـ« زينب » وبالطبع فإنّ لأمير المؤمنين بنتين بهذا الإسم إحداهما زينب الكبرى والأُخرى زينب الصغرى، أمّا كنيتها عليها السلام فهي أُمّ الحسن، وفي بعض الأخبار أنّ كنيتها أُمّ كلثوم.

وكانت عليها السلام تلقّب بـ« العقيلة » و « عقيلة بني هاشم » و « عقيلة الطالبيين »،

---

(١) شام سرزمين خاطرهها تأليف مهدي پيشوايى ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

والعقيلة هي التي تكون عزيزة جدّاً في قبيلتها .

كما أنّ لها ألقاباً أُخرى منها : الموثّقة ، العارفة ، العالمة غير المعلّمة ، الفاضلة ، الكاملة ، عابدة آل علي ، والمحدّثة ، وبطلة كربلاء .

ويكفيها فضلاً أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قال في حقّها : أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهيمة غير مفهّمة .

الرؤيا العجيبة

نقل مؤلّف « طراز المذهب » فقال : في أواخر عمر النبي صلى الله عليه وآله جاءته العقيلة زينب عليها السلام وقالت : ياجدّاه : رأيت في الرؤيا عاصفة شديدة جعلت الدنيا ظلماء ومن شدّة العاصفة لذت بشجرة كبيرة وفجأة إذا بالريح تقلع الغصن الذي كنت متمسّكة به فلذت بغصن آخر فاقتلع هو الآخر فلذت بالثالث ثمّ الرابع فاستيقظت من النوم فزعة مرعوبة .

فالتفت الرسول صلى الله عليه وآله إليها ودموعه الشريفة تجري على محاسنه وقال : إنّ الشجرة الكبيرة أنا وعمّا قليل أُفارقكم ، والغصن الأوّل هو أُمّك فاطمة عليها السلام ، والغصن الثاني هو أبيك علي عليه السلام والغصنين الآخرين هما الحسنان عليهما السلام وبفقدهما تظلمّ الدنيا[1].

عبادة السيّدة زينب عليها السلام

لقد ورثت السيّدة زينب في العبادة أُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام ، فكما أنّ الصدّيقة فاطمة عليها السلام كانت تقوم الليل كلّه بالعبادة والتهجّد وتلاوة القرآن ، كذلك هي العقيلة زينب عليها السلام ،كانت تقوم الليل كلّه ولذلك قال لها سيّد الشهداء عليه السلام : ياأُختاه لا تنسيني في نافلة الليل[2].

وكما نقل بعض الأعلام : أنّ السيّدة زينب عليها السلام لم تترك قيام الليل طيلة عمرها

---

(١) حضرة زينب كبرى تأليف محمد مقيمى ص٤٩ .

(٢) الخصائص الزينبية ص١٠٥ .

المبارك حتّى في ليلة الحادي عشر عندما رأت تلك المصائب التي تجعل رأس الطفل شيباً كانت تصلّي من جلوس وإلى ذلك يشير الإمام السجّاد عليه السلام فيقول : إنّ عمّتي زينب لم تترك صلاة الليل رغم شدّة تعبها ، وقد رأيتها في أحد المنازل تصلّي صلاة الليل من جلوس ، ولمّا سألتها عن ذلك قالت : منذ ثلاثة أيّام وأنا أُقدّم طعامي إلى الأطفال ولشدّة الجوع عجزت عن الصلاة من قيام .

نعم ، فلولا جهاد السيّدة زينب في كربلاء والكوفة والشام لم يبق من الإسلام إلّا اسمه ومن الدين إلّا رسمه .

زهد السيّدة زينب عليها السلام

لقد بلغت السيّدة زينب عليها السلام درجة في التسليم والرضا بقضاء الله تعالى أنّها عافت العزّ والجاه الذي كان في بيت زوجها وخرجت إلى كربلاء ـ بعد إذن زوجها طبعاً ـ لتنصر دين الله تعالى وتؤازر إمام زمانها سيّد الشهداء عليه السلام الذي خرج لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي واقع الأمر إنّ هذا هو قمّة الزهد ، حيث يتخلّى الإنسان عن كلّ شيء ويخرج من أجل نصرة الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض[١] .

مجلس العقيلة في الكوفة

ذكر الجزائري فقال : عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة كانت العقيلة زينب عليها السلام تفسّر لنساء الكوفة القرآن الكريم في بيتها .

وفي أحد الأيّام كانت تفسّر قوله تهالى « كهيعص »[٢] فدخل أمير المؤمنين عليه السلام الدار وقال : سمعتك تفسّرين قوله « كهيعص » قالت : نعم ياأبتاه ، قال : أما أنّها رموز للمصائب التي تنزل بكم آل الرسول صلى الله عليه وآله ثمّ أخذ يعدّد لها المصائب التي ستنزل بهم يوم

---

(١) رياحين الشريعة ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) سورة مريم : ١ .

عاشوراء فارتفع صوت العقيلة بالبكاء والأنين(١).

جود السيّدة زينب عليها السلام

سأل أحد المحتاجين أمير المؤمنين عليه السلام أن يساعده ، فذهب الإمام علي عليه السلام إلى بيته وقال للصدّيقة الزهراء عليها السلام : هل لدينا طعام نعطيه لهذا المحتاج ؟ قالت عليها السلام : ليس لدينا إلّا قرصاً واحداً من خبز الشعير وهو للسيّدة زينب عليها السلام ، آنذاك التفت عقيلة الهاشميين إلى الصدّيقة فاطمة عليها السلام وقالت : اعطي الخبز للمحتاج وأنا أصبر على الجوع .

وقد بلغ من شدّة جود وكرم هذه المرأة العظيمة أنّها أنفقت كلّ ما تملك وضحّت بنفسها من أجل إعلاء كلمة الحقّ وهذا قمّة الجود والسخاء(٢).

ولا غرابة في ذلك ، فإنّ الطفلة التي لا يتجاوز عمرها الخمس سنوات تكون بهذه الكيفية من الكرم بالطبع إنّها تضحّي من أجل العقيدة الإسلامية كلّ هذه التضحيات العظيمة .

استجابة دعاءها

من كلام لميرزا محمّد تقي سپهر في « ناسخ التواريخ » قال فيه : إنّ جلاوزة يزيد أدخلوا أهل البيت عليهم السلام من دروازة الساعات وهو أبعد الطرق إلى قصر يزيد في الشام .

وقبل أن يدخلوهم الشام أمروا الناس أن يزيّنوا المدينة وتعطّل الأسواق وتخرج المغنّيات في الشوارع ومعهنّ الطبول والمزامير ، وقد أمر يزيد أن يرفعوا مئة وعشرين علماً ويبارك الناس بعضهم بعضاً فرحاً بهذا العيد المشؤوم .

ففي الخبر عن أبي مخنف : أنّهم مرّوا بأهل البيت عليهم السلام على قصر لعجوزة تدعى أُمّ الحجّام ، وقد كانت جالسة مع أربع نساء ، ولمّا رأت العجوزة رأس سيّد الشهداء عليه السلام وهو يسطع نوراً ضربته بحجر فسالت الدماء الزاكية من جبينه .

---

(١) الخصائص الزينبية ص٢٧ ، رياحين الشريعة ج٣ ص٢٧ .

(٢) رياحين الشريعة ج٣ ص٦٤ .

آنذاك ضجّت العلويات بالبكاء والعويل خاصّة العقيلة زينب عليها السلام التي زادها المنظر همّاً فوق همّها فرفعت يديها المباركتين نحو السماء ودعت الله بقلب حزين وقالت : اللهمّ خرّب قصرها وأحرقها بنار الدنيا قبل نار الآخرة .

يقول الراوي : أُقسم بالله ، ما أن دعت العقيلة بهذا الدعاء إذا بالقصر يلتهب ناراً يحترق حتّى صار رماداً ثمّ هبّت ريح عاصفة وذرته الرماد في كلّ مكان بحيث إنّه لا يمكن إعادة تشييده أبداً .

خطبة العقيلة عليها السلام في الشام

يقول مؤلّف « بحر المصائب » : حينما مرّوا بالعقيلة زينب عليها السلام في أسواق الشام يقدمها الرأس الشريف والناس ينظرون إليها فرحين مسرورين يضربون الطبول والمزامير فرحاً بهذا العيد كان الرأس الشريف بين الفترة والأُخرى يقول : لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم .

في ذلك الحال وبينما كان الناس يستهزؤون بأهل البيت عليهم السلام توجّهت عقيلة الهاشميين عليها السلام إلى رأس أخيها المظلوم عليه السلام وقالت : ياأخاه ! انظر إلينا ولا تغمض عينيك عنّا ونحن بين العدى .

فالتفت الرأس الشريف إليها وقال : ياأُختاه اصبري ، فإنّ الله تعالى معنا .

ولذلك فإنّ السيّدة زينب عليها السلام لم تتحمّل جسارة القوم على الله تعالى فالتفت إليهم وقالت : أيّتها الأُمّة المشؤومة ، تقتلون ابن نبيّكم وسيّد شباب أهل الجنّة وتطوفون بأهله وعياله في أسواقكم فرحين بذلك ؟! لا أنالكم الله رحمته وسخط عليكم

بعض كرامات السيّدة زينب عليها السلام

بداية وقبل كلّ شيء ينبغي الالتفات أنّ أصل وجود السيّدة زينب عليها السلام هو كرامة من الله تعالى ، فهي فرع من تلك الشجرة الطيّبة التي مدحها الله تعالى فقال : ﴿**أَصْلُهَا ثَابِتٌ**

﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

من جانب آخر فإنّ حياة هذه السيّدة الجليلة شاهد حقّ على كراماتها العظيمة ، ومع ذلك فإنّنا سنذكر بعض كراماتها ليعتبر منها الموالون ويتّعظ بها كلّ من كان له عقل سليم .

أمّا الكرامات فهي :

١ ـ نفس قصّة العجوزة الذي ذكرناها هي شاهد صدق على كرامة السيّدة زينب عليها السلام .

٢ ـ قصّة جبل الجوشن الذي كان من النحاس وسقوط الطفل محسن المذكورة في التاريخ .

٣ ـ تصرّفها عليها السلام في النفوس عندما خطبت خطبتها في سوق الكوفة ، بل وتصرّفها في الجمادات كما نقلوا إذ أنّها عليها السلام لمّا أشارت على القوم أن اسكتوا هدأت الأنفاس وسكنت الأجراس .

٤ ـ علمها اللدنيّ الذي أشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام فقال : عمّة ! أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة .

٥ ـ إجابة دعاءها في حقّ ذلك الرجل الذي قال ليزيد الطاغية هب لي هذه الطفلة ـ أي سكينة ـ .

٦ ـ كيفية ولادتها عليها السلام .

٧ ـ قصّة طبخ الحلوى المذكورة في الكتب .

٨ ـ إخبارها عليها السلام ببقاء ذكر أهل البيت عليهم السلام وسرعة زوال سلطنة بني أُميّة في مجلس يزيد الطاغية حينما خطبت خطبتها المعروفة والتي تعدّ في حدّ ذاتها كرامة لها .

٩ ـ قصّة « فضّة والأسد » المذكورة في فروع الكافي وبحار الأنوار وغيرها من

---

(١) سورة إبراهيم : ٢٤ .

الكتب[١].

١٠ ـ استجابة دعاءها حينما دعت على ذلك الرجل إثر حرقهم للخيام .

١١ ـ رؤيتها للرسول ﷺ وجبرئيل وادي كربلاء .

فقد ذكر الشيخ جعفر النقدي في كتاب السيّدة زينب نقلاً عن رواية في البحار عن الإمام الصادق عليه‌السلام أنّ السيّدة زينب عليها‌السلام لمّا جاءت إلى مصرع سيّد الشهداء عليه‌السلام ظهر عاشوراء رأت جدّها رسول الله ﷺ وخاطبت عسكر بن سعد قائلة : الويل لكم ألا ترون رسول الله ﷺ كيف يبكي لهذه المصيبة ؟!

فإذا دعا عليكم لابتلعتكم الأرض ولهلكتم ، إلّا أنّهم لم يعتنوا بكلامها .

١٢ ـ نقل العلّامة النوري في « دار السلام » الكرامة التالية للسيّدة زينب وهي : حدّثني السيّد السند والحبر المعتمد العالم العامل وقدوة أرباب الفضائل البحر الزاخر عمدة العلماء الراسخين السيّد محمّد باقر السلطان آبادي نفع الله به الحاضر والبادي ، قال : عرض لي في أيّام اشتغالي ببروجرد مرض شديد ، فانتقلت إلى وطني فساعدت الحركة المرض ، فزاد وانصبت المواد إلى عيني اليسرى فصار بها رمد شديد وبياض ، واشتدّ به الوجع ، فمنعني الرقاد فجمع والدي العليم ما كان في بلدتنا من الأطباء ، فقال بعضهم : لابدّ له من شرب الدواء مقدار ستّة أشهر لعلّ عينه تعود صحيحة وقال بعضهم : يكفي في أربعين يوماً ، فضاق خلقي وكثر همّي من سماع كلماتهم لكثرة ما شربت من الدواء في تلك المدّة ، وكان لي أخ صالح تقي أراد السفر إلى المشاهد العظيمة ، وزيارة سادات البرية ، فهاج شوقي وقلت : أُصاحبك في الطريق لعلّي امسح عيني بعتبة من تربته شفاء من كلّ داء ، وفرج من كلّ ضيق ، فقال : وأنت في هذا المرض والوجع لا يمكنك الحركة وسمع بذلك الأطباء فقال بعضهم : يصير عمياء في المنزل الثاني ، وقال بعضهم : يعمى ولمّا يبلغ أوّل منازله ، فمنعوني فقصدت مشايعته في الظاهر ، فسافرت معه إلى

(١) راجع بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٩ ح ١٧ .

المنزل الأوّل ، وكان هناك رجل من الصلحاء الأخيار ، فلمّا سمع حكايتي حرّضني على المسير وقال : لا شفاء إلّا عند خلفاء الإله الكبير : فإنّي كنت مبتلى بوجع في القلب في مدّة تسع سنين وكلّت الأطباء عن تداويه فزرت أبا عبدالله الحسين عليه السلام فشفاني بحمد الله من غير تعب ومشقّة ، فلا تصغ إلى خرافات الأطباء وزر متوكّلاً بخالق البرايا ، فعزمت على المسير فلمّا بلغنا المنزل الثاني وجنّ الليل اشتدّ الوجع ، فطالت ألسنة العذّال وقالوا جميعاً : إمّا أن ترجع أو نترك السفر على كلّ حال ؟ فقلت : عند الصباح تنكشف الأحوال ، فلمّا كان وقت السحر وسكن الوجع قليلاً ، رقدت فرأيت الصدّيقة الصغرى زينب الكبرى بنت إمام الأتقياء عليه آلاف التحية والثناء ، قد دخلت عليَّ وأخذت بطرف مقنعة كانت في رأسها ، وأدخلته في عيني ومسحتها به ، فانتبهت فلم أر في عيني وجعاً .

فلمّا أصبحنا قلت لأصحابي : لا أجد وجعاً فلا تمنعوني من المسير ، فحملوا كلامي أوّلاً على الحيلة ، فحلفت لهم ، فسرنا فلمّا مشينا بعض النهار عمدت إلى عيني فكشفت عنها الخرق التي كانت مشدودة عليها مذ خرجت من البلد ، ونظرت إلى التلال والجبال ، فلم أر فرقاً بينها وبين الأُخرى ، فقلت لبعض أصحابي : ادن منّي وانظر إلى عيني ، فنظر وقال : سبحان الله ليس فيها رمد ولا بياض ولا أثر من المرض ، ولا تفاوت بين العينين ، فوقفت وناديت جميع الزوّار وأخبرتهم بالرؤيا وكرامة الصدّيقة الصغرى ، ففرحوا واستبشروا وبعثوا بالخبر إلى الوالد وأهل البلد ، فقرّت عيونهم واطمأنّت قلوبهم ، وحدّثني بتلك الكرامة شيخنا الجليل النبيل والعالم الذي عدم له النظير والبديل المولى فتح علي السلطان آبادي الذي يأتي الاشارة إلى شطر من مناقبه ، وقال : كنت وقتئذ في سلطان آباد وشاهدت ما ذكره .

١٣ ـ كتب الحاج محمّد تقي صادق إحدى الكرامات التي ذكرها صاحب كتاب « التوسّلات » وهي كالتالي : فبعد التحية والسلام على الشيعة الموالين في كلّ مكان قال : أنقل لكم كرامة من كرامات عقيلة الهاشميين السيّدة زينب عليها السلام التي اصطفاها الله تعالى على الأُمّة .

أمّا تفاصيل القضيّة فهي كالتالي :

ابتليت الأُخت المؤمنة فوزية زيدان[١] وهي من أهل جبل عامل في قرية جوية بألم شديد في قدميها وقد أُجريت له العديد من العمليات الجراحية ولكن دون جدوى حتّى بلغ بها الحال أنّها لا تستطيع تحريك قدميها وصارت تمشي جالسة وبمساعدة يديها وقد بقيت ٢٥ سنة جليسة الدار صابرة .

وفي إحدى السنين حينما أقبل شهر محرّم الحرام نفذ صبرها وعجزت من نفسها فطلبت من أهلها أن يأخذوها إلى سوريا لزيارة السيّدة زينب عليها السلام لتتوسّل بها وتأخذ شفاءها منها ، إلّا أنّهم رفضوا ذلك وقالوا : ليس من الجيّد أن نأخذك إلى حرم السيّدة زينب عليها السلام وأنت على حالك هذه ، وإذا كانت العقيلة زينب عليها السلام تريد شفاءك لشفتك وأنت في بيتك .

وكلّما أصرّت فوزية عليهم أن يأخذوها إلى سوريا لم يقبلوا فاضطرّت أن تستسلم لهم وتصبر على علّتها .

وفي أحد أيّام شهر محرّم أقام أحد جيرانهم مجلساً لسيّد الشهداء عليه السلام في منزله ، فذهبت فوزية على حالتها المؤلمة متكئة على يديها واستمعت إلى القارئ وشاركت المستمعين البكاء والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام ثمّ رجعت طبق الحالة السابقة إلى المنزل فصلّت الفريضة وخلدت إلى النوم بحالتها المنكسرة ودموعها الجارية لمصاب أهل البيت عليهم السلام .

ولمّا قرب الصباح استيقظت فوزية لتصلّي صلاة الصبح فتوجّهت أنّ الفجر لم يطلع فبقيت تنظر الفجر ، وفيما هي كذلك إذا بها تحسّ أنّ شخصاً قد أخذ بعضدها ويقول : قومي يافوزية .. قومي .. وما أن سمعت فوزية هذا الكلام قامت بمساعدة ذلك الشخص

---

(١) لقد حازت هذه المرأة على عناية السيّدة زينب بعد ٢٥ سنة من المعاناة والآلام التي كانت تعانيها من قدميها . وقد كتبت الصحف قضيّتها مفصّلاً ومنها الصحف التالية السياسة المساء ، الهدى وغيرها .

على قدميها فرحة مسرورة ، ثمّ التفتت يميناً وشمالاً فلم تجد أحداً ، فتوجّهت إلى والدتها التي كانت نائمة معها في الغرفة وقالت : الله أكبر ولا إله إلّا الله والله أكبر ، فاستيقظت الوالدة ولمّا رأتها على ذلك الحال ذهلت واندهشت ، ثمّ خرجت فوزية خارج المنزل وهي تقول : الله أكبر ولا إله إلّا الله والله أكبر فسمع أخواتها صوتها وخرجوا خلفها ولمّا شاهدوها رفعوا أصواتهم بالصلوات فبلغ الخبر إلى الجيران فاجتمعوا حول دارهم وأخذوا يكبّرون ويهلّلون ، وشيئاً فشيئاً انتشر الخبر في كلّ القرية بل وإلى القرى والمدن المجاورة وأقبل العديد من الناس ليشاهدوها ويتبرّكوا بها حتّى صار منزلهم محطّ للزوّار ، فسلام الله عليك ياعقيلة بني هاشم يوم ولدت ويوم استشهدت مظلومة ويوم تبعثين حيّة .

شفاء طفلة هندية

نقل في بعض الكتب : أنّ المتولّي باشا عندما أعاد بناء حرم عقيلة الهاشميين عليها السلام في الشام أخذ الناس يقدّمون إليه النذورات من كلّ مكان وبالمقابل فإنّه كان يعطيهم الوصولات .

وفي أحد الأيّام دخل أحد الهنود الحرم الشريف وتوسّل بالسيّدة زينب عليها السلام وطلب منها أن تقض حاجته وقال : سيّدتي أُعاهدك من الآن أُقدّم لحرمك ضريحاً مرصّعاً بالجواهر إذا قضيتي حاجتي على أن تتجاوز قيمة الضريح المليون دينار ... قال ذلك ثمّ خرج من الحرم الشريف إلى بيروت .

ولم تنقض مدّة طويلة إذا به يبعث رسالة إلى المتولّي باشا جاء فيها : لقد أمرت بعض المتخصّصين أن يعدّوا ضريحاً مرصّعاً بالجواهر ، وفي اليوم « الفلاني » سنأتي به حسب المراسم الخاصّة إلى سوريا فعليك أن تقيم بهذه المناسبة مجلساً مجلّلاً وسأدفع أنا كلّ تكاليفه .

وبالفعل ففي نفس اليوم الموعود جاءوا بالضريح المقدّس حسب التشريفات الهندية بعد أن خطب فيهم أحدهم خطبة عجيبة قال فيها : إنّ لي ابنة مريضة قد شلّت

قداماها منذ سنين طويلة، وعلى الرغم إنّني سخّرت ثروتي العظيمة كلّها من أجل شفاءها إلّا أنّني لم أصل إلى نتيجة أصلاً حتّى أتيت إلى زيارة السيّدة زينب عليها السلام وتوسّلت بها ونذرت لها بأن إذا شافت ابنتي أُهدي لحرمها ضريحاً مرصّعاً بالجواهر.

ولمّا رجعت إلى بيروت وجدت أنّهم بعثوا لي رسالة يخبروني بشفاء ابنتي من مرضها فبعثت لكم الرسالة أُبشّركم بشفاءها ولذا فقد سافرت إلى بلدي وشاهدت كيف شافت عقيلة الطالبيين عليها السلام ابنتي فتشيّعت بسبب هذه الكرامة وتشيّع معي الكثير من الناس[1].

بكاء الإمام الحجّة لمصيبة عمّته

نقل الحاج ملّا علي السلطان علي الخطيب التبريزي الذي يعدّ من العبّاد والزهّاد فقال: رأيت في المنام إمام العصر والزمان عليه السلام وقلت له: سيّدي إنّ ما نسب إليك في الزيارة الناحية أنّك قلت: فلأندبنّك صباحاً ومساءً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً صحيح؟!

قال: نعم. قلت: سيّدي ما هي المصيبة التي جعلتك تبكي بدل الدمع دماً؟! فهل هي مصيبة علي الأكبر؟ قال: لا، فلو كان علي الأكبر حي لبكى هو أيضاً لتلك المصيبة دماً. قلت: سيّدي ألمصيبة عمّك العبّاس تبكي دماً؟ قال: لا، لو كان عمّي العبّاس لبكى لتلك المصيبة دماً.

قلت: حتماً إنّها مصيبة جدّك الحسين عليه السلام هي التي جعلتك تبكي دماً؟! قال: لا، ولو كان جدّي سيّد الشهداء عليه السلام حيّاً لبكى من أجل تلك المصيبة دماً. قلت: ما هي تلك المصيبة التي جعلتك تبكي دماً؟! قال: إنّها مصيبة عمّتي زينب عليها السلام[2].

---

(١) مجموعة أنوار علمى معصومين عليهم السلام ص٦٥ تأليف الشيخ علي الفلسفي.

(٢) شيفتگان حضرة مهدى عليه السلام تأليف الشيخ قاضي زاهدي ص١٤٥ نقلاً عن العبقري الحسان للمرحوم النهاوندي.

مقام السيّدة زينب عليها السلام

نقل آية الله الميرزا أحمد السيبويه الساكن في طهران عن سماحة الشيخ حسين السامرائي الذي كان من الخطباء المتّقين في العراق أنّه قال : في إحدى سفراتي إلى مدينة سامراء وكان يوم الجمعة ذهبت قريب الغروب إلى سرداب الغيبة فوجدته خالياً لا أحد فيه ، وفيما أنا أتوسّل بإمام العصر والزمان عليه السلام أخذتني حالة من الروحانية العجيبة وإذا بي أسمع صوتاً من خلفي يقول : قل للشيعة والمحبّين أن يقسموا على الله تعالى بحقّ عمّتي زينب عليها السلام كي يعجّل الفرج[1].

ولنعم ما نظم السيّد رضا الهندي قدس سره في مصيبتها حيث قال :

إن كان عندك عبرة تجريها فانزل بأرض الطفّ كي نسقيها

فعسى نبلُّ بها مضاجع صفوة ما بلّت الأكباد من جاريها

ولقد مررت على منازل عصمة ثقل النبوّة كان أُلقي فيها

فبكيت حتّى خلتها ستجيبني ببكائها حزناً على أهليها

وذكرت إذ وقفت عقيلة حيدر مذهولة تصغي لصوت أخيها

بأبي التي ورثت مصائب أُمّها فغدت تقابلها بصبر أخيها

لم تله عن جمع العيال وحفظهم بفراق اخواتها وفقد بنيها

لم أنس إذ هتكوا حماها فانثنت تشكو لواعجها إلى حاميها

تدعو فتحترق القلوب كأنّما يرمي حشاها جمرة من فيها

هذي نساؤك من يكون إذا سرت في الأسر سائقها ومن حاديها

أيسوقها زجر بضرب متونها والشمر يحدوها بسبّ أبيها

عجباً لها بالأمس أنت تصونها واليوم آل أُميّة تبديها

حسرى وعزّ عليك أن لم يتركوا لك من ثيابك ساتراً يكفيها

---

(١) شيفتگان حضرة مهدى عليه السلام ج١ ص٢٥١ .

وسروا برأسك في القنا وقلوبها تسمو إليه ووجدها يضنيها
إن أخّروه شجاه رؤية حالها أو قدّموه فحاله يشجيها

وفاة السيّدة زينب عليها السلام

نقل صاحب « بحر المصائب » فقال : إنّ السيّدة زينب عليها السلام بعد فاجعة كربلاء ومآسي الشام والبكاء الطويل على سيّد الشهداء عليه السلام احدودب ظهرها وشاب رأسها وقضت بقيّة عمرها الشريف بالحزن والأسى إلى أن فارقت الدنيا مظلومة .

وقال صاحب « بحر المصائب » أيضاً : إنّ السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام توفّت بعد أربعة أشهر من رجوع أهل البيت عليهم السلام إلى المدينة المنوّرة ، وبعد ثمانين يوماً من رحيل السيّدة أُمّ كلثوم شاهدت العقيلة زينب عليها السلام أُمّها الصدّيقة الزهراء عليها السلام في المنام ، ولمّا استيقظت من النوم بقيت تبكي وتلطم على رأسها وجهها إلى أن أُغمي عليها ، ولمّا جاءوا إليها وحرّكوها وجدوها قد فارقت الدنيا .

وبرحيل العقيلة زينب عليها السلام تجدّد مصاب أهل البيت عليهم السلام وجلسوا عليها بالعزاء وأعادوا ببكاءهم ذكريات عاشوراء الأليمة التي أمضّت قلوب العلويين .

أمّا تاريخ وفاتها فقيل أنّه في العاشر من شهر رمضان المبارك ، وقيل في الرابع عشر من شهر رجب الأصب سنة ٦٢هـ كما ذهب إلى ذلك النسّابة عبيدلي المتوفّى سنة ٢٧٧ في كتابه أخبار الزينبيات .

وكما يبدو أنّ المؤرخين لم يختلفوا في سنة وفاة العقيلة زينب عليها السلام إلّا أنّهم وكما أشرنا اختلفوا في تاريخ وفاتها إلى قولين ، وهناك قول ثالث ذهب أنّ وفاتها في الخامس من شهر رجب الأصب ، والله أعلم بحقائق الأُمور .

أولاد السيّدة زينب عليها السلام

ذكر السبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » فقال : إنّ لعبدالله بن جعفر أولاداً متعدّدين منهم : علي ، وعون الأكبر ، ومحمّد ، والعبّاس وأُمّ كلثوم ، وأُمّهم السيّدة زينب عليها السلام بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والصدّيقة فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله .

وعدّ ابن قتيبة في كتاب « المعارف » : جعفر الأكبر من أولاد السيّدة زينب عليها السلام .

أمّا مؤلّف « عمدة الطالب » فقال : زينب الكبرى بنت الإمام علي عليه السلام وكنيتها أُمّ الحسن ، كانت تروي عن أُمّها فاطمة الزهراء عليها السلام الأخبار ، وقد تزوّجت من ابن عمّها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وولدت منه : علي وعون وعباس وغيرهم .

وقال الطبرسي في « أعلام الورى » : أمّا زينب الكبرى بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فتزوّجها عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وولد منها : علي ، وجعفر ، وعون الأكبر ، وأُمّ كلثوم أولاد عبدالله بن جعفر ، وقد روت زينب عن أُمّها فاطمة عليها السلام أخباراً[1].

ونقل الشبلنجي في « نور الأبصار » فقال : ولدت السيّدة زينب عليها السلام من عبدالله بن جعفر أربعة أولاد وبنت واحدة .

وقال أيضاً : وإنّ ذرّيتها ـ السيّدة زينب عليها السلام ـ منتشرين إلى اليوم في البلاد والأمصار وهم من الشرفاء وأهل البركة .

وفي ناسخ التواريخ : إنّ عون بن عبدالله بن جعفر وأخيه محمّد ولدي السيّدة زينب عليها السلام استشهدوا في أرض كربلاء .

محلّ دفن العقيلة زينب عليها السلام

هناك ثلاثة أقوال بالنسبة إلى محلّ دفن السيّدة زينب عليها السلام وهي :

١ ـ أنّها دفنت في المدينة المنوّرة إلى جنب أئمّة البقيع عليهم السلام .

٢ ـ دفنت في القاهرة .

٣ ـ دفنت في دمشق في منطقة الغوطة وقبرها معروف اليوم يقصده الكثير من الشيعة والمحبّين كلّ يوم .

أمّا القول الأوّل فالظاهر أنّه لا دليل له إلّا الحدس والظنّ ، ولعلّ منشأ هذا الظنّ هو أنّ العقيلة بعد الأسر عادت إلى المدينة ومن الطبيعي أن تموت فيها وتدفن في البقيع مقبرة

---

(١) أعلام الورى ج١ ص٣٩٦ ـ ٣٩٧ .

بني هاشم .

وكذا الحال بالنسبة إلى القول الثاني ـ في مصر ـ فهو لا دليل معتبر له .

وبردّ القولين الأوّلين يثبت القول الثالث وهو أنّها عليها السلام دفنت في قرية « رواية » من منطقة الغوطة في الشام ، وهي تقع على بعد سبعة كيلومترات من الجنوب الشرقي لدمشق .

وفي هذا المكان شيّد للعقيلة زينب عليها السلام مرقد عظيم وهو مزار للشيعة والمحبّين بل إنّه مزار لغير الشيعة أيضاً .

وكما يبدو من بعض التواريخ أنّ تاريخ هذا المزار للسيّدة زينب عليها السلام قديم جدّاً وأنّه كان موجوداً حتّى في القرن الثاني إذ أنّ ـ كما في التاريخ ـ السيّدة نفيسة زوجة إسحاق المؤتمن ابن الإمام الصادق عليه السلام كانت تأتي لزيارة هذا المرقد الشريف[1].

بكاء الكون لمصاب السيّدة زينب عليها السلام

نقل العالم الجليل السيّد أسد الله الأصفهاني المقيم في كربلاء المقدّسة سنة ١٣١٩ لمؤلّف كتاب « الكبريت الأحمر » فقال : إنّ الإمام الحجّة بن الحسن عليه السلام قال لي في الرؤيا : إنّ أهل السماء يجتمعون يوم وفاة عمّتي زينب عليها السلام ويقرأون خطبتها الغرّاء في الكوفة ويبكون لمصابها الجلل[2].

كما نقل العالم الجليل الملّا علي الخياباني في كتاب « وقائع الأيّام » في تتمّة محرّم الحرام قصّة طويلة نذكر منها ما يتعلّق بالعقيلة زينب عليها السلام وهو :

يقول أحد الثقات : شاهدت الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عالم الرؤيا وهو في غاية الحزن ، فتقدّمت نحوه خطوات وسلّمت عليه وسألته عن حالته

(١) من أجل الاطّلاع أكثر راجع كتاب مراقد أهل البيت عليهم السلام للفهري .

(٢) الكبريت الأحمر ص ٨٥ .

فقال : اعلم أنّه منذ اليوم الذي توفّيت فيه عمّتي زينب عليها السلام وملائكة السماء تعقد مجلساً يوم وفاتها في السماء يقرؤون خطبتها في سوق الكوفة ويبكون إلى أن أذهب إليهم وأُسكتهم ، واليوم هو يوم وفاة عمّتي زينب عليها السلام وقد رجعت للتوّ من ذلك المجلس .

نعم ، يحقّ للملائكة أن تبكي لفقد هذه السيّدة الجليلة ، فلو لم يكن منها سوى السنة والنصف التي عاشتها بعد مقتل سيّد الشهداء عليه السلام فغيّرت من خلالها التاريخ لكفى .

بل إنّ يزيد الطاغية قبل أن تدخل العقيلة زينب عليها السلام الشام أسيرة كان فرحاً مسروراً بقتل سيّد الشهداء عليه السلام ولكن وبعد أن دخلت عليه قلبت نهاره إلى ليل وجعلته يجرّ آهات الحزن والحسرة طيلة عمره المتبقّي إلى أن فطس وذهب بعار الدنيا وعذاب الآخرة ألا فلعنة الله عليه وعلى أبيه وعلى بني أُميّة قاطبة ولعنة الله على كلّ من ملّكهم رقاب المسلمين .

علاقة السيّدة زينب بأخيها المظلوم

عندما كان البعثيون يقصفون مدينة قم المقدّسة التجأت أكثر من مرّة بمسجد جمكران المعروف . وفي أحد الأيّام خرجت من المسجد وقصدت زيارة السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام في قم المقدّسة ، وبعد الزيارة ذهبت لزيارة آية الله العظمى السيّد شهاب الدين المرعشي قدس سره فدار الحديث حول أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وإذا بآية الله المرعشي يقول : عندما ولدت السيّدة زينب عليها السلام أعطتها الصدّيقة الزهراء عليها السلام إلى رسول الله والإمام علي والحسن عليهم السلام وكانت السيّدة زينب عليها السلام مطبقة عيناها لم تفتحها في وجه أحدهم ، إلّا أنّها حينما أخذها أخوها سيّد الشهداء عليه السلام فتحت عيناها في وجهه المبارك .

وأضاف سماحته قدس سره فقال : وفي مجلس يزيد ـ لعنة الله عليه ـ كان الرأس الشريف ينظر إلى جميع الأسارى وهو على الرمح الطويل ، إلّا أنّه عندما نظر إلى حال أُخته العقيلة عليها السلام أطبق جفنيه وجرت دموعه وكأنّه عليه السلام يقول لها : أُخيّ زينب ، لقد حفظتي لي عيالي ، فجزاك الله خيراً ولا تزيدني خجلاً فوق خجلي .

في حرم السيّدة زينب عليها السلام

نقل الخطيب الشهير محمّد رضا سقا زاده في مقدّمة كتاب « الخصائص الزينبية » عن سماحة آية الله العظمى الملّا علي الهمداني ذلك العالم الورع الذي توفّي قبل سنين أنّه قال :

سألت سماحة آية الله آقا ضياء العراقي عن قبر السيّدة زينب عليها السلام فنقل في جوابه القصّة التالية : أنّ أحد الشيعة من أهل القطيف في السعودية قصد زيارة الإمام الرضا عليه السلام ، وفي وسط الطريق نفدت أمواله وبقي حائراً فهو لا يستطيع الرجوع إلى وطنه ولا يقدر على مواصلة الطريق ، ولذا فقد توسّل بإمام العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليخلّصه من هذه الحيرة .

وفيما هو كذلك إذا بسيّد نوراني جليل القدر يتعرّف عليه ويقدّم له بعض الأموال لتوصله إلى سامراء .

وكان ممّا قال له هذا السيّد الجليل : راجع في سامراء وكيلنا الميرزا محمّد حسن الشيرازي وقل له يعطيك من أموالنا التي عنده لتذهب بها إلى زيارة جدّي علي بن موسى الرضا عليه السلام .

يقول الرجل القطيفي : لم أعرف حقيقة الرجل ولا من أين أتى إلّا أنّني تساءلت منه وقلت : إذا سألني آية الله الشيرازي من هو السيّد مهدي وما هي صفاته ماذا أُجيبه ؟ فقال السيّد مهدي : قل للميرزا الشيرازي إنّ السيّد مهدي قال : إنّ العلامة هي : أنّك سافرت في الصيف أنت والحاج ملّا علي كني الطهراني إلى حرم عمّتي زينب عليها السلام ، وحيث إنّ الحرم الشريف كان مزدحماً بالزوّار ذهبت أنت والملّا علي كني إلى سطح الحرم وكانت الأوساخ والقاذورات قد تجمّعت فخلعت أنت عباءتك وأخذت تكنس سطح الحرم الشريف بها بينما كان الملّا علي كني يأخذ الغبار والأوساخ بيده إلى خارج الحرم الشريف ، وقد كنت حاضراً آنذاك أُشاهدكما .

يقول القطيفي : حينما التقيت بالميرزا الشيرازي وذكرت له القضيّة قام على قدميه واحتضنني وجعل يقبّل عينيه ويبارك لي هذا التوفيق .

وأضاف الرجل القطيفي قائلاً : كما ذهبت إلى آية الله كني وذكرت له القضيّة فقام هو أيضاً إجلالاً لي وقبّل ما بين عينيه إلّا أنّه كان حزيناً لأنّ الإمام الحجّة عليه السلام لم يحوّل الرجل القطيفي عليه[1].

(١) مراقد أهل البيت عليهم السلام في الشام للفهري ص ٧٥ .

الفصل الخامس عشر

السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام

إنّ السيّدة أُمّ كلثوم هي عمّة السيّدة رقيّة وبنت الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد ذكرها ابن عبدالبرّ في « الاستيعاب » وكذا سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » حيث قال : إنّ أبناء فاطمة الزهراء كالتالي : ١ ـ الإمام الحسن عليه السلام ٢ ـ الإمام الحسين عليه السلام ٣ ـ زينب عليها السلام ٤ ـ أُمّ كلثوم عليها السلام .

كما أشار إليها العلّامة السيّد محسن الأمين في « أعيان الشيعة » وفي نهاية تعرّضه لسيرتها قال : وقد تزوّجت من عون بن جعفر الطيار رضوان الله عليه[١].

وفي الخبر : أنّه لمّا ماتت الصدّيقة الزهراء عليها السلام اجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخوا صرخة واحدة كادت المدينة أن تتزعزع من صراخهنّ وهن يقلن : ياسيّدتاه ، يابنت رسول الله ، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى الإمام علي عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان ، فبكى الناس وخرجت أُمّ كلثوم وعليها برقعة وتجرّ ذيالها متجلّلة برداء عليها تسحبها وهي تقول : ياأبتاه يارسول الله الآن حقّاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً[٢].

ونقل الشيخان ـ المفيد والطوسي ـ في أماليهما : أنّه لمّا ضرب أمير المؤمنين عليه السلام احتمل فادخل داره فقعدت لبابة عند رأسه وجلست أُمّ كلثوم عند رجليه ففتح عينيه

---

(١) رياحين الشريعة ج ٣ ص ٢٤٥ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٩٨ ح ٢٠ .

ونظر إليهما وقال : الرفيق الأعلى خير مستقر وأحسن مقيلاً ، فنادت أُمّ كلثوم : وا أبتاه ثمّ جاءت إلى عبدالرحمن بن ملجم وقالت : ياعدوّ الله قتلت أمير المؤمنين عليه السلام قال : إنّما قتلت أباك ، قالت : ياعدوّ الله والله إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس . قال : فأراك تبكين عليه والله ضربته ضربة لو قسّمت بين أهل الكوفة لأهلكتهم .

خطبتها في الكوفة

بعد أن ذكر السيّد ابن طاووس في اللهوف خطبة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام أشار إلى خطبة أمّ كلثوم عليها السلام حيث قالت :

ياأهل الكوفة سوأة لكم ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم أمواله وورثتموه وسبيتم نساءه ونكبتموهنّ فتبّاً لكم وسحقاً ، ويلكم أتدرون أي دواه دهتكم ؟! وأي وزر على ظهركم حملتم ؟! وأي دماء سفكتموها ؟! وأي أموال نهبتموها ؟! وأي كريمة أصبتموها ؟! وأي صبية سلبتموهنّ ؟! قتلتم خير رجالات بعد النبي صلى الله عليه وآله ونزعت الرحمة من قلوبكم ! ألا إنّ حزب الله هم الفائزون وحزب الشيطان هم الخاسرون ، ثمّ قالت :

قتلتم أخي صبراً فويل لأُمّكم — ستجزون ناراً حرّها يتوقّد
سفكتم دماءً حرّم الله سفكها — وحرّمها القرآن ثمّ محمّد
ألا فابشروا بالنار أنّكم غداً — لفي سقر حقّاً يقيناً مخلّد
وإنّي لأبكي في حياتي على أخي — على خير من بعد النبي مولد
بدمع غزير مستهلّ مكفكف — على الخدّ منّي دائماً ليس يجمد

التحدّي العظيم

كتب صاحب « ناسخ التواريخ » : أنّ السيّدة زينب عليها السلام عندما فرغت من خطبتها شرعت السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام بالحديث فقالت : يابن زياد ! إن كان قرّت عينك بقتل الحسين عليه السلام فقد كانت بعين رسول الله صلى الله عليه وآله قرّت برؤيته وكان يقبّله ويمصّ شفتيه ويحمله هو وأخوه على ظهره فاستعدّ غداً للجواب .

إنّ الصدقة حرام علينا

يقول مسلم الجصّاص : دعاني ابن زياد لإصلاح دار الامارة بالكوفة ، فبينما أنا أُجصّص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة فأقبلت على خادم كان معنا ، فقلت : ما لي أرى الكوفة تضجّ ؟ قال : الساعة أتو برأس خارجي خرج على يزيد ، فقلت : من هذا الخارجي ؟ فقال : الحسين بن علي عليهما السلام قال : فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي حتّى خشيت على عينيّي أن تذهبا وغسلت يدي من الجصّ وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكنائس . فبينما أنا واقف والناس يتوقّعون وصول السبايا والرؤوس إذ أقبلت نحو أربعين شقّة تحمل أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليهم السلام وإذا بعلي بن الحسين عليه السلام على بعير وطاء ، وأوداجه تشخب دماً ، وهو مع ذلك يبكي ويقول : ياأُمّة السوء لا سقياً لربعكم .

قال : وصار أهل الكوفة يناولون أطفال الحسين عليه السلام على المحامل بعض التمر والخبز والجوز ، فصاحت بهم أُمّ كلثوم وقالت : ياأهل الكوفة إنّ الصدقة حرام علينا .

ثمّ إنّها لمّا رأت نساء الكوفة يبكون على ما أصابهم أخرجت رأسها من المحمل وقالت لهم : ياأهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم ؟! فالحكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء[١].

استجابة دعاءها

نقل صاحب « ناسخ التواريخ » إنّ أهل البيت عليهم السلام حينما قربوا من سيبور كان فيها شيخ كبير وقد شهد عثمان بن عفّان فجمع أهل سيبور المشايخ والشبّان منهم وقال : ياقوم هذا رأس الحسين عليه السلام قتله هؤلاء اللعناء . فقالوا : والله ما يجوزوا في مدينتنا ، فقال المشايخ : ياقوم إنّ الله كره الفتنة وقد مرّ هذا الرأس في جميع البلدان ولم يعارضه أحد فدعوه يجوز في بلدكم . فقال الشبّان : والله لا كان ذلك أبداً . ثمّ عمدوا على القنطرة

---

(١) بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٤ .

فقطعوها فخرجوا عليهم شاكين في السلاح . فقال لهم خولي : إليكم عنّا ، فحملوا عليه وعلى أصحابه فقاتلوهم قتالاً شديداً فقتل من أصحاب خولي لعنه الله ستمائة فارس وقتل من الشبّان خمس فوارس ، فقالت أُمّ كلثوم : ما يقال لهذه المدينة ؟ فقالوا : سيبور . فقالت عليها السلام : أعذب الله شرابهم وأرخص الله أسعارهم ورفع أيدي الظلمة عنهم . قال أبو مخنف : فلو أنّ الدنيا مملوّة ظلماً وجوراً لما نالهم إلّا قسطاً وعدلاً[(١)].

دعاءها على أهل بعلبك

ذكر في ناسخ التواريخ : أنّ أهل البيت عليهم السلام عندما قربوا من بعلبك كتب جلاوزة ابن سعد إلى حاكم بعلبك : بأنّ الرؤوس التي معنا رؤوس خوارج وهؤلاء أهلهم ونساءهم أخذناهم إلى يزيد فأعدّوا المدينة لقدومهم .

فأمر حاكم البلدة أن يخرج أهلها بالدفوف والمزامير تسبقهم المغنّيات فرحاً بقتل أهل البيت عليهم السلام ، آنذاك التفتت السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام وقالت : ما اسم هذه البلدة ؟ قالوا : بعلبك ، فقالت : أباد الله تعالى خضرائهم ولا أعذب الله شرابهم ولا رفع الله أيدي الظلمة عنهم[(٢)].

وصيّتها لشمر اللعين

ذكر السيّد ابن طاووس في اللهوف فقال : فلمّا قربوا ـ أي أهل البيت عليهم السلام ـ من دمشق دنت أُمّ كلثوم عليها السلام من الشمر وكان من جملتهم ، فقالت له : لي إليك حاجة ؛ فقال : ما حاجتك ؟

فقالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا إلى درب قليل النظّارة ، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال ، فأمر في جواب سؤالها أن تجعل الرؤوس على الرماح في أوساط

---

(١) مقتل أبي مخنف ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٢) اكسير العبادات في أسرار الشهادات ج ٣ ص ١٣٧ .

المحامل بغياً منه وكفراً، وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفة حتّى أتى بهم باب دمشق فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي .

يقول مؤلّف « ناسخ التواريخ » : إنّ الشمر اللعين كان يفتخر بحمله رأس سيّد الشهداء عليه السلام ويقول : أنا صاحب الرمح الطويل ، أنا قاتل الدين الأصيل ، أنا قتلت ابن سيّد الوصيين ، وأتيت برأسه إلى يزيد أمير المؤمنين .

ولمّا سمعته السيّدة أُمّ كلثوم يفتخر بذلك قالت : يالعين وابن اللعين ، ألا لعنة الله على الظالمين ياويلك أتفتخر على يزيد الملعون بن الملعون بقتل من ناغاه في المهد جبرئيل ومن اسمه مكتوب على سرادق عرش الجليل ، ومن ختم الله بجدّه المرسلين وقمع بأبيه المشركين ، فأين مثل جدّي محمّد المصطفى وأبي المرتضى وأُمّي فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولمّا سمع خولي كلامها قال : تأبين الشجاعة وأنت بنت الشجاع .

الرجوع إلى المدينة

ذكر العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار وغيره : أنّ أهل البيت عليهم السلام عندما رجعوا إلى المدينة وشاهدوا جدرانها تأوّهت السيّدة أُمّ كلثوم وبكت بدمع يحرق القلوب وأنشدت :

مدينة جدّنا لا تقبلينا ... فبالحسرات والأحزان جئنا

ألا أخبر رسول الله عنّا ... بأنّا قد فجعنا في أخينا

وقد نسب أرباب المقاتل مجموعة من الأبيات للسيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام انتخبنا منها هذين البيتين .

ونقل أنّها ذهبت إلى قبر أُمّها فاطمة عليها السلام شاكية باكية تصيح وا حسيناه وتقول :

أفاطم لو نظرت إلى السبايا ... بناتك في البلاد مشتّتينا

أفاطم لو نظرت إلى الحيارى ... ولو أبصرت زين العابدينا

أفاطم لو رأيت بتنا سهارى ... ومن سهر الميالي قد عيينا

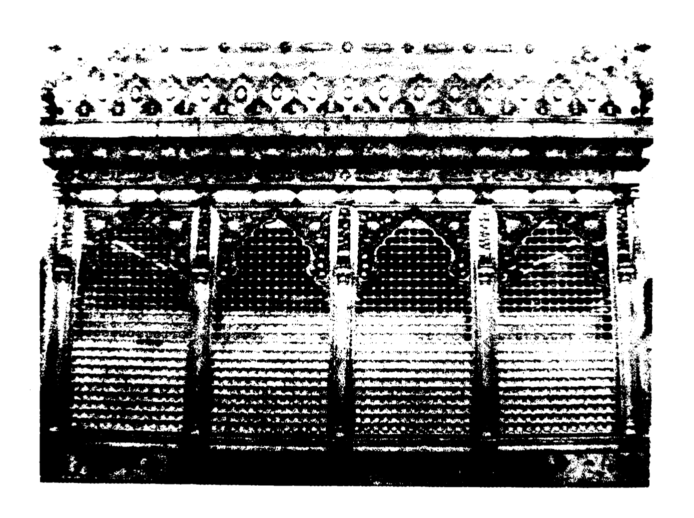
فلو دامت حياتك لم تزالي ... إلى يوم القيامة تندبينا

الوفاة الأليمة

نقل في « بحر المصائب » أنّ السيّدة أُمّ كلثوم عليها السلام عندما رجعت إلى المدينة بعد فاجعة كربلاء لم تعش سوى أربعة أشهر ثمّ ماتت مظلومة .

وإذا قلنا بقول العلّامة الحلّي في « منهاج الصلاح » والشيخ الكفعمي في « المصباح » والمفيد في « الإرشاد » أنّ دخول أهل البيت عليهم السلام المدينة كان في العشرين من شهر صفر المظفّر فإنّ تاريخ وفاة هذه السيّدة الجليلة يكون في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة ٦٢هـ والله العالم .

أمّا مدفنها فهو في المدينة ولم يذكر أنّ هناك أُمّ كلثوم دفنت في غير المدينة ، فسلام الله عليها وعلى جدّها وأُمّها وأبيها وأخويها(١).



(١) رياحين الشريعة ج٣ ص٢٥٦ .

الفصل السادس عشر

السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام

وأُمّها الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر ، وقد نسب إلى الإمام الحسين عليه السلام أنّه أنشد بحقّها الأبيات التالية :

لعمرك إنّني لأُحبّ داراً	تضيّفها سكينة والرباب
أُحبّهما وأبذل بعد مالي	وليس للائمي بها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً	حياتي أو يغيّبني التراب

وقيل : إنّ الأصبغ بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم خطبها ، وقد أخذوها إلى مصر إلّا أنّها لمّا وصلت كان الأصبغ قد مات .

وقد عبّر عنها سيّد الشهداء عليه السلام في بعض الأبيات المنسوبة إليه بـ « ياخيرة النسوان » .

وكان للسيّدة سكينة مقام عظيم ومنزلة رفيعة عند أهل البيت عليهم السلام ، بل إنّها كانت من النساء العارفات بالله تعالى عايشت جميع أحداث كربلاء المأساوية ودورها في الأسر لا يخفى على أحد ، فقد بقيت برفقة عمّتها زينب عليها السلام تبلغ رسالة الإمام الحسين عليه السلام في كلّ مكان .

ولهذه السيّدة الجليلة مقام عظيم في مصر فضلاً عن مقامها في الشام وفي المقامين يتقاطر المئات بل الأُلوف من الزوّار المحبّين .

يبقى القول أنّ هذه السيّدة الجليلة طيلة عمرها الشريف كانت تروى للناس أحداث كربلاء المؤلمة وما جرى على أهل البيت عليهم السلام من المآسي المشجية التي ارتكبها

بنو أُميّة بحقّهم[١].

السيّدة فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام

ولدت السيّدة فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين عليه السلام سنة ثلاثين للهجرة وأُمّها « أُمّ إسحاق » بنت طلحة بن عبيدالله بن تيمية[٢].

وفي واقعة كربلاء كان عمرها الشريف ثلاثين سنة تقريباً[٣] ولذا يمكن القول إنّها كانت أكبر من السيّدة سكينة ، وكانت ذات مقام رفيع في العلم والتقى وقد شهد الإمام الحسين عليه السلام لها بذلك عندما خطبها الحسن المثنّى فقال عليه السلام : أختار لك فاطمة ، فهي أكثر شبهاً بأُمّي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله . أمّا في الدين : فتقوم الليل كلّه ، وتصوم النهار ، وفي الجمال تشبه الحور العين[٤].

وقد روت هذه السيّدة الجليلة عن كلّ من : ١ ـ والدها الإمام الحسين عليه السلام ٢ ـ أخوها الإمام السجّاد عليه السلام ٣ ـ عمّتها السيّدة زينب عليها السلام ٤ ـ عبدالله بن عبّاس .

أمّا أبناءها فهم : عبدالله ، إبراهيم ، الحسين .

وقد روى عنها كلّ من : أُمّ جعفر ، أبو المقدام ، وزهير بن معاوية ، علماً أنّ رواياتها موجودة اليوم في سنن الترمذي ، وسنن ابن داود ، وسنن ابن ماجة ، وسنن النسائي فضلاً عن تأليفات ابن حجر العسقلاني .

ويذكر أنّها في بيت أُمّها الصدّيقة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله إلى أنّ أمر الوليد بتخريبها فاتّخذت بيتاً آخراً وحفرت فيه بئراً كان معروفاً بالبركات وكانوا يسمّونه

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاههاى جهان اسلام ص ١٢٠ .

(٢) راجع كتاب نسب قريش لزبير بن بكّار ص ٢٥ ودائرة المعارف الإسلامية الشيعية ج ١ .

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ٣٥ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ج ١٢ ص ٤٤٢ .

(٤) إسعاف الراغبين لمحمّد بن الصبّان المصري المطبوع بهامش نور الأبصار ص ٢١٠ .

بـ« بئر زمزم » .

وكانت هذه السيّدة الجليلة كالسيّدة زينب الكبرى عليها السلام ملاذاً ومأمناً للأسارى وقد خطبت أمام ابن زياد لعنه الله خطبة غرّاء كشفت فيها للناس ظلم يزيد وأتباعه الأوغاد .

أمّا وفاتها فقد كانت سنة ١١٠هـ[1]، وقبرها موجود اليوم خلف قبر السيّدة سكينة وأُمّ كلثوم عليهما السلام في دمشق .

وعلى الرغم أنّ للسيّدة فاطمة قبراً معروف في الشام إلّا أنّ أكثر المصادر تصرّح أنّها توفّيت في منزلها الواقع خلف مسجد النبي صلى الله عليه وآله ودفنت في البقيع .

ففي كتاب « من الرسول صلى الله عليه وآله إلى الإمام زين العابدين عليه السلام » لسماحة الشيخ علي الفلسفي : أنّ السيّدة فاطمة دفنت في الشام ولها حرم مجلّل يقصده الكثير من الزوّار .

وفي « بحار الأنوار » و « ناسخ التواريخ » : أنّ الإمام السجّاد عليه السلام قال : لمّا قتل الحسين عليه السلام جاء غراب فوقع في دمه ، ثمّ تمرّغ ثمّ طار ، فوقع بالمدينة على جدار دار فاطمة بنت الحسين عليه السلام وهي الصغرى ، فرفعت رأسها إليه ، فنظرته فبكت وقالت :

نعب الغراب فقلت : من ... تنعاه ويلك من غراب ؟
قال : الإمام فقلت : من ؟ ... قال : الموفّق للصواب
إنّ الحسين بكربلا ... بين المواضي والحراب
قلت : الحسين ؟ فقال لي : ... مُلقى على وجه التراب
ثمّ استقلّ به الجناح ... ولم يطق ردّ الجواب
فبكيت منه بعبرة ... ترضي الإله مع الثواب

قال محمّد بن علي عليه السلام فنعتته لأهل المدينة ، فقالوا : جاءت بسحر عبدالمطّلب ،

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥ ص٣٣١ ، الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٣٠٢ ، مقتل الحسين بن علي عليهما السلام للسيّد عبدالكريم سيّد علي خان ص٦٩ ـ ٧١ .

فما كان بأسرع من أنّ جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام [١].

٥ ـ السيّدة ميمونة بنت الإمام الحسين عليه السلام .

٦ ـ السيّدة حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام .

يقع قبر هاتين العلويتين في مقبرة أسماء بنت عميس زوجة جعفر بن أبي طالب ـ في إحدى الحجر خلف قبر السيّدة سكينة وأُمّ كلثوم ، وعلى يسارهما يقع قبر عبدالله بن الإمام الصادق عليه السلام ، ولها قبّة خضراء وفوق قبريهما صندوق خشبي عظيم .

وفي سنة ١٣٣٠هـ أُعيد بناء القبور وصار قبرهما في السرداب حيث يجد الزائر هناك ثلاثة قبور قريبة إلى بعضها .

أمّا القبر الأوّل فهو قبر السيّدة حميدة بنت مسلم بن عقيل عليه السلام المتوفّاة سنة سبعين للهجرة .

والقبر الثاني هو قبر أسماء بنت عميس زوجة جعفر الطيّار والإمام علي عليه السلام المتوفّاة سنة ٦٥هـ.

والقبر الثالث هو قبر السيّدة ميمونة بنت الإمام الحسن عليه السلام [٢].

٧ ـ عبدالله بن جعفر عليه السلام

* والد عبدالله بن جعفر هو الشهيد العظيم جعفر الطيّار وأُمّه أسماء بنت عميس ، وهو ابن أخ الإمام علي عليه السلام وصهره ....

* كان عبدالله من أسخياء العرب المعروفين في ولائهم ومحبّتهم لأهل البيت عليهم السلام .

---

(١) راجع : مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ٢ ص ٩٢ ، إحقاق الحقّ ج ١١ ص ٤٩٢ ، بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧١ ، فرائد السمطين ج ٢ ص ١٦٣ ، تسلية المجالس ج ٢ ص ٤٦٩ ، العوالم ج ١٧ ص ٤٩٠ .

(٢) تاريخ وأماكن سياحتى وزيارتى سورية « فارسي » تأليف أصغر قائدان ص ١٤٩ الطبعة الأُولى سنة ١٢٧٣هـ. ش .

* شارك عبدالله بن جعفر في معركة المسلمين مع الروم وحروب أمير المؤمنين عليه السلام وقد شهد الكثير بشجاعته وبطولته ....

أمّا لماذا لم يخرج مع سيّد الشهداء عليه السلام إلى كربلاء فربما يكون لإشارة الإمام الحسين عليه السلام عليه بذلك علماً أنّه بعث ولديه إلى كربلاء واستشهدوا في ركاب الإمام الحسين عليه السلام .

ويقال : إنّه لمّا بلغه خبر شهادة ولديه تجاسر أحد غلمانه أمامه وقال : إنّ السبب في قتلهما هو الإمام الحسين عليه السلام ، وإذا بعبدالله يمتلأ غيظاً ويزجر الغلام بشدّة لتجاسره على سيّد الشهداء عليه السلام ، وكما نقلوا أنّ عبدالله بن جعفر سافر إلى الشام لرعاية أملاكه الموجودة فيها ومات هناك .

نعم ذكر البعض أنّه توفّي في المدينة ودفن إلى جنب عمّه عقيل إلّا أنّ وفاة زوجته العقيلة في الشام ودفنها هناك يؤيّد أنّه قد دفن فيها .

وباعتقادي أنّ استيطان أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم في الشام من أجل ردّ تحريفات الأمويين ، بل ذهب الكثير من الفضلاء أنّ وجود الشيعة في الشام هو من بركات مثل هذه الهجرات والتبعيد الذي حصل لبعض الشيعة .

بالطبع أنّ لذرّية عبدالله بن جعفر دور مهم في الثورات الكثيرة التي كانت تحصل ضدّ بني أُميّة وبني العبّاس[1].

٨ ـ مقام الرؤوس الشريفة : مقام عظيم في مقبرة الباب الصغير في الشام ، يقال إنّه دفنت فيه رؤوس سبعة عشر من شهداء أهل البيت عليهم السلام الذين قتلوا في كربلاء ، وإلى جانب هذا المقام يوجد مقام آخر يسمّى بمقام الإمام زين العابدين عليه السلام[2].

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاه جهان اسلام تأليف الشيخ محمّد إبراهيم وحيد الدامغاني ص١٣١ نقلاً عن الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله .

(٢) راهنماى حج وزيارتگاه جهان اسلام ص١٢٥ .

أمّا موقع هذا المقام فهو يقع على بعد خمسين متراً تقريباً من الباب الأصلي لمقبرة الباب الصغير. وعلى يساره هناك زقاق فيه ساحة داخلها غرفة صغيرة دفنت الرؤوس الشريفة فيها.

وفي السنين الأخيرة شيّدوا لهذه القبور ضريحاً من الفضّة ....

وبالرغم أنّهم كتبوا فوق الحجرة أنّ هذا المكان محلّ لدفن رأس ستّة عشر شهيداً من شهداء كربلاء إلّا أنّ الذي يقوي في الظنّ أنّ الذي دفن فيه هو ثلاثة رؤوس من رؤوس شهداء كربلاء وهم:

١ ـ رأس أبو الفضل العبّاس عليه السلام.

٢ ـ رأس علي الأكبر عليه السلام.

٣ ـ رأس حبيب بن مظاهر.

وقد شاهد السيّد محسن الأمين قدس سره سنة ١٣٢١هـ كتيبة كانت موضوعة على باب الدخول مكتوب عليها: «هذا رأس عبّاس وعلي بن الحسين عليهما السلام وحبيب بن مظاهر» إلّا أنّهم بعد أن جعلوا الضريح لهذا المكان المقدّس كتبوا اسم ستة عشر شهيداً[١].

ومع الالتفات أنّ مصادر الشيعة تصرّح أنّ أكثر الرؤوس كانت قد ردّت إلى الأجساد في كربلاء يبقى احتمال دفن هذه الرؤوس الثلاثة هو الأقوى والله أعلم بالصواب.

أمّا أسماء الرؤوس التي يقال أنّها دفنت في هذا المكان فهي:

١ ـ العبّاس بن علي عليهما السلام ٢ ـ علي الأكبر ٣ ـ حبيب بن مظاهر ٤ ـ القاسم بن الحسن عليهما السلام ٥ ـ عبدالله بن علي ٦ ـ عمر بن علي عليهما السلام ٧ ـ الحرّ الرياحي ٨ ـ محمّد بن علي عليهما السلام ٩ ـ عبدالله بن عون ١٠ ـ علي بن أبي بكر ١١ ـ عثمان بن علي عليهما السلام ١٢ ـ جعفر ابن علي عليهما السلام ١٣ ـ جعفر بن عقيل عليه السلام ١٤ ـ محمّد بن مسلم ١٥ ـ عبدالله بن عقيل

(١) أعيان الشيعة للسيّد الأمين ج١ ص٦٢٧.

١٦ ـ الحسين بن عبدالله .

٩ ـ عبدالله الباهر : يقع قبر عبدالله بن الإمام زين العابدين عليه السلام المعروف بعبدالله الباهر جنب الحائط الشرقي لباب الصغير ، وله مقبرة مستقلّة ومرقد لا بأس به عليه قبّة خضراء وساحة كبيرة ، وقد شيّدت سنة ١٣٣٠هـ أطراف قبر هذا السيّد الجليل مقبرة مستقلّة . أمّا أُمّ عبدالله الباهر فهي نفس أُمّ الإمام الباقر عليه السلام ، وسمّي بالباهر لشدّة جماله ونورانيته الجذّابة بين اخوانه ، فهو لا يجلس في مجلس إلّا ويحتفّه الناس من كلّ مكان لينظروا إلى نورانيّته وجماله .

وكان عبدالله من العبّاد الزاهدين والفقهاء المحدّثين ، وقد روى عن أجداده الأطهار عليهم السلام الكثير من الأخبار .

أمّا وفاته فقد كانت في المدينة وقال البعض : إنّه توفّي في التل الزينبية في بغداد .

١٠ ـ عبدالله بن الإمام الصادق عليه السلام : وقبره اليوم بالقرب من قبر السيّدة فاطمة الصغرى على اليسار ، وله قبّة صغيرة خضراء وضريح خشبي[١].

الصحابة والتابعون

١ ـ أسماء بنت عميس : وهي من خيرة النساء اللواتي آمنّ برسول الله صلى الله عليه وآله بل كانت من الأوائل في الإسلام وقد هاجرت مع زوجها الشهيد جعفر الطيّار إلى الحبشة ، وولدت ابنها عبدالله فيها .

ينقل أنّ عبدالله بن أسماء عندما ولد رزق النجاشي ملك الحبشة بمولدة كانت أسماء ترضعه .

أمّا أولادها من جعفر الطيّار فهم : عبدالله ، محمّد ، عون .

وبعد شهادة جعفر الطيّار تزوّجت بأبي بكر ورزقت منه بمحمّد رضوان الله عليه

---

(١) تاريخ وأماكن سياحتى وزيارتى سوريه ص١٣٩ ـ ١٤٩ .

الذي يعدّ من خيرة صحابة الإمام علي عليه السلام وقد ولّاه الإمام عليه السلام ملك مصر ثمّ نال الشهادة على يد شرّ خلق الله تعالى .

ومن بعد أبي بكر تزوّجها الإمام علي عليه السلام ورزقت منه ولدين أحدهما يحيى الذي قال عنه البعض أنّه استشهد في كربلاء وبعضهم قالوا أنّه مات في عهد والديه ، والآخر هو محمّد الأصغر .

ومن سعادة هذه المرأة الجليلة أنّها شاركت في غسل وتكفين الصدّيقة الزهراء سلام الله عليها .

أمّا قبرها الشريف فهو موجود في الباب الصغير إلى جنب ولدها الشهيد محمّد بن أبي بكر والسيّدة ميمونة بنت الإمام الحسن عليه السلام[1].

٢ ـ **فضّة جارية الزهراء** عليها السلام : تعدّ السيّدة فضّة رضوان الله عليها من خيرة النساء الفاضلات اللواتي خدمن أهل البيت عليهم السلام وأخلصن لهم في الولاء .

* ذكر بعض المؤرخين أنّها كانت من بنات الملوك الايرانيين .

* ذكر بعض الكتّاب أنّها كانت بنت ملك « نوبة » جيئ بها من الأسارى إلى بلاد الإسلام والتحقت ببيت الرسالة صلوات الله عليهم أجمعين .

* كانت الصدّيقة الزهراء عليها السلام تقسّم أعمال البيت معها يوماً بيوم .

* في العشرين سنة الأخيرة من عمرها الشريف كانت لا تتكلّم إلّا بالقرآن .

* شاركت أهل البيت عليهم السلام نذرهم من أجل شفاء الحسنين عليهما السلام وقدّمت طعامها لليتيم والمسكين والأسير فنزل بحقّهم قوله تعالى : ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾[2].

* بلغ من شدّة علاقتها بأهل البيت عليهم السلام أنّها لم تفارقهم حتّى في الذهاب إلى

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاهاى جهان اسلام ص١٢٧ .

(٢) سورة الإنسان : ٨.

كربلاء وكانت ممّن خرج من النساء لوداع سيّد الشهداء عليه السلام .

* قبرها الشريف اليوم في الباب الصغير في الشام وقد كتب على قبرها العبارة التالية « فضّة خادمة رسول الله صلى الله عليه وآله »[١].

٣ ـ زوجات الرسول صلى الله عليه وآله

في أواخر الحائط الشرقي وبالقرب من الباب الأصلي هناك حجرة مستقلّة عن القبور تقع فيها زوجتا النبي صلى الله عليه وآله السيّدة أُمّ حبيبة والسيّدة أُمّ سلمة .

وبالرغم من ذلك إلّا نستطيع القول وبكل اطمئنان أنّ قبر هاتين السيّدتين ليس في الشام وإنّما هو في البقيع ولا أعلم كيف نسب لهما هذين القبرين[٢].

٤ ـ قبر المقداد :

يعتبر المقداد بن الأسود الكندي من المجاهدين الكبار الذين دافعوا عن حرم الإسلام الحنيف .

* تحمّل في بداية الإسلام الكثير من الشدائد والصعوبات وقد أشار بنفسه إلى ذلك فقال : عندما قدمنا إلى المدينة في بداية الدعوة الإسلامية قسّمنا رسول الله إلى مجموعات كلّ عشرة يعيشون في حجرة واحدة وكنت أنا أعيش مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

* يعدّ المقداد من الثلاثة أو الأربعة أو السبعة الخلّص الذين مدحهم أهل البيت عليهم السلام وأشادوا بمتانة عقيدتهم الراسخة .

* كان للمقداد مكانة عظيمة تفوق البقيّة ما عدا سلمان المحمّدي حتّى قيل في حقّه : ما بقي أحد إلّا وقد جال جولة إلّا المقداد فإنّ قلبه كان مثل زبر الحديد .

* زوّجه الرسول صلى الله عليه وآله ابنة عمّه الزبير بن عبدالمطّلب .

على الرغم أنّ الشيخ عبّاس القمّي قال : إنّ القبر المشهور في مدينة « وان »

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاهاى جهان اسلام ص١٢٩ نقلاً عن أُسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٠ .

(٢) تاريخ وأماكن سياحتى وزيارتى سوريه ص١٤٩ .

المنسوب إلى المقداد إنّما هو قبر الشيخ الجليل فاضل المقداد وهو من علماء الشيعة الأجلّاء القدر وله تأليفات نفيسة ، أمّا قبر المقداد في جرف بالقرب من المدينة .

إلّا أنّ الذي يرجع من الزينبية نحو الشام يجد على جهة اليمين مقبرة داخل أحد المساجد وقد كتب على قطعة « سيّد المقداد » وعلى القبر توجد صخرة بيضاء كتب عليها :

أنا المقداد بو معبد — أنا ابن السيّد الأسود
تهزّ الأرض حملاتي — وأبواب السماء ترعد
أنا المقداد في يوم القتال — أبيد البيض بالسمر العوال
وسيفي في الوغا أبيض صقيلا — طليق الحدّ في أهل الضلال

٥ ـ بلال بن رباح :

وهو من السابقين إلى الإسلام وكان عبداً لأُميّة بن خلف اشتراه أبو بكر واعتقه .

* كان بلال مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة إلّا أنّه لم يبق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وإنّما سافر إلى الشام وتوفّي فيها سنة ٢٠ أو ٢١هـ وكان عمره ٦٣ أو ٧٠ سنة .

* بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يؤذّن بلال أصلاً لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر ، وإلى ذلك يشير الشبلنجي في نور الأبصار فقال : كان بلال أوّل مؤذّن لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يؤذّن بعد لأحد من الخلفاء وقد توفّي سنة ١٧ أو ١٨هـ[١].

٦ ـ أُويس القرني :

إنّ أُويس القرني هو الفرد الرابع من الزهّاد الممدوحين في الإسلام ، وفضلاً عن حبّه للرسول صلى الله عليه وآله كان الرسول صلى الله عليه وآله يحبّه .

* لم يستطع أُويس طيلة عمره أن يرى النبي صلى الله عليه وآله إلّا أنّه كان يصف شمائله أدقّ من الصحابة الذين قضوا عمرهم معه صلى الله عليه وآله .

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاههاى جهان اسلام ص١٢٩ .

* ذات مرّة استأذن أُويس والدته أن يذهب إلى المدينة ليرى النبي صلى الله عليه وآله على أن يرجع إليها مباشرة إذا لم يجده صلى الله عليه وآله ، ولمّا وصل المدينة لم يجد النبي صلى الله عليه وآله فرجع إلى والدته كما وعدها .

* حينما عاد الرسول صلى الله عليه وآله إلى المدينة قال : إنّي لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن .

* اتّفق المسلمون على قداسة أُويس وزهده وتقواه حتّى قال النبي صلى الله عليه وآله في حقّه : إنّه راهب هذه الأُمّة ، وقال صلى الله عليه وآله : إنّ أُويس يشفع لقبائل عظيمة كربيعة ومضر .

* يعدّ أُويس من حواري الإمام علي عليه السلام وقد شارك في معركة صفّين واستشهد فيها ودفن في « صفّين » وقبره اليوم في مدينة الرقّة الواقعة على بعد ٢٠٠ كيلومتر عن حلب و ٤٥٠ كيلومتر عن الشام بالقرب من قبر عمّار بن ياسر .

٧ ـ عمّار بن ياسر : قبره في الرقّة بالقرب من قبر أُويس القرني .

قبر نبي الله زكريا وقبره في الرقّة في جامع زكريا .

٨ ـ عبدالله بن مكتوم العامري :

أُمّه أُمّ مكتوم وأبوه قيس ، وقد قال البعض أنّ اسمه عمرو .

كان من المهاجرين القدماء في الإسلام وحيث إنّه كان ضريراً جعله رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي مكانه في المدينة أيّام غزواته ومعاركه ، نعم كان حاضراً في معركة القادسية .

* ذهب بعض المفسّرين أنّ الأعمى الذي ورد ذكره في سورة عبس هو عبدالله .

* توفّي عبدالله بعد عودته من معركة القادسية في المدينة المنوّرة ، إلّا أنّه يوجد قبر في الباب الصغير بالقرب من قبر عبدالله الباهر ينسب إليه ، وبالقرب من قبره توجد حجرة تنسب لإحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله (١).

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاههاى جهان اسلام ص ١٣١ .

٩ ـ قبر أوس بن أوس : وهو من أجلّاء صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وكان من الذين سكنوا مسجد النبي صلى الله عليه وآله في ايوان الصفّة المعروفة .

* كان أوس فقيراً جدّاً ومع ذلك كان كثير التهجّد والعبادة .

* هاجر إلى الشام ثمّ مات في عهد عثمان بن عفّان ودفن في الباب الصغير[١] ومقبرته الآن مقابل مدرسة الصابونية على جهة الحائط الغربي من مقبرة الباب الصغير .

١٠ ـ وائلة بن الأصقع : فمن صحابة الرسول صلى الله عليه وآله الذين كانوا مع أوس بن الأوس وعمّار بن ياسر وغيرهم في « ايوان الصفّة » هو وائلة بن الأصقع .

* كان وائلة من المعمّرين وقيل أنّه عمّر مئة وخمسين سنة .

* توفّي في عهد عبدالملك بن مروان سنة ٨٣هـ في دمشق ودفن في الباب الصغير ، وهو آخر صحابة الرسول صلى الله عليه وآله الذين توفّوا في دمشق[٢].

* نقل أنّه كان من الساخطين على آل أُميّة لقتل سيّد الشهداء عليه السلام ، وقد بقي طيلة عمره يعظ الناس ويقول لهم : أنّ آية التطهير نزلت في أهل البيت عليهم السلام[٣].

١١ ـ فضالة بن عبيد : وهو من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وقد سكن الشام بعد فتحها ، وتولّى مهمّة القضاء في عهد معاوية ثمّ توفّي سنة ٥٣هـ ودفن إلى جنب أبي الدرداء وأُمّ الدرداء .

١٢ ـ سهل بن ربيع الأنصاري : وهو أيضاً من أكابر صحابة الرسول صلى الله عليه وآله المنتسبين إلى قبيلة الأوس وقد سكن دمشق وفي أوائل حكومة معاوية . توفّي ودفن في الباب الصغير[٤].

---

(١) راهنماى حج وزيارتگاههاى جهان اسلام ص٤٣ .

(٢) نفس المصدر ص٤٩ .

(٣) نفس المصدر ج٣ ص٣٩٧ لباقر القرشي .

(٤) نفس المصدر لابن الحوراني ص٥٠ .

١٣ ـ حجر بن عدي الكندي : على بعد عشرين كيلومتر من دمشق توجد قرية تسمّى « عذرا » وأهل القرية يسمّونها عدرُ وهي من توابع دوما الواقعة بعد حرستا التي على يمين دوما .

* يعدّ حجر بن عدي من التابعين الزهّاد الأوحديين الذين ناصروا أمير المؤمنين عليه السلام ويعرف بـ « سعد الخير » .

* قال أمير المؤمنين عليه السلام في حقّه :

* بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام قبض عليه عامل اليمن « محمّد بن يوسف » وجيئ به إلى المسجد وضربوه ضرباً مبرحاً وأمروه أن يلعن أمير المؤمنين عليه السلام فالتفت حجر إلى الناس وقال : إنّ الأمير أمرني أن ألعن علياً ، فالعنوه لعنه الله[١].

* كان لحجر علاقة شديدة بالعبادة وقد أنشد قبل وفاته أبياتاً في مدح أمير المؤمنين[٢].

* يذكر أنّ عائشة قالت لمعاوية :[٣].

* يقول ابن الأثير : أنّ قبر حجر بن عدي معروف في العذراء وهو محلّ استجابة الدعاء ، وفي السنوات الأخيرة تحرّك بعض الخيرين وأعادوا تشييد ضريح حجر بن عدي .

* على الرغم من صغر سنّ حجر بن عدي إلّا أنّه كان من أعاظم أصحاب الإمام علي عليه السلام ، وكان في معركة صفّين رئيس قبيلة كندة كما كان من قادة جيش الإمام علي عليه السلام في معركة النهروان .

أمّا سبب شهادته فقيل أنّ عبدة الدنيا وأعوان الظلمة أمثال أبي برادة بن أبي موسى

---

(١) معجم رجال الحديث لآية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي قدس سره المتوفّى سنة ١٤١٣هـ ج ٤ رقم ٢٦٠٨ .

(٢) راجع سفينة البحار ج ٢ ص ٩٦ .

(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ٩٥ .

الأشعري وشمر بن الجوشن ، وشبث بن ربعي وعمر بن سعد وشوا حجراً إلى معاوية وادّعوا أنّه يلعنه ويخطّط للقيام عليه ولذلك اعتقل حجر مع جماعته وبعثوهم إلى الشام، وفي الطريق مرّوا على منزل « قبيصة » وهو أحد المعتقلين مع حجر فأخذن بناته يبكين إلّا أنّه أمرهنّ بالصبر وقال : إمّا أن ننال السعادة في الشهادة ويكون الله تعالى هو الحافظ لكم أو أرجع لكم بالسلامة .

* في مرج العذراء القريبة من الشام حفر أزلام معاوية القبور واستعدّوا لقتل حجر وأعوانه إلّا أنّ ستّة منهم أُطلق سراحهم لتوسّط أقرباءهم وتشفّعهم فيهم ، أمّا الرجلان المتبقّيان فقد أمروا بقتلهم فقضوا الليل كلّه حتّى الصباح بالعبادة والتهجّد ثمّ قتلوهم وبعثوهم إلى معاوية إلّا أحدهم تعهّد أن لا يدخل الكوفة فأطلقوا سراحه والآخر بعثوه إلى الكوفة وقتلوه بعد أن أذاقوه أمرّ العذاب .

* قبل أن ينفّذ حكم القتل في حقّ حجر صلّى لله ركعتين أطال فيهما الدعاء والتوسّل واستغرق في تهجّده مع الله تعالى ، وبعد أن فرغ من الصلاة التفت إلى جلاوزة معاوية وقال : إنّها أقصر صلاة في حياتي ، فتساءل منه الجلّاد قائلاً : لماذا ترتعد فرائصك ؟ قال : ولماذا لا أخاف والقبر مهيّأ أمامي والسيف بيدك ومع ذلك فوالله لن أقول ما يسخط الله تعالى .

* إنّ أسماء الشهداء السعداء الذين قتلوا مع حجر بن عدي هي : ١ ـ حجر بن عدي ٢ ـ شريك بن شدّاد الحضرمي ٣ ـ شبل الشيباني ٤ ـ قبيصة بن ضبيعة العبسي ٥ ـ محرز بن شهاب المنقري ٦ ـ كدام بن نحيان العنزي ٧ ـ عبدالرحمن ابن حسّان العنزي .

* ينقل أنّ المسجد الموجود جهة الشمال الشرقي من قبر السيّدة رقيّة عليها السلام والمسمّى بمسجد السادات دفنت فيه أجساد هؤلاء الشهداء أو بعض أعضائهم .

١٤ ـ محمّد بن أبي بكر : ولد من أبي بكر وتربّى على يد أمير المؤمنين عليه السلام وأُمّه أسماء بنت عميس تلك المرأة الصالحة التي قدّمت للإسلام خيرة ذرّية .

* بالإضافة إلى فضائله وسجاياه الخيرة فهو جدّ أُمّ الإمام الصادق عليه السلام إذ أنّ ابنه قاسم فقيه الحرمين كان الإمام الباقر عليه السلام قد تزوّج بابنته أُمّ فروة وولدت له عميد المذهب الشيعي الإمام الصادق عليه السلام .

أمّا أُخوته فهم : محمّد وعبدالله وعون وهم أولاد جعفر الطيّار رضوان الله عليه فضلاً عن يحيى ولد الإمام علي عليه السلام .

* عيّن محمّد بن أبي بكر كوالي على مصر من قبل أمير المؤمنين عليه السلام مرتين إحداهما قبل أن يتولّى مالك الأشتر مصر والأُخرى بعدها .

* ينقل أنّ معاوية بن خديج وعمرو بن العاص بعد أن قتلا محمّد بن أبي بكر بأمر معاوية جعلا جثّته في جوف حمار وأحراقها وبعثوا رأسه إلى معاوية ، قبره الشريف اليوم في الباب الصغير معروف .

* قيل إنّ عائشة أُخته كانت تكثر البكاء لشهادة محمّد وتلعن معاوية وعمرو بن العاص ومعاوية بن خديج في قنوت صلاتها .

وقد تألّم أمير المؤمنين عليه السلام لشهادته كثيراً وبكى لفقده وقال : محمّد ابني من ظهر أبي بكر ذكر المؤرخون[١] أنّ عمره المبارك حين شهادته كان ثماني وعشرين سنة وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن شهادته قبل ولادته ، وقبره اليوم موجود في مصر شارع الحيضان بالقرب من جامع الحيضان في أحد المساجد الواقعة خلف جامعة الأزهر ويسمّى جامع الدعاء .

* روي أنّه لمّا ضرب أمير المؤمنين عليه السلام الضربة التي توفّي منها استأذن الناس عليه ، وكان ذلك يوم العشرين من شهر رمضان ، فدخلوا عليه وأقبلوا يسلّموا عليه وهو يردّ ، ثمّ قال عليه السلام : أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني وخفّفوا سؤالكم لمصيبة إمامكم ، قال : فبكى الناس عند ذلك بكاءً شديداً ، وأشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه ، فقام إليه حجر

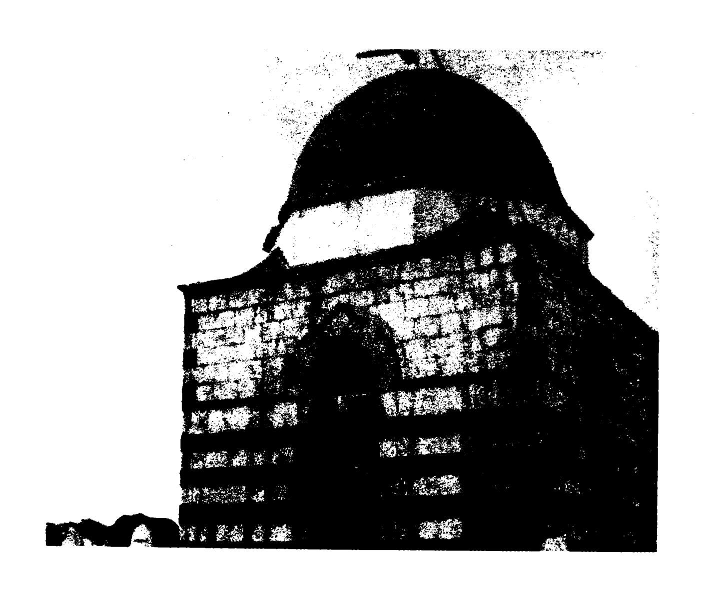
---

(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٦٢ .

ابن عدي الطائي وقال :

فـيا أسفاً عـلى المـولى التـقيِّ أبـو الأطـهار حـيدرة الزكـي

فلمّا بَصُر به وسمع شعره قال له : كيف لي بك إذا دُعيت إلى البراءة منّي ، فما عساك أن تقول ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو قطّعت بالسيف إرباً إرباً ، وأُضرم لي النار وأُلقيت فيها لآثرت ذلك على البراءة منك ، فقال : وُفّقت لكلّ خير يا حجر ، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيّك عليه السلام (١).



(١) بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٢٩٠.

الفصل السابع عشر

السيّدة رقيّة في شعر الشعراء

من أبيات الصحابي الجليل سيف بن عميرة النخعي قال فيها :

وسكينة عنها السكينة فارقت ... لمّا ابتديت بفرقة وتغيّر

ورقيّة رقّ الحسود لضعفها ... وغدا ليعذرها الذي لم يعذر

ولأُمّ كلثوم يجد جديدها ... لثم عقيب دموعها لم يكرّر

لم أنسها وسكينة ورقيّة ... يبكينه بتحسّر وتزفر

يدعون أُمّهم البتولة فاطماً ... دعوى الحزين الواله المتحيّر

ياأُمّنا هذا الحسين مجدلاً ... ملقى عفيراً مثل بدر مزهر

في تربها متعفّراً ومضخّماً ... جثمانه بنجيع دم أحمر(١)

للعلّامة المرحوم شاعر أهل البيت الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي المتوفّى ١٤٠٤هـ:

أنزلوهم في خربةٍ ليس فيها ... غير مهد الثرى وسقف السماء

لا تقيهم حرّ الهجير بظلٍ ... وهو يصلي ولا لهيب ذكاء

والإمام السجّاد يخرج حيناً ... بعد حين من شدّة البرحاء

هارباً من حرارة الشمس فيها ... مستجيراً بالظلّ بعد العراء

كان يلقى سهلاً فيشكو إليه ... ما يلاقي من الأذى والعناء

فتجيء الحوراء عدواً إليه ... وهي تدعو بنديةٍ ورثاء

ياحمانا الزاكي إلى أين تمضي ... أنت بُقايا الآباء والأبناء

---

(١) لبس السواد في عزاء أئمّة النور ص ٣٢٠ نقلاً عن المنتخب للطريحي.

فـيخلي عـنه ويـمضي إليـها ... مسـتظلاً مـن عـطفها بـرداء
وتـراءى الحسـين يـوماً لعيني ... طـفلةٍ عـند سـاعة الإغـفاء
فـاستفاقت وطـالبت بأبـيها ... وتـعالى الصـراخ بـين النسـاء
فأتـوها بـرأسـه فأكـبّت ... فـوقه مسـتغيثة بـالبكاء
شـهقت شـهقة فـماتت عـليه ... حين أهوت عـلى صـعيد الفـناء
حـرّكـوها ومـا بـها مـن حـراكٍ ... فـنعاها السـجّاد للـحوراء
وهي كانت في أصلها حين تـنمى ... خـير بـنت لسـيّد الشـهداء[1]

للعلّامة الكبير رائد المنبر الحسيني وشيخ الخطباء الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله :

فـي ربـى قـاسيون قـبر صـغير ... فـيه غـصن مـن البـتول نـظير
تـربة هـومت رقـية فـيها ... حـضن الطـهر رمـلها والحـفير
عـندها مـن مـحمّد وعـلي ... والحسـين الشـهيد شـيء كـثير
والسـمات المـطيبات تـراث ... يـتجلّى بـه البشـير النـذير
يـحمل العـبرة الصـريحة إن ... الحـقّ يـبقى ويـذهب التـزوير
والضـريح الذي يـضمّ نـسيجاً ... عـلوياً بـالاحترام جـدير
يطلب الورد عـاطش الروح مـنه ... وبـيوت النـبي نـبع نـمير
وبـدرب العـيون صـرح تـسامى ... الفـنّ فـيه وأبـدع التـعمير
روضـة تأشب النـظارة فـيها ... ويـجلي أبـهاءها التـنوير
إن أطلت شـمس الصـباح عـليها ... يـتبارى بـها السـنا والعـبير
وصـخور تـماوجت بـالمرايـا ... فكأنّ الشـعاع فـيها غـدير
ويـخطّ البـلّور والذهب الإبـريز ... مـا عـنه يـعجز التـصوير
حـفلت بـالشموخ مـبنىً ومـعنىً ... فـالمزايـا جـنباً لجـنب تشـير

(١) ملحمة أهل البيت ج ٣ ص ٣٦٨.

إيه بنت الحسين يومك يُسر وأمام الطغاة يوم عسير
المدى فيك بالخلود طويل والمدى عند شانئيك قصير
والرقيم الذي على صرحك الشا مخ فيه البيان والتفسير
أن يحيق الهوان بالآسر الباغي ويسمو كما يشاء الأسير
وتروح القصور والترف الفاجر والوشي لامعاً والحرير
والعروش التي على البغي قامت وجنود ومنبر وأمير
أيدانيك ظالم بسريرٍ وقد انحطّ للهوان السرير
ممّن اجترّ حقد بدر وأُحدٍ وتمادى شُعاره الشرير
من رعيل دم الشهادة فيهم ملأ قرقارة الشراب خمير
ولأسنان أمّهم في لحوم ممّن استشهدوا بأُحدٍ صرير
فذريهم إلى الهوان مصيراً وليدم منك للخلود مصير
يابنة المتّقين عاقبة الأبرار عمّا ينالهم تبرير
أُنظري خربة أقمت بها بالشام تُربُ فراشها وحصير
إنّها عبرة على شفة التاريخ يشتارها السميع البصير
أنت فيها رمزٌ وصرخةُ حقٍّ عند سمع الطغاة منها هدير
صاح فيها صوت الضمير وعدل في الموازين لو أفاق الضمير
سيطال الخراب أروقة الظلم ويجتاح صرحها التدمير
وسيبدو للتائهين بأنّ الله في فعل ما يشاء قدير
أيّها الشجنة التي أذبلتها لوعة الأسر والفلا والهجير
فهي من زحمة القيود على الصـ ـدر أنين شهيقها والزفير
طفلة يكمن الذهول بعينيها فيبدو بدمعها التعبير
حملت قلبها الكسير على يُتمٍ وقلب اليتيم قلب كسير
إنّها برعم وما اشتدّ منها عودها الغضّ والفؤاد الغرير

لم يزل مثلها تهدهده هـذه الدنـيا والحـلم والفـراش الوثـير
فـإذا بـالزمان يُـثقل كـتفيها بـما قـد يـنوء مـنه ثـبير
فهي جسم يدافع السـوط بـالكفّ وعـين بـدمعها تسـتجير
يـالوجدي وقـد مررت عـليها وعـلى القبر من أساها سطور
فـبدى طـيفها لعـيني نِـضواً مـن سياط حدا بـهنّ الغرور
قـد تـعاورنها ودرن عـليها وهـي من وقعها الأليم تدور
وبراها السرى ففي عودها الناحل وهـن مـبرح وضـمور
تسأل الأُمّـهات أيـن أبـوها كيف أغضى وهو الشفيق الغيور
كُـنّ يـوهمنها بأنّ أبـاها غـائب حـان عوده والحضور
غـير أنّ الغـياب طـال عـليها والعشـي امتدّت بـها والبكـور
وألحّت تـريده ذات يـومٍ فـهو فـي قعر ذهـنها محفور
فأتـوها بـالرأس أذيـل خـديّه هـجير ونـحره مـنحور
فـهوت فـوقه وأغـفت كـما أغـفى عـلى دفء أُمّـه عـصفور
حـضنت رأسـه وأسلمت الروح وجـفت كـما تـجفّ الزهـور
أيّها الزائرون فـي ودّ ذي القـربى سـعيتم فسـعيكم مشكـور
هل لمحتم شمائل الأُمّ في البـنت فـللفرع مـا روتـه الجـذور
مـا هـو القـبر بـل شـعائر قـدسٍ فـي محاريبها يطوف الشعور
يُكتب السـعي فـي المسـير إليـها فـهي آثـار فـضلها مأثـور
الثـمو تـربها الطـهور احـتساباً إن تـرباً ضـمّ الطـهورَ طَـهورُ
وانظروا كيف يـزدهي القـبر فـيها والتـراتـيل والشـذى والنـور
فـلكم أوحشت قـبور بأهـليها وشـعت بسـاكـنيها قـبور

للمرحوم العلاّمة الشاعر الدكتور السيّد مصطفى جمال الدين المتوفّى ١٤١٧هـ ق :

في الشام في مثوى أُميّة مـرقد يُـنبيك كـيف دم الشـهادة يـخلد

صرح من الإيمان زهو أُميّة   وشموخ دولتها لديه يسجد
رقدت به بنت الحسين فأوشكت   حتّى حجارة ركنه تتوقّد
كانت سبية دولة تبني على   جثث الضحايا مجدها وتُشيّد
حتّى إذا دالت تساقط فوقها   بأس الحديد وقام هذا العسجد
هيّا استفيقي يادمشق وأيقظي   ترفاً على وضر القمامة يرقد
وأريه كيف تربّعت في عرشه   تلك الدماء يضوع فيها المشهد
من راح يعدل ميل بدر أمسه   فُلت صوارمه ومال به الغد
ستظلّ هند في جحيم ذحولها   تجترُ أكباد الهدى وتعربد
ويظلّ مجدك يارقيّة عبرةً   للظالمين على الزمان يجدّد
يذكو به عطر الأذان ويزدهي   بجلال مفرقه النبي محمّد
ويكاد من وهج التلاوة صخره   يندى ومن وضح الهدى يتورّد
وعليه أسراب الملائك حوم   وهموم أفئدة الموالي حُشد
وبه يطوف فم الخلود مؤرخاً   بالشام قبر رقية يتجدّد

للسيّد داود بن إبراهيم صندوق الدمشقي وشقيقه السيّد يوسف :

لذ في رقيّة سرّ الله كعبته   شمس بها انشقّ داجي الليل مظلمه
وزر حماها فللزوّار إن دخلوا   ولا أبيها نعيم الخلد تُطعمَهُ
وهو الإمام علي خير منتخبٍ   صنو النبي وسيف الله مخذمه
قد شاد للدين ركناً لا انهدام له   حبل الإله صراط الله أقومه
هذا هو النور نور الله أظهره   بالطور قدماً لموسى إذ يكلّمه
يلوح من حضرة قد قُدّست وسمت   لها من الشرف العلوي أعظمه
مغنىً لدرّة قدسٍ من بني مضر   تبغي الدراري من الآفاق تلثمه
من معشر باهت الأرض السماء بهم   والذكر بالنصّ فيهم جاء محكمه
هم آل بيت رسول الله من بهم   تمّت علينا من الرحمن أنعمه

نــثرت مــن أدمــعي درّاً بـمأتمهم ... في سلك حـبل ولائـي رُحت أنـظمهُ

صلّى عـليهم إله العـرش مـا غـربت ... شمس الضحى وبدت في الأُفق أنجمه

مـقامهم فـي العـلى نـادى مؤرخـه ... العرش أرجـاه والكـرسي مـعلّمه[1]

للأُستاذ الخطيب الكبير العلّامة الشيخ جعفر الهلالي :

قف عند جلق واسـتقرئ بـها العـجبا ... وانـــظر لعــاقبة الأبـرار مـنقلبا

واستنطق الزمن الماضي بـما حـفلت ... أيّامه حيث ضجّت في الورى صـخبا

كـيف انـطوت دولة كـانت مـحصنةً ... مــنها القـلاع وقـد مـدّت لهـا طُـنبا

تسعون عاماً ونيف قـد مـضت خـبباً ... للملك مـا شـيّدوا للـملك مـا جُـلبا

كأنّــما هـــي طـــيف مــرّ مـنصرماً ... أو كـــالسراب لألبـــاب الورى خـلبا

فــما السـبيل لنـيل المـجد مـملكةً ... أو أن تــحوز بـها الأمـوال والنشـبا

وإنّــما المـجد أن تـبني الحـياة بـها ... مــبادئ تــصنع التــاريخ مكـتسبا

وإنّـما المـجد بـالتقوى وإن قـصرت ... مــنك الحـياة وعشت الهـمّ والتـعبا

ســل عــن أُمـيّة فـي دنـيا مـفاتنها ... بــالغوطتين تـريك المـنزل الخـربا

تُــريك أنّ ديــار الظــلم خــاوية ... وأن مـــا حـــاولوا قـــد عــاد مـنقلبا

وسـل عـن الآل مـن أبـناء حـيدرةٍ ... أيّــام عـــاشوا بـدنيا دهـرهم غُـربا

فها هـو الدهـر يـحني هـامه عـظماً ... لمــجدهم حــين يسـمو عـزّةً وأبـا

فـــي كـلّ بـقعة أرضٍ مـن عـبيرهم ... رَوح يــعطر مــن أرجــائها التُــربا

كـــانت هـنا طـفلة فـي دار غـربتها ... أســيرةً زاد فــيها الوجـد واضـطربا

وكـــان ثــمّة بــاغٍ عــاد مــنتصراً ... بــزعمه راح يــثني عِــطفه طــربا

إذا بـــه وهـــو لا قــبرٌ ولا أثــر ... بـــذكره وبــه نــاعي الفــنا نـعبا

---

(١) الموسم العدد ٤ ص١٠٧٧ وقد أرّخ بها تجديد عمارة قبرها عام (١٣٢٣هـ) وهو يرى أنّها بنت الإمام علي والصحيح هي بنت الحسين كما تقدّم.

وذي اليـــتيمة والأيّــام تــنشرها ذكــراً حــديثاً جـميلاً طـيّباً عـذبا
قــبر بــزاويــة مــرّت بــه عـصر أضـحى يـناطح فـي عـليائه الشـهبا
ثــوت رقـيّة فـيه فـاكـتسى شـرفاً غداة ضمّ الهـدى والهَـدي والحسـبا
ومــن لطــه نــمتها فــي أرومـتها أمٌّ طــهور فــقد عــزت بــها نسـبا
مــن قــبل ألف ومــثواهـا تـقدّسه هذي الدُنار غمّ من عادى ومن غصبا
للــعائذين عــلى أعــتابها زمــرٌ مــن الأنـام تـرجـي عـندها الرغـبا
حتّى المـلائك رهـن عـند حـضرتها يــباركون بــها مــن زار أو نــدبا
هــذا هــو العــزّ لا مـلك له حشـم هـبّت بـه الريـح حـتّى صـيّرته هَـبا
قف بالمساعي التي تسمو النفوس بها جـوداً تـريك جـميل الفـعل مُـطّلبا
تـريك أنّ ثــمار الحبّ مـا بـرحت تُــجنى وأنّ ضـياء الحـقّ مـا غَـرُبا
وأنّ للــخير مــا زالت هــنا هــمم ميمونة القـصد تـرجـو الجـنّة الطـلبا
سعت لتـرفع هـذا الصـرح مـرخّـصةً هذي الجهود تـريك الصـنعة العـجبا
تُريك مـن روعـة التـصميم هـندسة قـد أحكـمته فأضـحى كـالسنا لهـبا
أنّـى تّـجهت فـروح الفـنّ مـاثلة يـبدو بـها المـرمر اللـمّاع مـنتصبا
قــد جـدّدوه ضـريحاً عـزّ مـفتخراً فــيه تــزاحـم تـلك الفـضّة الذهـبا

وقال الشيخ جعفر الهلالي أيضاً :

قــف عــند بــاب رقـيّة تـتضرّع واقــصد حـماها فـهو حـصن أمـنع
بـنت الحسـين سـمت عُـلا وجـلالة لجــلالها هــذي الخــلائق خُشــع
أبـــداً تأمُّ ضــــريحها وجــلالها وبــــها لواهب مــجدها تســتشفع

للعلّامة المفضال الأديب الجليل سماحة الشيخ محمّد جواد السهلاني :

هــذا هــو الصــرح المـمرّد مـرقد لرقــيّة بــنت الحســين الطــاهرة
ســيظلّ مــرقدها مــناراً للــهُدى يهدي الذوات مـن النـفوس الحـائرة
وتـرى المـلائك خشـعاً مـن حـوله كـحجيج مكّـة فـي حشـود زائـرة

هـذي اليـتيمة مـن سلالة حـيدر … طـابت أرومـتها فأضحت نـادرة
مـا أمّـها ذو حـاجةٍ إلّا انـقضت … فـهي المـلاذ مـن الأُمـور الجـائرة
هـذا هـو الشـرف العـظيم مـخلد … بـالرغم مـن كـيد الطـغاة المـاكـرة
الله يـــرفع شأن آل مـــحمّد … ويـعيش غـيرهم حـياة خـاسرة
أهـــديتها هـــذا الشـعور لآلئاً … كـيما أنـال بـه ثـواب الآخـرة

للأُستاذ الكبير الأديب الجليل المبدع الدكتور أسعد علي :

عـلى نـبيّة نُـطقي يـفاوض صـمته … ونـخلة عـذراء الهـدى تـتمايل
ألا ليت قـومي يـذكرون كـرامةً … رقـيّة تـزجـيها لمـن يـتراسـل
رقـيّة رمـز لا يـطوقها المـدى … بآدم والوعـي الحـنون يـواصـل
لتـنتخب المـوت الجـميل نـموّه … تـفتّت زهـرا فـالطيوب رسـائل
يـطوِّر مـا قـالت رقـيّة رُقـيَّةً … يـقام بـها المـوتى وتـزهو الذوابـل
إذا جـعفر طـارت بكـفّيه مـؤتة … فـفي أُحـد يـحمي المـزارع هـاطل
وإن قيل فـي الدنـيا نـموت تـجيبهم … نموت على الحسـنى فـموتي بـاطل
عـباءتي الأفـلاك تـغتمر الدجـى … رُقـية روحـي فـالشروق جـدائـل
كـذلك نـحيا أو نـموت لغـايةٍ … فأطـوار مـوسيقى الحـياة مـراحـل

للخطيب الأديب الشاعر العلّامة السيّد محمّد مهدي السويج :

طـفلة للـحسين فـي الشـام مـاتت … وهـي ولهـى مـع الأسـارى شـجيه
كـم أرادوا لهـا إمـاتة ذكـر … فـعلت فـوق مسـتوى فـيه حـيه
فكأنّ الزهـراء فـيها تـجلّت … فـعليها أنـوارهـا النـبويه
وهـي أيـضاً عـن فـاطمٍ لأبـيها … بـضعة أحـمدية عـلويه
ولهـا فـي رسـالة السـبط دور … مـع أطـفاله لشـرح القـضيّه
فـي دُنـا التـضحيات مـن دون ديـن … الله جـارت عـليه أُمـيّه
وبـطيف المـنام لاقت أبـاها … وسـريعاً تـمّ اللـقا بـالمنيّه

فغدا قبرها مزاراً يطوف الناس فيه في غدوة وعشيّه
ويرى عند قبرها الشريف سناء عبر هذي الأجيال يهدي البريّه
كلّما جدّد البناء عليه جدّد العهد في قلوب زكيّه
لم تزل ترتقي وتُهوي عداها فبحقٍ كانت تسمّى رقيّه

للأُستاذ الشاعر إسماعيل خليل أبو صالح :

خبّريني ياروضة في الشآم كيف نلت بها رفيع المقام
طفلة لم تناهز الحلم لكن هي فرع من دوحةٍ للكرام
من أبوها من جدّها من أخوها سائليها لها أنحنِ باحترام
سائليها تجبك أنّ أباها بدماه سقى عرى الإسلام
وهي من جدّها تسامى عُلواً وفخاراً على جميع الأنام
وأخوها ذاك الذي ميزته ثفنات من فرط ذاك القيام
فلماذا رقية الطهر ذاقت في صباها أهوال فعل اللئام ؟
أكذا الأجر والمودّة في القربى لطه ياأُمّة الأقزام ؟
حكمة الله قد قضت أن يضام الحرّ لكن الخلد للمستضام
ودليلي رقية أن تزرها تجد التبر راسفاً بالرخام
وحوالي ضريحها تجد الناس قياماً أو ركّعاً للسلام
ثمّ عرّج على يزيد وشاهد كيف صار الخرابُ دار الطغام
عظة المرء بين تلك وهذا كيف يسمو أو يهوي مثل الحُطام

للأُستاذ الشاعر الأديب إبراهيم جواد الدمشقي :

لمن البكاء وحرقة العبرات لمن العويل ورنّة الآهات
لمن الجموع تلاطمت أمواجها وتدافعت أفواجها سكرات
نظراتها حيرى وأكبدها لظىً وقلوبها موقودة الجمرات
لرقيّة بنت الحسين رنينها وأنينها المشفوع بالزفرات

بنت الإمام أخي الإمام ابن الإمام أبـــي الأئــمّة ســادة الســادات
لعظيمة مـا جـاوزت بـعضاً مـن الأ عـــوام أو بـــضعاً مـــن الســـنوات
قـــد أشـــربت لبـن الشــهادة مترعاً صـــافٍ مـــن النــزعات والنـزغات
قـــد طـــهر الله الحكـــيم فـــؤادهـا من كـلّ رجسٍ مـن هـوى الرغـبات
فـــرنت لمـــرقدها الجـــموع تـــبثّه أشـــجانها مشـــبوبة اللـــفحات
سكبت على القفص المـذهب دمعها وســـقته مـــن عـــبقاتها نـــفحات
وقـــفت بأرض الطـف تـرمق فـيلقاً ســدّ الفــضاء بكــلّ بــاغٍ عــات
جـاؤوا يـصدّون الحسـين وصحبه ويـــــروعون نســـــاءه الخــفرات
شــهدت بــعينيها مــصارع أهــلها مســـــتبسلين مشـــــمّرين كـــماة
مـــنعوا ورود المـــاء وهـــو أمـامهم قـــتلوا عـــلى ظـــمأ بشـــطّ فـرات
حـــزت رؤوســـهم ورضت أضـــلع وتـــوزّعت مـــزقاً عـــلى الفـــلوات
رأت المشـــــاهد لو رآهـــا ضـــيغم صـــعب العـــريكة بـــالغ الفـــتكات
لتـــــفجّرت مـــنه الدمـــاء تـــفجّعاً وقـــضى صـــريعاً خـــامد الحـــركات
لكـــــنّها بـــنت الحســـين وقـــلبها قـــلب الحســـين مـحصن الجـنبات
فاقت أسود الغـاب صـبراً واحـتوت ســـيل الكـــروب بـــعزمةٍ وثـــبات
صبرت على البلوى وغالبت الأسـى وعـــلت كـــوالدهـا عـلى النكـبات
حـــتّى إذا رأت الحســـين مســـربلاً بـــدم الشـــهادة طـــيّب العـــبقات
والرأس حُـــــزت والجـــبين مـــعفر والشـــيب خـــضب بـالدما الأرجـات
نـــــادته يـــــاأبتاه مـــــن ليـــتيمةٍ مـــــن للـــنساء الرُّمـــل الثكـــلات
يـــاوالدي لهـــفي عـــليك مـــمزقاً والقـــلب ســـاج ســـاكـن النـبضات
أبَ يـــاأبي مـــا العـــيش بـعدك سـائغ من عـــاش بـعدك عـــاش كـالأموات
أنـــا يـــاأبي مـــا خـفت بـعدك كـربةً أبـــداً ولا هـــبتُ الذي هـــو آت
عـــزّ الفـــراق عـــليّ يـــاأبتي فـــما مـــعنى الحـــياة وأنت أنت حـــياتي

خـذني إليك أبـي فـلست قـريرة ... بـالعيش دونك فـاستجب دعـواتـي

خـذني إليك فـما الوداع يـروقني ... أبـتاه لا أقـوى عـلى المأسـاة

وقـد اسـتجاب لهـا الإمـام وضـمّها ... بـين الحـنايا حـاني اللـمسات

أخـذت إليـها الرأس وهـي تشـمّه ... وتكـحل الأنـظار بـالنظرات

وتـخاطب الرأس الشـريف مـروعةً ... والقـلب مـنها دائـم الحـرقات

بكت الصـغيرة والإمـام بـحضنها ... وعـلا النشـيج فـهيّج الصـرخات

وغفت على الرأس المـخضّب بـالدما ... مـخنوقة الأنـفاس والنـبرات

فـقضت شـهيدة حـزنها ومـصابها ... بـنت السـنين الخـمس كـالومضات

وقضى لها الله الخـلود عـلى المـدى ... بـين الورى وبـوارف الجـنّات

تأتـي الجـموع لتـرتوي مـن كـوثر ... ثـرّ العـطاء مـبارك الثـمرات

وتـعود تـحمل زمـزماً فـي فكـرها ... وفـؤادهـا يـزكو مـع السـجدات

والشـام نـعم الشـام قـد أنست بـها ... وتشـوّقت للـيُمن والبـركان

وتـعاهدت تُـعلي المـقام مكـرماً ... وتـحوطه بـالحبّ والدعـوات

وتـبرّأت مـن عـصبة مـنبوذةٍ ... خـانت عـهود الله والآيـات

عاثت فسـاداً فـي البـلاد وأظـهرت ... فـيها الفـواحش فـعل شـرّ طـغاة

إنّ المـلوك إذا اسـتباحوا أُمّـةً ... جـعلوا أعـزّة أهـلها نكـرات

هـذي فـعال بـني أُميّة فـي الورى ... مـن عـهد صـخر عـابد اللـذّات

حـتّى يـقوم بـدوره سـفيانها ... ابـن الطـليق وصـاحب الغـدرات

فـإليك يـابنت الحسـين تـحيّتي ... وعـليك حـزني دائـم العـبرات

للدكتور الأديب لبيب وجيه بيضون :

يـاآل طـه المـصطفى أهـل الكـرم ... حـزتم فـخاراً ليس تـنساه الأُمـم

أنـتم سـراج الحـقّ مـا بـين الورى ... تـاج المـعالي أنـتم رمـز الشـيم

لا سـيّما بـنت الحسـين المـجتبى ... تـعلو مآذنـها عـلى كـلّ القـمم

وقـبابها مشـهورة فـي جـلقٍ ... تُلقي الضياء على البسيطة والشمم
في خـربة وضعت تـلوذ بـزينب ... ولقـد أمـض بـها وأضـناها السـقم
لمـا رأت رؤيـا أبـيها كـامداً ... ضـجّت لرؤيـاها تـنوح مـن الألم
طـلبت أبـاها قـيل : سـافر مـدّة ... حـتّى رأتـه قـطيع رأس كـالعلم
آوتـه فـي حـجر تـقبل مـبسماً ... مـنه ودمـع العـين يـذرف كـالديم
سـهقت عـليه شـهقة فـيها الأسـى ... راحت بـها لله تشكـو مـن ظـلم
سـبحان ربّـي يـمهل الطـاغي ولا ... يـهمله حـاشا فـهو عـدل إن حكـم

للسيّد عامر الحلو :

بـدمشق قـبرك يـارقيّة يُشـرق ... وبـه عـظات بـالحقيقة تـنطق
كـنت أسـيرة دولة مـغرورةٍ ... فـعصفت فـيما زوروا أو لفّـقوا
وإذا بـها عـند النـهاية عـبرة ... وإذا بـقبرك فـيه تـزهو جـلق
وإذا بـمجدك وهـو مـجد محمّدٍ ... زاهٍ ويـخترق المـدى ويـحلق
تـلك الحـقيقة سـوف يـبقى نـورها ... أبـد الزمـان عـلى العـوالم يـخفق
ويـظلّ هـدي محمّد طـول المـدى ... رغـم الصـعاب وهـولها يـتعمّق
والكـون يـخضع للـرسالة خـاشعاً ... ويـدين فـيها غـربُه والمشـرق
وهـو الذي قـد رامـه فـي كـربلا ... نـحر الحسـين وفـيضه المـتدفّق
ويـظلّ صـرحك يـارقيّة شـامخاً ... بـالطيّبات وبـالمفاخر يـعبقُ
ولقـد ذكـرتك يـارقيّة بـالشجى ... لمـا رُزئت وغـاب عـنك المشـفق
لمّـا غـفت عـيناك مـن تـعب السـبا ... ورأيت والدك يـحنّ ويُشـفق
فـفزعت بـاكـية عـليه بـلوعةٍ ... والقـلب مـن وقـع الأسـى يـتحرّق
وعلا النحيب عـلى الحسـين بـخربةٍ ... نـطق البكـاء بـها وكـلّ المـنطق
وأتوا برأس السبط في غسق الدجـى ... فـحضنته والكـلّ فـيه أحـدقوا
ورقـدت رقـدتك الأخـيرة جـنبه ... ولقـد رحـلت وأنت نـبع مـغدق

نبع الطفولة والبراءة والصبا نبع يظلّ على المدى يتدفّق
نبع التقى نبع الهداية والنهى نبع أصيل في الأكارم معرق
ويظلّ قبرك يارقيّة كعبةً للزائرين به تطوف وتحدق

للعلّامة الحجّة السيّد حسين بحر العلوم :

لهف نفسي لزينب وهي ثكلى يلتظي قلبها دموعاً وآها
كم رأت في خرابة الشام أحزاناً تسيخ الجبالُ من بَلواها
رأت الذلّ والهوان وقيد الأسر ، فازداد حزنها وشجاها
ورأت ما يمضّ من ألم اليُتم مصاباً يعزّ عن أن يضاهى
طفلة بنت أربع أو ثلاث يشهق العطر من عبير شذاها
فلذة من فؤاد أحمد يجري من علي وفاطم ريّاها
هي بنت الحسين لم تعرف اليتم ولم تدر كيف تنعى أباها
ألفت حجره وثيراً من المهد وكان الشغوف إذ يرعاها
لم تزل تسأل الأرامل والأيتام عنه ، ولم تحصّل مناها
وغفت عينها لتهجع بلواها وتنسى مصابها وأساها
وإذا بالكرى طيوف حبالى بالمآسي وليتها لن تراها
رأت الوالد العطوف بعينيها فهبّت مذعورة من رؤاها
وانبرت تشتكي له الذلّ واليُتم فتذوي القلوب من شكواها
واستفاقت من غفوة الضيم تبكي وتنادي ولا يجاب نداها
ياأبي ، ياأبي أُريد أبي الآن ـ فقد كان لي ظلالاً وجاها
فاستجاشت عواطف الثكل بالحزن ضجيجاً من أرضها لسماها
وتعالى البكاء واستنشرت الآهات والتاعَ في النفوس جواها
فاستفزّ الصراخ نوم يزيد وهو في قصره فأبدى انتباها
قال : ماذا جرى لعائلة الأسر ألم ينسها الكرى شجواها

قيل : بنت الحسين في حلم النوم رأته ، فاشتطّ منها نهاها
فأفاقت تريد شخص أبيها فهي لم تقتنع بغير مناها
قال : ذا رأسه احملوه إليها فعسى تستعيض عنه عساها
فأتوها به فأهوت عليه بانعطاف أضاع منها هداها
وانحنت فوقه تقبل فاه وهو من عطفه يقبّل فاها
وتناديه : ياأبي أيّ سيف جذّ منك الأوداج حتّى براها
ياأبي من تراه خضّب منك الشيب بالدم ، من ترى أشقاها
ياأبي من إلى الأرامل والأيتام يعنى بها ، ومن يرعاها
ياأبي أين غبت عنّا ، فقد ضاقت رحاب الصدور من لؤاها
ياأبي عزّ أن نراك ترى الأيتام حسرى ، والعزّ فضل رداها
واستجاشت بها العواطف حرّى يفجّر الصخر من شجى نجواها
ثمّ سرعان ما اسكانت على رأس أبيها تبثّه شكواها
فإذا بالمصاب يضرى فيبدي جثّة بزّها الحمام رواها
حلم وانطوى وأجهش تأريخ وظلّت مأساتها تنعاها(١)

للخطيب الشيخ صادق ابن الشيخ جعفر الهلالي :

قبس شعّ في الشآم بهيّا يوم واری الثری رفاة رقيّا
هي بنت الحسين وابنة طه فاح منها عطر الولاء نديّا
هي من جدّها علي تسامت في مقام يزهو به علويّا
راح يهفو الفؤاد من كلّ فجٍّ عارفاً حقّها محبّاً تقيّا
فهنيئاً لتربة الشام فخراً علوياً طالت بذاك الثريا
تحضن الطهر تزدهي بشذاها فتعمّ الدهور عطراً زكيّا

---

(١) مقتل الحسين للسيّد محمّد تقي بحر العلوم (٢٩٨) وطبعت في ديوان الشاعر زورق الخيّال .

شـــتموا جـدّها الوصـي لدهـر فـــغدا الفـــعل مـــنهم مــخزيا
أيــن مــنهم (يــزيد) أيــن أبــوه أيــن تــلك القــصور لم تك شــيّا
قــد أطـاحت تـلك الفـعال بـذكراه وأفـــنت عـــهداً مــضى مــطويا
وإذا الآل رحـــمة الله فــي الأرض وبــاب يــهدي الصــراط الســويّا
يـاإبـنة الطـاهرين فـيك اسـتضاءت هــذه الأرض بـــالسناء زهــيّا
وضــعوك بـــخربة كــالأسارى واســتضاموا مــقامك المــرضيّا
وعــلي السـجّاد فـي لوعـة الحـزن ومـــن حـــوله النســـاء بكــيّا
لم يـــراعـوا كــرامـةً لرســول الله فـــيه ولم يـــراعـوا الوصــيّا
هـــو يـــوم بــيوم بــدرٍ أفــاضوا فــيه حــقداً لدى النــفوس غـويّا
ورثوه حـقداً قـديماً عـلى الإسـلام واســـتهدفوا هـــناك الوصـــيّا
فـبسيف الإسـلام أوتـرهم كـفراً بأمـــر مـــن الاثـــله جــليّا
فـــاشتروها دنـــيا بآخـــرة الله وضــــنّوا بـــها البـــقاء الهـنيّا
ثـمّ ضـاعت دنـياهم فـي سـراب ثـمّ ضـاعوا فـما نـرى حـربيّا
وإذا بـــابنة الحســـين تـحدّت يـــوم وافت بـــصرحــها مـبنيّا
يـابـنة الأكـرمين يـاصرخـة الحـقّ تـــعالت عـــلى الزمــان دويّــا
مـهجة المــرتضى ونـفس حسـين مَن هوى فـي الطـفوف نـجماً زهـيّا
أيــتموها وفــي السّـبا روّعــوها حـين راحت تـطوي المـفاوز طـيّا
فـرأت فـي المـنام وهـي تـناجي لأبـــيها الحســين قـلباً حـفيّا
فأفــاقت مـذعورة القـلب تـدعو عـــمّتي شــمت والدي المــرضيّا
وتـعالى البكـاء مـن شـدّة الحـزن وراح الصـــدى يـــهزّ الدعـــيّا
قـــال يـــاقوم ذاك رأس أبـــيها قـــدّموه لهـــا لتســـلو مـليّا
عـــانقته ولا تـــزال تـــناغيه وتـــرجــو حــنانه الأبــويّا
مـن لنـا بـعدك الحـما يـاحمانا ورجـــانا وقـــد فـقدنا الحــميّا

ثمّ فاضت وفارقت روحها الدنيا وعاد المصاب خطباً جليّا
إيه ياطفلة الحسين ونوراً شعّ في هذه الربوع مضيّا
في مقام أعزّه الله فيها يبعث اللطف بكرة وعشيّا
وضريح لمرقد الطهر يعلو شرفاً قبرها بدا ذهبيا
فغدى صرخة يضجّ بياناً تعلن الحقّ كالسناء جليّا
هذه مهجة لآل علي ينشر الدهر فضلها النبويّا
فانحنت دونها عروش بغاة وغدا الذكر منهم منسيّا
فإذا بالأسير يكتسح الظليم يجلي ستاره المغشيّا
هكذا آل أحمد وعلي زاحموا الدهر واستضافوا الثريّا
لا صلاة دون الصلاة عليهم وكفاهم بذاك فخراً عليّا
تلك دنيا فيها أعزّهم الله ولقّاهم الرضا أُخرويا
آل مروان كم بنيتم عروشاً وملكتم دنيا وحكماً شهيّا
وحلمتم إنّ الأُمور إذا ما حزتموها قد فزتموا دنيويّا
قد بنيتم عهداً بظلم أُولي الأمر ولكنّه اغتدى مفنيّا
نهجكم كلّه على الحقّ بغي وانحراف جاز الصراط السويّا
ونسيتم يوم المعاد الذي فيه عذاب للظالمين صليّا
تدّعوها خلافة ولأنتم طلقاء لم تحظ من ذاك شيّا
ما دهاء فيكم ولكنّه الغدر ولولاه ما استقمتم مليّا
قد كسبتم دنيا وعشتم هواها حيث أغضبتم الإله العليّا
قد أتتكم عواقب السوء فيما قد جنيتم منها ضلالاً وغيّا
فانظروها بجنبكم ترقد الأبرار تسمو بعزّها أبديّا

للكاتب القدير والشاعر البارع الأخ سلمان آل طعمة :

ضريحك إكليل من الزهر مورق به العشق من كلّ الجوانب محدّق

مــلائكة الرحــمن تــهبط حــوله ... تســـبّح فــي أرجــائه وتــحلّق
شــممت بـه عـطر الربـى مـتضوّعاً ... كأنّ الصبا مـن روضـه الخـلد يـعبق
إليــه غـدا المـلهوف مـختلج الرؤى ... وعــيناه بــالدمع الهــتون تــرقرق
كـريمة سـبط المـصطفى مـا أجـلّها ... لهـا يـنحني المـجد الأثـيل ويـخفق
أرومــتها طــابت كـحسن خـصالها ... لديــها غـدا العـاني يـحبّ ويـومق
إلى ذروة العــزّ انــتمت وتســابقت ... ومــن راحــتيها بأنّ فـضل مـطوّق
وأيّـــدها البــاري بكــلّ فــضيلة ... وخــير مـحلّا بـالعلى وهـو يـغدق
كأنّ الدجى ينشقّ عن سحر وجـهها ... كــما يـطلع البـدر المـنير ويشـرق
أطـلّي عـلى الدنـيا كشـمس مـنيرة ... لهـــا بــقلوب المــخلصين تــعلّق
أطــلّي فـهذا الكـون يشـدو صـبابة ... لمــجدك مــهتاجاً ويــهفو ويـرمق
وبـــوحي بآيــات الجــلال فــإنّنا ... عــطاشى إلى بــحر المـنى يـتدفّق
فياجذوة فـي النـفس يـحلو أوارهـا ... وكــــلّ مــحبّ نــحوها يــتشوّق
ويــاقبساً مـن نـور أحـمد يـزدهي ... بــطيب فــعّال عـبر طـيفك يـطرق
نشأت عـلى حبّ الحسـين وفـضله ... وحـزت مـن الجـاه الذي لا يـصدّق
وإنّك أهـــــل للـــــخلود وشأوه ... فــذاك هـو المـجد العـظيم المـوفّق
وحبّك هذا سـاكـن القـلب والحشـا ... ســـيبقى مــناراً للــهدى يــتألّق
شــعائر قـدس تـملأ الأرض رحـمة ... مـدى العـمر تـزهو للـبرايـا وتـبرق
وأيّ مــزار صــار للــناس مـلجأً ... إليه التجى الراجـي وفـاض التـصدّق
يـــتيمة أرض الشـــام ألف تـحيّة ... إليك وقـــلبي بـــالمودّة يـــنطق



ترجمة المؤلّف

قال في كتاب : « مشاهير خلخال » في ترجمة المؤلّف (دام توفيقه) :

هو حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ علي ربّاني الخلخالي نزيل قم المقدّسة ، نجل الحاج علي رحمه الله .

ولد في أُسرة متديّنة وملتزمة عام ألف وثلاثمائة وستّ وستّين هجري قمري ، وذلك في قرية : « كرين » إحدى قرى خلخال .

تعلّم القرآن الكريم وختمه في ثلاثة أشهر وهو ابن ست سنين ، ثمّ انتمى إلى المدرسة الابتدائية وهو ابن سبع سنين وبقي يرتقي فيها من صفّ إلى آخر بنجاح حتّى أكمل الابتدائية مظفّراً فائزاً .

ثمّ أنّه على أثر ترغيب والديه وحثّهما له على الدراسة الدينية ، فضلاً عن حبّه وعلاقته بالدروس الحوزوية هاجر إلى قم المقدّسة ، وبقي فيها عاماً واحداً ثمّ عاد بعدها إلى خلخال واشتغل بالمقدّمات في المدرسة العلمية الجعفرية وتتلمذ عند آية الله « يكتائي » .

وبعد مضي عامين على ذلك أكمل درس المقدّمات ، وقفل بعدها راجعاً إلى قم المقدّسة ، واشتغل بمواصلة الدروس الحوزوية فيها ، ودرس الرسائل عند آية الله « الشيخ مصطفى الاعتمادي » وكذلك قسماً من كتاب المكاسب عند آية الله « الشيخ شهاب الدين الاشراقي » وأكمل بحث السطوح عند أساتذة آخرين من مثل آية الله « الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي » وآية الله « السيّد مهدي اللاجوردي القمّي » وآية الله « الشيخ جعفر السبحاني » وغيرهم من العلماء الأعلام ثمّ اشترك في دروس بحث

الخارج وحضر درس آية الله العظمى « السيّد الگلبايگاني » وآية الله العظمى « السيّد المرعشي النجفي » وآية الله العظمى « السيّد محمّد الشاهرودي » وآية الله العظمى « السيّد محمّد الروحاني » وآية الله العظمى « السيّد محمّد الحسيني الشيرازي » وغيرهم من المراجع العظام .

نشاطه الاجتماعي

لم يكتف الشيخ ربّاني الخلخالي بمواصلة دروسه الحوزوية فقط ، وإنّما كان إلى جانب ذلك ، يُلقي ما تلقّاه من العلوم الدينية على زملائه وأصدقائه ، وأقربائه وأهل محلّته ، ويشجّعهم على الاشتراك في الثورة الإسلامية التي اندلعت في ايران بقيادة العلماء الأعلام والمراجع العظام ، وعلى أثر نشاطاته تلك اعتقل ذات مرّة هو وجماعة من طلّاب العلوم الدينية من طرف مديرية الشرطة العامّة في مدينة خلخال ، فسعى آية الله « يكتائى » في إطلاق سراحهم حتّى وفّق إلى ذلك .

ثمّ إنّه اعتقل مرّة أُخرى من قبل سلطات الشاه المقبور على أثر كتاب كتبه باسم : « مفاسد الخمر ، والقمار ، والربا في نظر الإسلام » وسعى هذه المرّة لإطلاق سراحه آية الله « الشيخ حسين اللنكراني » واستطاع من التأثير على سلطات الشاه حتّى أمرت بإطلاق سراحه .

وفي مدّة إقامة الشيخ الخلخالي في مدينة قم المقدّسة قام برحلات تبليغية إلى مختلف بلاد ايران ، ومن جملتها : همدان ، وكرج ، ولواسانات ، وغيرها .

نشاطه العلمي

اهتمّ الشيخ بالتأليف والتصنيف ، وقدّم للمكتبة الإسلامية كتباً قيّمة ، وتصانيف أنيقة وجميلة ، وقد رأت الكثير من تأليفاته عالم النور وخرجت إلى الأسواق ، وهي باللغة الفارسية ، وقد ترجم بعضها إلى اللغة الأُردية والعربية وغير ذلك من اللغات الأُخرى ، وإليك نماذج من الكتب المطبوعة :

١ ـ « شهداء رجال الدين الشيعة » ويقع الكتاب في جزئين ضخمين يحتويان

على ترجمة أربعمائة عالم من رجال الدين ، الذين استشهدوا في القرن الأخير .

٢ ـ « الشعائر الحسينية في نظر مراجع الدين الشيعة » ويقع في جزء واحد يضمّ بين دفّتيه فتاوى المراجع العظام حول الشعائر الحسينية . وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الأُردية .

٣ ـ « المرأة في نظر الإسلام » .

٤ ـ « الخيانة من منظار الإسلام » .

٥ ـ « مفاسد الخمر والميسر والربا في الإسلام » .

٦ ـ « وجه الإمام الحسين عليه السلام المنير » ويحتوي على حياة الإمام الحسين عليه السلام من الولادة حتّى الشهادة .

٧ ـ « وجه العبّاس بن علي قمر بني هاشم المنير » ويقع هذا الكتاب في سبعة عشر جزءاً ضخماً ، طبع منه ثلاثة أجزاء ، والباقي على طاولة التأليف والطبع ، ويرجو المؤلّف (دام توفيقه) أن تكون هذه الموسوعة ، أشبه شيء بدائرة معارف تأريخية ، حول حياة حامل لواء كربلاء ، وبطل يوم عاشوراء ، أبي الفضل العبّاس عليه السلام ، ويأمل أن ينتفع به الفضلاء والعلماء ، والكتّاب والمحقّقون ، والشيعة والموالون .

هذا وقد حوت الأجزاء الثلاثة المطبوعة من هذه الموسوعة على شطر كبير من حياة أبي الفضل العبّاس عليه السلام وعلى أكثر من سبع مائة معجزة صدرت منه عليه السلام وظهرت من روضته المباركة ، كما وتحتوي أيضاً على ذكر ما يرتبط بأبي الفضل العبّاس عليه السلام من حسينيات ، ومقامات ، وسقايات ، ومستوصفات ، ومدارس علوم دينية ، وما أشبه ذلك من مؤسّسات اجتماعية ، ويحتوي كذلك على ذكر أولاد أبي الفضل العبّاس عليه السلام وذكر تأريخهم ونبذة من حياتهم ، وتعيين مزاراتهم ومراقدهم ، وعرض صور جميلة من روضاتهم المقدّسة .

فإلى جميع العلماء والفقهاء ، وأئمّة الجماعة والخطباء ، والمدّاحين والذاكرين ، وأصحاب المجالس والمواكب أجمعين ، وكلّ المحبّين والموالين ، نوجّه خطابنا هذا ،

ونأمل منهم التعاون معنا في إخبارنا ومراسلتنا بكلّ ما لديهم من كـرامـات ومـعجزات تخصّ أبا الفضل العبّاس عليه السلام وترتبط بعموم الناس من شيعة وسنّة، ومسـلمين وغـير مسلمين، كي ندرجها في الأجزاء الباقية إن شاء الله تعالى ولكم منّا جزيل الشكر والثناء.

الناشر

فهرس الكتاب

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر